منبر الإسلام

العدد ٤ السنة ٤٦
ربيع الثاني ١٤٠٨هـ
ديسمبر ١٩٨٧م
الثمن ٤٠ قرشا

مع العدد هدية
"الفردوس" مجلة الطفل المسلم

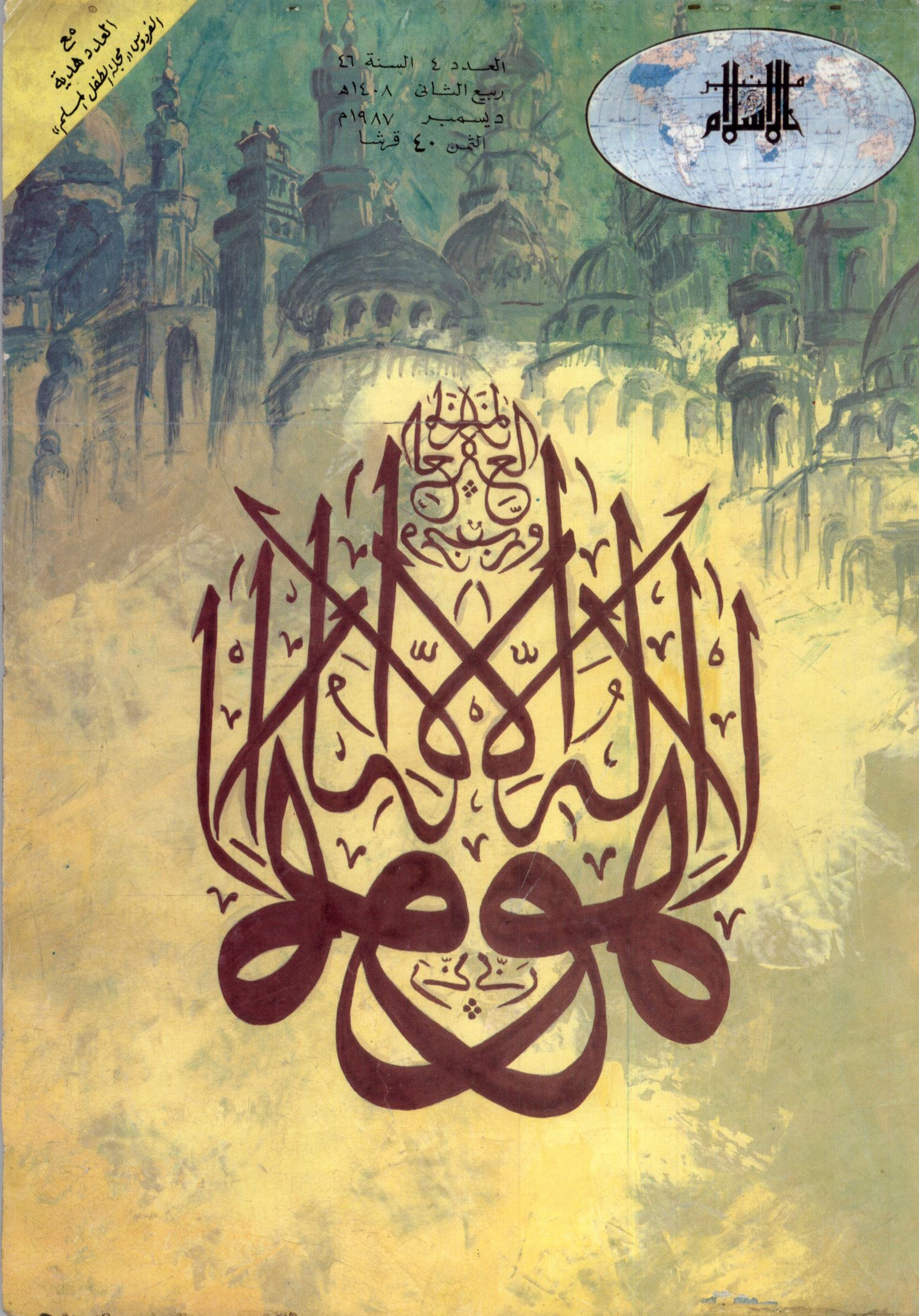

منبر الإسلام

تصدر فى غرة كل شهر عربى

●●●

العدد ٤ ـ السنة ٤٦

ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ

ديسمبر ١٩٨٧ م

●●●

مع العدد

- الفردوس « مجلة الطفل المسلم »

الإشتراكات

تطلب الاشتراكات من : مؤسسة أخبار اليوم - شارع الصحافة - القاهرة - ادارة الاشتراكات

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦ " ستة جنيهات مصرية » بجمهورية مصر العربية

١٥ " خمسة عشر دولارا » لاتحاد البريد العربى الافريقى "بريد جوى"

٣٠ " ثلاثون دولارا » لباقى الدول الأجنبية "بريد جوى"

المراسلات

٩ شارع النباتات - جاردن سيتى تليفون : ٣٥٤١٦٢٧/٣٥٤٩٩٦٣/٣٥٥٣٦٢١ تلغرافيا : منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

إشراف

الدكتور محمد علي محجوب

وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور عبد المعطي محمد بيومي

مدير التحرير

الدكتور محمد بهي الدين سالم

مستشارو التحرير

الدكتور عبد الله عبد الشكور كامل

الدكتور أحمد كمال أبو المجد

الدكتور أبو الوفا التفتازاني

الدكتور جمال الدين محمد محمود

الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

الدكتور جمال الدين الفندي

غلاف الشهر

لا إله إلا هو ربي
ورب العالمين

كلمة التحرير

عزيزنا القارىء ..

في هذا العدد تجد خدمة في هذه المجلة تواكب بها القضايا الاسلامية المثارة .

فبمناسبة الحوار حول عموم الدعوة الاسلامية الذى احتدمت به الساحة هذا الشهر تجد مقال الافتتاحية – وهو آخر اسهام من المجلة – ان شاء الله – في هذا الصدد بعد أن أسهمت في الشهر الماضي بما استطاعت تقديمه .

وفي هذا الشهر استكتبت المجلة ثلاثة من المقالات حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن .

هذا الى جانب اسهامات المجلة وخدماتها للفكر في شتى موضوعات الفكر .

« التحرير »

حديث الشهر

إسلام

تطورت معركة الاسلاميين والماركسيين حول عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى معارك شخصية .

ولأن مقال الأستاذ لطفى الخولى الذى نشره فى الأهرام ٨٧/١١/٤ تحت عنوان « اسلامنا وماركسية النمر » يحتوى على كثير من الأفكار التى أملتها طبيعة معرفته المحدودة بالاسلام فقد شعرنا بضرورة الرد على هذه الأفكار مهتدين بالتراث الاسلامى الذى يجب أن يلتزم به كل أبناء هذا البلد خاصة اذا تحدثوا عن شىء من الاسلام أو فيه .

يقول الأستاذ لطفى الخولى موجها حديثه للدكتور النمر « فانك يا فضيلة الدكتور بما اخترته فى مقالتيك من ألفاظ قاطعة ذات دلالات محددة قد تجاوزت — فى تقديرنا — الرأى العلمى والنقد الموضوعى — الذى هو حقك — الى الادانة المطلقة والتجريح الشخصى » .

ويستطرد مخاطبا الشيخ النمر « نقول ان حقك وحق غيرك من الكتاب فى الاختلاف مع آراء واجتهادات د. خلف الله ودحضها شىء وأن تمنح نفسك سلطة اقامة الدعوى ضده وتجعل من ذلك دليلا على اتهامه وتشفعه باصدار حكم دينى عليه فهذا شىء ننكره عليك وعلى كل من يقف معك » .

تقول يا سيدى بالنص ان د. خلف الله مجازف فى مهاجمته عقيدة الأمة .. وأنه يهدم أصلا من أصول العقيدة الاسلامية وانك فى النهاية تقرر رأى الدين فيما قرره .. الخ .

هذا ما يقوله الأستاذ الخولى تعليقا على كلام الدكتور النمر ويقول : ان المشكلة ان الماركسيين لا يفرقون فى كلام العلماء بين ما هو حكم دينى وهو رأى الدين وما هو من آرائهم الاجتهادية ، كما أنهم يظنون أن الاسلام كلأ مباح لهم أن يجتهدوا فيه ويتصدروا للافتاء حتى وان لم يستطيعوا قراءة آية من القرآن أو حتى قصيدة من الشعر ولا يفرقون بين شروط الاجتهاد .

فما قاله الشيخ النمر عن د. خلف الله من أنه مجازف فى مهاجمة عقيدة الأمة فليس تجريحا شخصيا اذا كان وصفا لعمل فكرى يستهدف تقويض الثقة بالقصص القرآنى

بقلم رئيس التحرير

الماركسيين

والا ماذا كان يمكن أن يصف الدكتور النمر أو غيره قولا يذهب قائله الى أن قصص القرآن قصص خيالى فاذا وصف الله تعالى ما كان من عاد أو ثمود أو غيرهم قال الدكتور خلف الله ان هذا لم يقع . فبم يوصف هذا النزق الفكرى ، ان وصفه بالمجازفة أقل مما يمكن أن يوصف به ؟!!

وما قاله الشيخ النمر من أن د. خلف الله حين يجعل رسالة الاسلام التى هى الى الناس كافة أى العرب كافة وجميع القبائل العربية بأنه يهدم أصلا من أصول الدين . فكيف يمكن أن يكون هذا تجريحا شخصيا ؟ ان الأستاذ الخولى لا يدرك أن هذا تطبيق لحكم دينى هو من أنكر عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى أمر معلوم من الدين بالضرورة يكفر لأن منكر هذه المعلومات بالضرورة كافر . وهذا حكم ثبت بالكتاب والسنة واستقر عليه اجماع الأئمة والمسلمين وهو ليس رأيا اجتهاديا للشيخ النمر بل هو حكم دينى ولا يزيد الشيخ النمر عن كونه يطبق هذا الحكم على قول يزعم قائله أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم « لكافة القبائل العربية » والذى يعرف الأستاذ الخولى أن هذا حكم دينى أنه لا يختلف عالم مسلم مع الشيخ النمر فى هذا الحكم . والدليل على أن الأستاذ الخولى لا يدرك الفرق بين الحكم الدينى والرأى الدينى أنه يقول للشيخ النمر « لاحظ يا سيدى وانك لا تقول أقرر رأيى العلمى واجتهادى الدينى ولكن رأى الدين ذاته » .

هذه مشكلة الماركسيين لا يفرقون بين ما هو دين واجب الاتباع وما نسميه نحن الأمور التوقيفية أو المعلومات من الدين بالضرورة التى لا يجوز فيها الاجتهاد وبين ما يجوز أن يكون مجالا للرأى .

سيقول الماركسيون ــ كما قال الأستاذ الخولى ــ ان هذا كهنوت ، وهكذا اما أن يكون الاسلام كله بعقائده الأساسية مجالا واسعا يمرح فيه هواة الاجتهاد والشطط الذين لا يملكون مقومات الاجتهاد واما أن يكون هناك كهنوت .

أليس هذا ارهابا فكريا أخطر من كل أنواع الارهاب الذى نحاربه وتحاربه الدولة .

أليست هذه دعوة الى عدم احترام أى قاعدة دينية يجب أن نلتقى عندها ونرفعها فوق الخلاف والاجتهادات الشخصية ؟ !.

ثم ان الأستاذ الخولى يدعو الى دعوة أخرى حين لا يفرق بين حق تعليم الاسلام وبين حق الافتاء فيه بقوله أن لكل انسان الحق فى أن يتعلم الاسلام ويفتى فيه ويقول

ان أهل الذكر كما يقول الاتجاه الغالب فى الفقه الاسلامى يؤكد أن ما جاء فى الآية الكريمة من سورة النحل عن أهل الذكر لا يقصد به علماء المسلمين وانما هم علماء أهل الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم .

والأستاذ الخولى الذى يطالب بأن تكون له وللدكتور خلف الله حرية الاجتهاد والنظر فى الاسلام يجهل هنا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون،لكن مشكلتنا أننا ازاء قوم يعلنون أنهم يريدون حرية الفكر وهى كلمة حق يراد بها باطل ، لأنهم حين يعطون حرية الفكر يتناولون بها مسلمات الاسلام ويجهلون ان فى الاسلام أشياء تسمى المعلوم من الدين بالضرورة هى قواعد يلتزم بها المجتهد أولا ، فاذا اجتهد فيهانفسها لم تعد له قاعدة يرجع اليها هى منارات للاجتهاد يستنير بها المجتهد ولكنه لابد أن يسلم بها كقواعد للمنهج .

وليس الاسلام فى ذلك غريبا عن العقائد والأديان والمذاهب الفلسفية ، والاجتماعية ، ففى كل دين وكل مذهب نجد بعض القواعد الثابتة تكون بمثابة ضوابط للفكر وما عداها متغيرات يمكن الاجتهاد فيها .

حتى فى الماركسية التى يزعم الأستاذ الخولى أنها قابلة للتجديد والتغيير هل يمكن الاجتهاد فيها حول أسبقية المادة على الفكر أو الايمان بأن الحركة من داخل المادة ذاتها دون حاجة الى محرك من خارج المادة وبعبارة أخرى دون الحاجة الى اله وراء الطبيعة والا خرجت الماركسية عن ماركسية ماركس والا فهو نوع من التضليل الماركسى أن يقال ان الماركسية قابلة للتجديد والتغيير وفق حالة المجتمع تقدما أو تخلفا .

ثم أنكم تقولون انكم لا تنفصلون عن الايمان الدينى لهذا الشعب فكيف بالله تعرضون قواعد الدين الأساسية التى لا يجوز فيها الاجتهاد للهدم كما فعلتم بنشر مقالات د. خلف الله التى صادم فيهانصوصا دينية ثابتة بالمقاييس التى اصطلح العلماء المسلمون على طرق ثبوتها .

انها نقطة أساسية بالغة الأهمية فى محاورة الماركسيين فى أى أمر ، وهى أنهم اذا بان لهم فى أى وقت وعند أية مناسبة يفتعلونها أنهم استفزوا الشعور الدينى فانهم يجيبون معلنين ومؤكدين أن الايمان الدينى (لا يقصدون الاسلام خاصة) ، وكما يقولون غالبا الايمان بالقيم الروحية ضرورى للتقدم ، وأنهم لا ينفصلون عن الشعب المؤمن وأنهم وأنهم كأنهم أعبد الناس وأكثرهم التزاما بقيم الاسلام وقواعده .

وهم حين يعلنون هذا انما يذكروننا باعلان المنافقين فى المدينة للاسلام ومبالغتهم فى ذلك حتى كانوا يظهرون بأنهم أعبد الناس ، ويصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون القرآن منه عليه الصلاة والسلام ولكنهم اذا خرجوا من عنده قال بعضهم لبعض « ماذا قال آنفا » وقد وصف القرآن الكريم موقفهم حين قال تعالى فى أول سورة المنافقون .

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1)

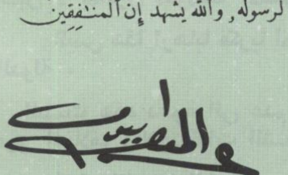

مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا نحن نزَّلنا الذِّكْرَ

وإنَّا له لحافِظُونَ

((صدق الله العظيم))

نظرات ودراسات

تفسير القرآن الكريم

تفسير سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

فَلَمَّا

جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا
رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

صدق الله العظيم

الدكتور/ عبد الغنى الراجحى

فى مقالنا السابق وفى الآية السابقة بينا أن الله أرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ليستدل بما يراه على عظمة الله وليكون من الموقنين وهذا اجمال يأتى بيانه وتفصيله بأنه رأى الكوكب ثم القمر ثم الشمس وكان ماكان من شأنه ونظره فى هذه الكائنات التى هى من ملكوت السموات والأرض وهى وان كانت سماوية الا أن لها تعلقا شديدا بالأرض وأحوالها من تتمة أحوال الأرض وتتغير أحوال الأرض بتغير أحوال هذه الكواكب فلا ضرورة الى القول بأن هذه الاراءة لهذه الكائنات الثلاثة غير الاراءة السابقة لملكوت السموات والأرض كما ذهب الى ذلك بعض المفسرين ...

وأكبر شاهد على ما قلناه هو حرف الفاء الدال دائما أبدا على علقة بين ما بعده وبين ما قبله تفريعا أو تفصيلا أو تفسيرا أو بيانا أو ما شئت قل .. .. ومن ذلك وقوعها فى جواب الشرط لشدة العلقة بين الشرط والجواب لاسيما اذا كان الجواب جملة من هذه الأنواع التى ذكرها النحاة فى قولهم .

اسمية طلبية وبجامد   وبما ولن وبقد وبالتنفيس

وقد تحشر نفسها فى الكلام لأدنى سبب ومناسبة من رائحة الشرط فى الكلام كالتى تقع بعد الموصول لشبه الموصول بالشرط فى العموم كما فى قولهم: « الذى يأتينى فله درهم » كأنه قيل: « من يأتنى فله درهم ».

« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى . فلما افل قال لا أحب الآفلين » .

الأنعام — ٧٦

حرف الفاء كما قلنا تفصيل وبيان لما قبله بما بعده و (لما) حينية بمعنى حين . ولفظ (جن) بمعنى اظلم ودخل عليه وغطاه وستره بظلامه وحرف الجيم مع النون بعده فى كثير من تصرفاته واستعمالاته يعود الى معنى التغطية والستر والخفاء . ومنه (الجنين) لأنه مستور فى بطن أمه فى ظلمات ثلاث(١) والجمع الأجنة كما قال تعالى:

« واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى » .

النجم — ٣٢

ومنه الجنون لأنه يغطى العقل ويبطل فاعليته ويقال فيه جنة بكسر الأول وتشديد النون كما جاء فى القرآن الكريم **« أم يقولون به جنة »** **« يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون »** . والجنة بفتح الأول وتشديد النون هى البستان والحديقة لأنه يستر بأغصانه من هو فيه والجمع جنات كما جاء فى القرآن الكريم بلفظ الجمع والتثنية والافراد(٢) فى جنة الثواب فى الآخرة . وأما الجنة بضم الأول فمعناها الوقاية لأنها تستر وتقى من يستجن بها من المكروه(٣) . ومنه الجن والجان والجنة بكسر الأول لأن الجن مستترون عن البشر وفى الذكر الحكيم **« انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم »** وفيه أيضا **« ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون »** .

وفيه أيضا **« وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا »** . لما قالوا الملائكة بنات الله وهم أيضا مستترون عن الانس واطلق عليهم لفظ الجنة لهذا الاعتبار. ومنه المجن بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون وهو الذى يلبسه الفارس فى الحرب ليتقى به سلاح عدوه كما قال القرآن عن داود **« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم »** .

الأنبياء — ٨٠

ولعل من ذلك قولهم فى المثل المشهور .. قلب له ظهر المجن ... ومنه الجنان بمعنى القلب لأنه مستتر فى حنايا الصدر . وقد يكون منه الجنى كما فى قوله تعالى: **« وجنى الجنتين دان »** لأن الجنى وهى الثمار الدانية تستر من يقف تحتها بجنيها ، وقد يكون منه لفظ الجناية لأن الجانى يغطى ويعلو المجنى عليه بالجريمة والاجرام .

أما الرؤية هنا فهى بصرية لا علمية ولا منامية(٤) ومن المرجح أن هذا الكوكب كان أظهر وأوضح من غيره حتى كان موضع تأمل ابراهيم واستلفات نظره ولهذا يقول المفسرون ان تنوين التنكير يفيد هذا وفى رأيى أنه لا يتعلق بتعينه غرض وان كان المفسرون انطلقوا يقولون انه الزهرة أو المشترى وقد قرأت لبعض علماء الفلك أن الزهرة يلمع ويتألق فى السماء وعقب الغروب وأن كوكب ابراهيم الذى جاء فى سورة الأنعام .

أما جملة (قال هذا ربى) فانها وقعت مفصولة عما قبلها كجواب عن سؤال تقديره ماذا قال لما رأى الكوكب ؟ وفى هذه المقولة من ابراهيم اشكال كيف قالها وهى فى ظاهرها شرك صريح ؟؟ وقع خلاف طويل الذيول وآراء تستند الى روايات لا تصح من أنه كان صغيرا لم يبلغ الحلم ولم يؤت

---

(١) جاء فى الآية الكريمة قوله تعالى: « نخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث» ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الكيس الذى يكون الجنين بداخله

(٢) الجمع فى مثل قوله تعالى: « ان المتقين فى جنات ونهر » والتثنية فى مثل قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والافراد فى مثل قوله تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى »

(٣) كما جاء فى قوله تعالى عن المنافقين « اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون » سورة المنافقون

(٤) تقول لغتنا الجميلة رأى رأيا بمعنى الرأى والفكرى الذى يقول به ومن ذاك قولهم مدرسة الرأى والقياس بالعراق ومدرسه الحديث والأثر بالحجاز والمدينة ثم تقول اللغة رأى بمعنى أبصر فتكون رؤية بصرية ذات مفعول واحد وقد تكون علمية ذات مفعولين أول وثان فاذا كان بعد البصرية منصوبين أعرب الثانى حالا لا مفعولا به ثانيا ثم تقول اللغة رأى رؤيا بمعنى الرؤيا المنامية فى الأحلام كما فى قوله فى سورة يوسف من قول يعقوب ليوسف « يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين » رأى رأيا ورأى رؤية ورأى رؤيا . الفعل واحد والمصادر مختلفة فى أعظم لغة نزل بها قرآن كريم ليكون معجزة للعالمين

رشده وما عرف الايمان الا بعد ذلك وكان وقتها على دين قومه وهذا كلام ساقط عن درجة الاعتبار لأن الأظهر أنه كان قد أوتى رشده قبل ذلك أى قبل مجادلاته لقومه كما يؤخذ من قوله تعالى :

* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾

الأنبياء ــ ٥١ ، ٥٢

الآيات الى أن انتهى معهم الى تسفيه عملهم وابطال عبادتهم للأصنام وما هذه المجادلة فى شأن الكوكب والقمر والشمس ــ الا كتلك التى كانت معهم فى شأن الأصنام. وهى شبيهة بها فى أسلوبها وطريقة اقناعهم ببطلان ما هم عليه الا أن محاورة الأصنام كانت لهم من حيث انهم عبدوا الأصنام توصلا بها الى عبادة الكواكب معبوداتهم الأصلية يجادلهم بحجته وأسلوبه فى عبادة الفرع وهى الأصنام ثم يجادلهم بحجته وأسلوبه فى عبادة الأصل وهى عبادة الكواكب حيث كانت لهم آلهة أرضية من الأصنام وآلهة علوية من كائنات السماء(١) والطريقة التى استعملها فى الحالين متشابهة حيث يتظاهر بتسليم صحة ما يفعلون ليستدرجهم أول الأمر ثم يكر عليهم بالبرهان القاطع فيبطل عبادتهم فانه فى المعبودات الأرضية كسر الأصنام فقالوا له:

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

ونفس الطريقة فعل معهم فى مسألة الكوكب والقمر والشمس حيث كان فى كل مرة يقول « **هذا ربى** » أى حسب زعمكم ومقالتكم ولكن فى كل مرة كان معبودهم يأفل ويغيب ويختفى وهم ينظرون فيقول لهم لا أحب الآفلين ولا أعبدهم لأنهم خاضعون للتغيير والغيبة ومسخرون بقوة أعلى هى قوة الاله الحق معلنا براءته من شركهم طالبا الهداية الحقة من الله متبرئا من شركهم ثم يخلص بعد الجولات الثلاثة مع الكوكب والقمر والشمس الى قوله «انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » أى من أمثالكم الذين يعبدون مخلوقات متغيرة مسخرة لله الواحد القهار فأصنامكم الأرضية باطلة ومعبوداتكم السماوية باطلة وهذا جواب دقيق فى دفع الاشكال المستشكل به على ابراهيم فى قوله « هذا ربى » وهو أسلوب جدلى ذكره المناطقة وعلماء الجدل وهو أن يسلم الانسان مؤقتا بكلام خصمه ليستدرجه ثم يكر عليه بالابطال كأن المعنى لو كانت معبوداتكم هذه آلهة لما جرت عليها هذه الأحوال التى ترونها رأى عين . فما نطقت الأحجار لما سألتموها وما بقيت معبوداتكم العلوية على حالة الظهور لكنها اختفت وتوارت فلا هذه ولا تلك صالحة للألوهية(٢) .

وهناك جواب آخر يتلخص فى أن هذه الجملة من ابراهيم الخليل ليست خبرية ولكنها استفهامية بهمزة مقدرة قبلها والتقدير أهذا ربى ؟ والاستفهام استفهام انكارى بمعنى النفى وحذف همزة الاستفهام كثير فى الكلام كما فى قول عمر بن أبى ربيعة .

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا

بسبع رمين الجمر أم بثمانى

---

(١) لم أجد نصا على أى الموقفين كان أولا من ابراهيم مع قوله وان كنت أرجح أن موقف الأصنام كان أولا فان القياس هو الترقى من الأدنى الى الأعلى

(٢) يقول الدكتور محمد شمس الدين ابراهيم أستاذ الدراسات العليا بكلية أصول الدين والمتخصص فى علوم المنطق والجدل أن هذه الطريقة تسمى بطريقة المعارضة بقلب الدليل على الخصم فهم يستدلون على عبادتهم لها بما هى عليه من المظاهر والظواهر لكن ابراهيم قلب عليهم الدليل حيث بين أن ما كان سبب عبادتهم لها كوكبا أو قمرا أو شمسا هو نفسه الدليل والسبب فى نفى استحقاقهم للعبادة لأنها كائنات متغيرة حادثة مسخرة لقوة أعلى منها وهى قوة الله الخالق لها

والتقدير أبسبع رمين الجمر أم بثمانى وفى قوله تعالى لخاتم رسله ((**أفان مت فهم الخالدون**)) يقولون ان التقدير أفان مت أفهم الخالدون ؟ وقيل ان هناك فى اللغة استفهاما بالنغمة من غير أداة استفهام . وقيل ان المعنى هذا ربى بمعنى دليل ربى وقيل غير ذلك .

أما قوله فلما أفل أى غاب واختفى ، قال لا أحب الآفلين فقد عومل الكوكب معاملة العقلاء فجمع جمع المذكر السالم كما فى قول يوسف فى سورة يوسف .

((**انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين**))

يوسف — ٤

ونفى الحب معناه نفى العبادة لأن العبادة أساسها محبة المعبود من العابد .

أما الآية ٧٧ .

((**فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين**)) .

سورة الأنعام — ٧٧

فان العطف بحرف الفاء على سابق قوله (رأى كوكبا) فالرؤية الثانية تالية ومعطوفة على الرؤية الأولى ومثل ذلك ، سيأتى فى قوله ((**فلما رأى الشمس بازغة**)) والمنصوب الثانى بعد الرؤية فى كل من القمر والشمس يعرب حالا لا مفعولا ثانيا لأن الرؤية بصرية لا علمية . والبزوغ هو الطلوع والظهور وهو بحسب أصله اللغوى الشق والابانة والبيان كأن القمروالشمس يشقان الظلام بطلوع ضوئهما .

أما قوله هذا ربى فالكلام فيه كالكلام فى سابقه ولاحقه بالنسبة لنفى الشرك والكفر عن ابراهيم فى مقالته هذه .

أما قوله ((**فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين**)) .

الأنعام — ٧٧

فليس فى هذه المقالة شرك ولا كفر ولا اعتراف ولا اثبات لذلك لأن المعنى لئن لم يهدنى مستقبلا كما هدانى ماضيا لأكونن من القوم الضالين . بمعنى أن لم يثبتنى على الهداية كما فى سورة الفاتحة من قول المهتدين ((**اهدنا الصراط المستقيم**)) . وفى ذلك من التعريض لحال قومه مالا يخفى والكلام كأنه من قبيل قولهم فى المثل المشهور اياك أعنى واسمعى ياجارة فمن يتخذ الها هذا القمر المتغير الخاضع لأعراض الحوادث يكون من القوم الضالين الذين على رأسهم قوم ابراهيم الذين يعبدون القمر من دون الله .

أما الآية ٧٨ ((**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون**)) .

فان الكلام فى الرؤية وحرف الفاء ومعنى البزوغ كالكلام فى السابق وكذلك الكلام فى ((لما)) الحينية وقوله هذا ربى أما قوله فى هذه المرة الثالثة يا قوم انى برىء مما تشركون فهو مسارعة الى اثبات ما هو المقصود وما هو نتيجة هذا البحث والتأمل والتدرج بهم ومعهم من الكوكب الى القمر الى الشمس . فاشراكهم مع الله هذه المعبودات ضلال وخطأ ينفر منه ويتبرأ كل عاقل رأى بالبرهان العملى سقوط مرتبتها عن درجة الألوهية . ولفظ (ما) فى قوله مما تشركون اما مصدرية واما موصولة .

وتأنيث الشمس فى قوله (رأى الشمس بازغة) وقوله (فلما أفلت) أسلوب طبيعى لاعتبار الشمس مؤنثة . وان كان قد قيل انه تأنيث تعظيم كالتاء فى علامة . أما الاشارة اليها بقوله هذا ربى هذا أكبر باشارة المذكر فعلى ارادة النجم أو الطالع البازغ أو الشىء المشخص أو هذا الضوء وفى رأيى أن هذا الصنيع من التذكير لتكون هناك وحدة أسلوبية فى المواضع الثلاثة فى كل من الكوكب والقمر والشمس (هذا ربى) على التسليم الجدلى فى المواضع الثلاثة وفى عملية التأنيث من النبوة(١) والمنافرة بين التأنيث والربوبية مالا يخفى فلفظ الرب للمعبود ولفظ الله من الألفاظ الملازمة للتذكير(٢) . على أن التذكير وقع للمؤنث فى قول الأعشى .

قامت لتبكيه على قبره
من لى من بعدك يا عامر

---

(١) النبوة بتشديد النون وسكون الباء وفتح الواو وبمعنى عدم الملاءمة

(٢) لفظ الرب: مؤنث وتلحقه التاء اذا كان بمعنى صاحبه كما فى قول الشاعر :

ربابة ربه البيت تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

تركتنى فى الـدار ذا غـربة
قـد ذل مـن ليس لـه نـاصر

والمراد تركتنى فى الدار شخصا ذا غربة وكان الظاهر أن يقول ذات غربة .

هذا وقد قيل كيف كان الأفول من الكوكب والقمر والشمس دليلا على نفى الألوهية مع أن هذا الأفول باعتبار مكان خاص وزمن خاص يستمر بعدهما ظهورها عند قوم آخرين فى مكان آخر وزمان آخر . والخفاء والظهور لهما انما هو بحسب حركة الأرض ودورتها ؟ والجواب أن ذلك الحاصل لها من علامات الحدوث واعراض الممكنات لتغير الأحوال والأوضاع كيفما كان السبب فى ذلك . وأهل هذا الزمان ماكانوا قد عرفوا هذه المعلومات عن الأرض ودورتها ولازال الناس يقولون الى اليوم طلع القمر وطلعت الشمس وغرب القمر وغربت الشمس علاوة على ما فى ذلك كله من اثبات أنهما فى ظهورهما واختفائهما انما يخضعان لتسخير قوة أعلى منهما تبرزهما فى هذه المظاهرة كيف تشاء ولأى سبب وفى القرآن الكريم .

« وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » وفيه أيضا **« والنجوم مسخرات بأمره »** وما كان مسخرا فى أصله وأحواله فلا يكون الها ولا معبودا . كما قال تعالى **« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »**(١) **فصلت ــ ٣٧**

كما أنه قيل لماذا اتخذ ابراهيم من الأفول والغياب دليلا على نفى الألوهية ولم يتخذ من عملية البزوغ والطلوع دليلا على ذلك لما فى الحالين من التغيير وتبديل الأحوال ؟ والجواب عن ذلك أن المعنى المراد توجيه الأنظار اليه فى الغروب والغياب أظهر وأدل لأنه أقهر وأذل .

وتبديل حال حسن الى حال سىء ونفى الألوهية فى الغياب أقوى من نفيها فى الظهور .

كما أنه قيل لماذا فى الشمس خاصة قال هذا أكبر مع أن الأكبرية أيضا فى القمر على الكوكب

والجواب أن الأكبرية فى الشمس على كل من القمر والكوكب أظهر وأقوى من أكبرية القمر على الكوكب وان ضوء القمر والكواكب الأخرى مستمد من ضوء الشمس . والله يقول **« جعل الشمس ضياء والقمر نورا »** والضوء ذاتى والنور مكتسب . وأكبرية القمر على الكوكب غير ثابتة دائما أبدا فى كل ليلة ففى كثير من الليالى يكون القمر غير تام فانه يبدأ خيطا صغيرا وينتهى الى خيط صغير كما قال تعالى **« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »** .

ياسين ــ ٣٩

هذا مع اعتبار أن الشمس فعلا أكبر جرما وحجما من القمر والكوكب وانها أم المجموعة الشمسية . وأنها أم الحياة كلها على الأرض للانسان والحيوان والنبات والجماد .

والأرض فى دورتها حول الشمس وحول نفسها تتولد فيها الفصول الأربعة والليل والنهار والشمس أساس دورة المياه فى وجه الأرض من تبخير المياه الملحة ونزولها من السماء ماء عذبا لا يبغى هذا على ذاك الى غير ذلك من وجوه العلاقات بين الشمس والأرض فى ملكوت السموات والأرض .

كما أنه قيل . هل كان ذلك كله من المواقف الثلاثة مع الكوكب والقمر والشمس فى ليلة واحدة رأى فيها الكوكب حتى أفل ثم رأى القمر طالعا حتى أفل ثم الشمس آخر الليل وأول النهار طالعة حتى غربت ؟ قال بذلك بعض المفسرين ورجحوا أن ذلك كان فى ليلة الخامس عشر أو السادس عشر من الشهر العربى حيث يطلع القمر متأخرا قليلا عن أول الليل ثم يغرب قبيل طلوع الشمس ، وقال آخرون انه لا تعلق فى الزمن ولا ارتباط بين واحدة وأخرى من الرؤى الثلاثة . وقال بعضهم بالارتباط بين رؤية الكوكب والقمر فى ليلة واحدة وأما الشمس فيجوز أن تكون مستقلة حيث رآها طالعة وتبعها حتى غربت وقومه معه يرقبون ويأخذ بأيديهم الى استنباط

---

(١) هذه النقطة بحذافيرها شبيهة بما قال أصحاب خاتم النبيين له . ما بال الهلال يبدو أول الشهر دقيقا ثم يكبر ثم يعود كما كان ، فنزل قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » ولم يذكر لهم الأسباب الفلكية والعلمية فى ذلك والعلماء يسمون ذلك أسلوب الحكيم لأن الاجابة بما هو المعتبر والمناسب لحال السائلين

الحكم المقصود له . والعلم الحق عند الله تبارك وتعالى .

كما أنه قيل لماذا ذكر فى القمر والشمس بازغا وبازغة واكتفى فى الكوكب بمجرد الرؤية ؟ ولعل فيما سبق من الكلام ما يصلح جوابا على ذلك حيث ان فى القمر والشمس من البزوغ والسطوع ما ليس فى الكوكب .

كما أنه قد يقال ما وجه الترتيب بين هذه الثلاثة والجواب أنه الترقى من الأدنى الى الأعلى ومن الأصغر الى الأكبر وهذا هو الأقيس وهكذا كان يترقى فى اعلان بغيه على الشرك والمشركين مرة بعد أخرى ففى المرة الأولى اكتفى بقوله لا أحب الآفلين بمعنى لا أعبدها وفى الثانية قال لئن لم يهدنى ربى لأكون من القوم الضالين وفى الثالثة قال يا قوم انى برىء مما تشركون فصرح بضلالهم وبراءته من شركهم .

أما الآية ٧٩ « **انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين** » فقد بلغ السيل الزبى(١) ولم يبق فى قوس الشك منزع وبلغ الأمر ذروته ومداه ، وحصحص الحق وزهق الباطل ونطقت الأدلة الثلاثة بأن شيئا من هذه المذكورات الثلاثة لا يصلح للألوهية والعبادة أمام أعين هؤلاء الضالين . فلم يبق الا أن يصارحهم بالحقيقة الايجابية بأنه يوجه وجهه للاله الحق الذى فطر وخلق السموات والأرض(٢)

فبعد أن صارحهم بالحقيقة السلبية الذى يتخلى فيها صراحة ويبرأ من اشراكهم وشركائهم تأتى هذه الحقيقة الايجابية لتكون من باب التحلية بعد التخلية وفى ذلك من موافقة الوضع للطبع مالا يخفى مع مافى قوله « **وجهت وجهى** » **من الجناس اللطيف**(٣) ومعنى أنه وجه وجهه للذى فطر السموات والأرض أنه ينصرف بوجهه عما ينصرفون هم اليه ويقبل به على ربه وعبر بالتوجه وأراد نفسه وذاته تعبيرا عن الشىء بأشرف أجزائه وقيل ان الوجه هنا معناه القلب والذى فطر السموات والأرض ليس الا الله الحق وفى هذا تعريض ببطلان آلهتهم حيث انها من مخلوقات الذى فطر السموات والأرض وتعدية توجيه الوجه لله بحرف اللام دون حرف الى لايهام الثانية بالمكانية لله . وحاشاه يقول ذلك الرازى وهو كما ترى .

وأما قوله حنيفا فالأظهر والأدق أن المعنى مائلا عن الباطل الى الحق(٤) وذلك ظاهر فى صلب موضوعه واعراضه وبراءته مما فيه قومه ويؤكده ويعززه ماجاء بعده من قوله « **وما أنا من المشركين** » . وهى فى معنى سابقتها فى قوله لقومه « **انى برىء مما تشركون** »(٥) . لكن بأسلوب أعم وأتم وفيه نفى اشراكه بالطريق البرهانى حيث انه مادام أنه ليس من المشركين فانه يكون غير مشرك ولو كان مشركا لكان من المشركين والله أعلم .

---

(١) الزبى بالزاى والباء جمع زبية المكان المرتفع فى وجه الأرض فلا يبلغا السيل الا اذا كان كثيرا والمراد المواقف الثلاثة صارت كاملة فى البرهة مع بطلان عقائدهم ولم يبق للشك مكان

(٢) فى هذا الحيز القليل من الآيات ذكرت السموات والأرض الآية ٧٩ وقبلها الآية ٧٥ وقبلها الآية ٧٣ وقد جاء ذلك فى فاتحة السورة الكريمة « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور »

(٣) الجناس هو اتحاد اللفظين فى الحروف كلها أو بعضها وهو من أنواع البديع المعروف فى علوم البلاغة وهو من المحسنات اللفظية وينقسم الى تام وناقص فالتام ما كان فى الحروف كلها والناقص ما كان فى بعضها والاتحاد هنا بين الواو والجيم والهاء

(٤) والحنيفية السمحة المائلة من الأصل عن كل ضلال كما فى حديث الرسول كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والله يقول « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وكثيرا ما يوصف ابراهيم فى القرآن بالحنيفية كما فى قوله تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين» وقوله تعالى : « قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » وقوله : « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » وقوله : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا » وقوله : « ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » سورة النحل

(٥) حرص القرآن على التعبير بهذه البراءة فى كثير من مواطن قصص ابراهيم ففى سورة الزخرف « واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون » وفى سورة الممتحنة قوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله » وفى سورة التوبة « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم »

أصدق الحديث عن رسول البشرية

فضيلة الشيخ ابرهيم الدسوقي مرعي

جاء القرآن الكريم بأصدق الحديث وأوفاه وأجله وأعظمه . هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين . نزل به الروح الأمين بلسان عربى مبين على امام النبيين وخاتم المرسلين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أنزل بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، قال تعالى :

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ — المائدة ــ ٤٨

فلا شيء أعلى ولا أكمل ولا أشمل منه بقوله تعالى :

وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ — الزخرف ــ ٤

وثم فقد اختار الله لحمله من خلقه افضلهم وأكرمهم وأعلاهم شأنا وأرفعهم مكانة ومنزلة وكان صاحب هذه المكرمة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه واختاره وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

فقد قال المشركون كلما جاءتهم آية دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله أى من الآيات والمعجزات . بريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة بأن تنزل عليه صحف من السماء مبسوطة تأمره باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا أن الرسالة فضل من الله يمنحها لمن يشاء من عباده لاينالها أحد بكسبه . انما يعطيها لمن هو أهل لها بسلامة فطرته وطهارة قلبه وقوة روحه ومناعة نفسه حتى يمكنه القيام بأعبائها . قال تعالى :

وَإِذَا جَآءَتْهُمْ

ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ

الأنعام — ١٢٤

وما علموا أن الله يعلم أهل رسالته ومكان نبوته ومن هو أهل لأداء الرسالة والقيام بالأمانة على الوجه الأكمل الذى يرضاه ، قال تعالى :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

الأنعام — ١٢٤

وقال بعضهم عنه صلى الله عليه وسلم انه عليه الصلاة والسلام لم يشاركه فى ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية ، وأنت اذا اختبرت حال نسبه وعلمت طهارة مولده تيقنت انه سلالة آباء كرام . **فهو النبى العربى الأبطحى الهاشمى القرشى نخبة بنى هاشم المختار — المنتخب من خير بطون العرب . وأعرقها فى النسب . وأشرفها فى الحسب . وأنضرها عوداً . وأطولها عمودا . وأطيبها أرومة . وأعزها مكانة ومنزلة . وأفصحها لسانا . وأوضحها بيانا . وأرجحها ميزانا . وأعزها نفرا وأكرمها معشرا . من قبل أمه وأبيه ومن أكرم بلاد الله على الله .**

حفظ الاله كرامة لمحمد
آباءه الأمجاد صونا لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره
من آدم والى أبيه وأمه

أهلت على الدنيا طلعته صلى الله عليه وسلم وكان اليتيم الذى لم تكتمل عينه برؤية أبيه . الفقير الذى لم ينعم بما ينعم به لداته واترابه من طيب العيش وزهرة الحياة ، ويمتن الحق تبارك وتعالى عليه فيقول :

« ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى » .

الضحى — ٦ — ٧

حائرا تلتمس سبيل الهداية الى الحق ضيقا بالجو الذى تعيش فيه فهدى ، ووجدك « عائلا » فقيرا « فأغنى » رزقك القناعة والرضى بما قسم الله لك ، فى هذا الجو نشأ صلوات الله عليه وما كانت القيم الفاضلة بينهم الا ما تواضعوا عليه واملته عليهم أهواؤهم الضالة ونفوسهم الأمارة بالسوء وغرائزهم بما طبعت عليه من نهم وشغف بكل لذائذ الحياة . فى هذا الجو عاش صلوات الله عليه أطوار عمره المبارك محمود السيرة رضى النفس كريم الخلق — قال تعالى بعد أن أقسم بالقلم .

مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ

لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

القلم — ٢ — ٣

واذا كنت أعرف الناس بنعم الله عليك فانه لا سبيل لك الى الوقوع فى نقيصة أو ارتكاب اثم أو التفريط فى حق أو التقصير فى واجب . فأنت ذو الخلق العظيم الذى يعصمك من التردى فيما يشينك أو يسوءك .

لقد ألهمه الله بفطرته الصافية الحفاظ على نعم الله عليه وعرفان حقه وعبوديته له ، فنفرت طباعه من المنكر أنى وجد ، ولم يسجد لصنم ولم يشارك فى اثم ، وكان شق صدره وانتزاع العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان منه تأكيدا لنماء فطرته الطاهرة وكان قلبه الشريف أزكى القلوب وأطهرها .

جاء فى مسند الامام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم : « أن الله نظر الى قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته . ثم نظر الى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه » .

لقد أعطى صلى الله عليه وسلم يقظة القلب فهو فى توجه الى الله تعالى ووعى دائمين فلا تعتريه غفلة ولا تطرأ عليه من النوم سنة ، واذا كانت رؤياه المنامية من جملة طرق الوحى

وانواعه ، وكان أول ما بدىء به من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ قال يا عائشة **« ان عينى تنامان ولا ينام قلبى »**.

وفى رواية الترمذى **« خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى رأيت فى المنام كان جبريل عند رأسى . وميكائيل عند رجلى فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان »** .

وقال تعالى :

« ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ».

الحجر — ٩٧

أى وحتى لا يتأثر صلى الله عليه وسلم بما سيواجه فى أداء رسالته من عنت واضطهاد كان شق صدره مرة فى صغره وهو يرعى غنم حليمة ومرة وهو ابن عشر سنين ومرة عند مجىء جبريل بالوحى اليه حين نبىء وحفظه الله ورعاه وقال سبحانه :

« ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى » .

النجم — ٢ — ٣

ويقول :

« ما زاغ البصر وما طغى » .

النجم — ١٧

ويقول :

« ما كذب الفؤاد ما رأى » .

النجم — ١١

كما كان صلى الله عليه وسلم واسع العلم عظيم الفهم أفاض الله عليه العلوم النافعة الكثيرة والمعارف العالية الوفيرة ، وأعلن عن سعة علمه وعظيم فضله فقال سبحانه :

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ

لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ

وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ

عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

النساء — ١١٣

وبين يدى ذلك كله كانت منته الكبرى ورحمته العظمى ببعثته وهداية البشرية بما انزل عليه قال تعالى :

هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا

مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

وَٱلْحِكْمَةَ

الجمعه — ٢

أى وكان أول مظهر من مظاهر فضله ونعمه على خلقه ارسال الرسل وخاصة النبى محمد صلى الله عليه وسلم اماما لهم وخاتما للرسل كلهم أرسله للناس كافة واختار له المكان الذى يبعث فيه واللسان الذى ينطق به والقوم الذين ينطق بلسانهم وحكمة الله فى ذلك البالغة فهم أميون ولعل الحق سبحانه قد اختارهم وهو يعلم أنهم أقدر على حمل الرسالة وتبليغها من غيرهم ولما امتازوا به من صفات كريمة كالشجاعة والمروءة والنجدة وغيرها من الصفات التى تعين على القيام بعبء ما يلقى عليهم ولتكون أميتهم برهانا ودليلا على صدقه حتى فيما جاء به . وصدق الله العظيم حين يقول :

وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا

تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ

بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ

العنكبوت — ٤٨ — ٤٩

ومع كونه أميا فهو يتلو عليهم الآيات ويحملهم على طهارة النفس وزكاء الطبع ويخلق فيهم الضمير الحى والوازع الالهى وهو الذى يعلمهم القرآن والحكمة النافعة المأخوذة من حديثه وقوله وفعله فهو المثل الأعلى والقائد الأسمى الذى قاد أمته الى الحياة الصحيحة وأوصلهم الى مناهل العلوم والمعارف فى التشريع والقضاء والسياسة والاقتصاد **« وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »** فى جاهلية جهلاء وضلالة عمياء وأى ضلال أكبر من عبادة الأصنام .

وكما يعلم العرب الكتاب والحكمة ويزكيهم يعلم غيرهم وهم الذين لم يلحقوا بهم وسيلحقون بهم ، وهم الذين دخلوا الاسلام من العرب ومن غيرهم بعد الصحابة ، وقوله سبحانه « منهم » أى من الأمة الاسلامية اذ الاسلام لا يقر أو يعترف باختلاف الأجناس والألوان بل كل مسلم من أى جنس ولون هو عضو فى أسرة الاسلام وأخو المسلم فى أى مكان وأن بعدت الدار وشط المزار .

ولقد فرض سبحانه الايمان به صلى الله عليه وسلم فلا ايمان لمن لم يؤمن به صلوات الله عليه قال تعالى :

« فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا » .

التغابن — ٨

وقال سبحانه :

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

آل عمران — ٣١

وقال :

مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾

النساء — ٨٠

بل ان الله سبحانه وقد رفع قدره وأعلى شأنه ومجد ذكره جعل بيعته صلوات الله عليه بيعة له سبحانه فقال :

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ
اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

الفتح — ١٠

وأقسم بالقرآن وهو كلامه على صدق رسالته وصدق ما أنزل عليه . قال سبحانه :

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾

يس — ١ — ٣

وقال :

حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾

الدخان — ١ — ٣

وعن أدبه صلى الله عليه وسلم تحدث بعبارات هى غاية فى القوة والجلال فقال بعد أن نصره الله ببدر ليعلن أن النصر من عند الله وحده بعد الأخذ بالأسباب وأن ذلك النصر لحكمة يعلمها الله عز وجل قال له :

« ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » .

آل عمران — ١٢٨

وقال :

قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا
مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ
الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

الأعراف — ١٨٨

وذلك حين سأل المشركون عن الساعة فقال الله له .

قل انما أنا بشر فلا أملك لنفسى أى نفع ولا أدفع عن نفسى أى ضر الا ما شاء الله وأنا بشر لا أعلم الغيب وانما الغيب عند الله وحده فكيف تسألونى عن الساعة كأنى حفى بها .

وقال :

قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ

الأنعام — ٥٠

وذلك حين طلب المشركون منه آيات ليست فى مقدوره قال الله له قل لهم أنا لا أدعى لكم أن عندى خزائن الله أملكها واقسمها ولم أدع أنى أعلم الغيب الذى استأثر الله بعلمه ولست من الملائكة آتى بما لا يأتى به البشر . وانما أنا بشر

قد شرفنى الله بالنبوة وما أتبع الا ما يوحى الى فقط وقال :

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

الكهف — ١١٠

وقال :

وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

الزمر — ٦٥

وما أروع ما عاتبه به ربه فى قضية عبد الله ابن أم مكتوم ، وفى غزوة بدر فى قضية فداء الأسرى .... وهكذا .

كما يعلم المسلمين الأدب معه صلى الله عليه وسلم فى قوله فى سورة الحجرات :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

الحجرات — ٢

وقوله فى الآية قبلها :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

الحجرات — ١

ويقول فى سورة النور :

« لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » .

النور — ٦٣

ويقول آمرا له بالجهر بالدعوة :

فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾

الحجر — ٩٤ — ٩٥

ويقول **« يا أيها المدثر قم فأنذر » .**

المدثر — ١

ويقول :

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ

المائدة — ٦٧

فاذا حيل بينك وبين تبليغ رسالة ربك . فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين .

وفى وجوب اتباعه والعمل بسنته يقول سبحانه :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

النساء — ٨٤

ويقول :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

النساء — ٦٥

ويقول :

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

النساء — ٨٠

هذا : واجلالنا وتعظيمنا للرسول صلى الله عليه وسلم انما هو لما حباه الله به من فضل وما خصه به من تكريم سما ببشريته حتى أحلها فى منزلة دونها منزلة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ويرحم الله البوصيرى حين قال .

دع ما أدعته النصارى فى نبيهموا
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

وبعد . فهذه قطرة من فيض ما نفحنا به القرآن الكريم وهو يتحدث عن الحبيب المصطفى وسيرته التى كانت تجسيدا لما جاء به كتاب الله وكانت الأسوة لمن كان يرجو لقاء الله كما كانت للانسانية سفينة السلامه والنجاة فى الدنيا ويوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

حديث القرآن

عن شخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم

الدكتور محمد سيد طنطاوى

ان القارىء للقرآن الكريم ، بتدبر وتأمل ، يراه قد تحدث عن شخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — حديثا مفصلا شاملا .
حديثا جمع فى كلماته وتوجيهاته بين البشرية والنبوة ، والصدق والوضوح ، والارشاد والامتنان ، والتكريم والتشريف ، والتذكير والاعتبار ، والتأسى والطاعة ، والتسلية والتثبيت ، والعتاب والتوجيه ، والتلقين والتعليم ، والتأييد والدفاع ..
حديثا يزيد المؤمنين ايمانا ويقينا واستبشارا ، بأن اتباعهم لهذا الرسول الكريم ، هو عين الحق والخير والهداية .
واستطيع أن أقول بدون تردد : ان القرآن الكريم خير مصدر لمعرفة شخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — معرفة واضحة دقيقة ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وهذا البحث ما كتبته الا بعد أن رجعت الى القرآن الكريم ، فقرأت آياته ، وانتفعت بتوجيهاته ، فى حديثه عن الرسول — صلى الله عليه وسلم .

ومن أهم الجوانب التى فصل القرآن الحديث عنها ، بالنسبة لشخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — ما يأتى :

أولا — « الامتنان والاحسان »

لقد صرح القرآن فى كثير من آياته ، بأن الله — تعالى — قد امتن على المؤمنين — بل على العالم كله ، بأن بعث فيهم هذا الرسول الكريم ، لكى يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ، ويهديهم الى الصراط المستقيم .
ومن هذه الآيات قوله تعالى :

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

آل عمران : ١٦٤

والتلاوة : القراءة المتتالية المرتلة التى يكون بعضها تلو بعض .

والتزكية : التطهير والتنقية .

والمعنى : لقد أنعم الله — تعالى — على **المؤمنين** ، وأحسن اليهم ورحمهم ، حيث بعث فيهم **« رسولا »** عظيم القدر **« من أنفسهم »** أى : هذا الرسول الكريم من جنسهم ، وبشر مثلهم يعرفون حسبه ونسبه ، وصدقه وأمانته ، فى مختلف مراحل حياته .

وخص — سبحانه — منته وفضله بالمؤمنين ، لأنهم هم الذين انتفعوا بما جاء به — صلى الله عليه وسلم — من عند ربه .

وقوله — تعالى — **« يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »** بيان لمظاهر هذه المنة والرحمة ، بسبب بعثته — صلى الله عليه وسلم .

أى : بعثه ليقرأ عليهم آيات الله — تعالى — التى أنزلها لهدايتهم وسعادتهم ، وليطهرهم : من الكفر والمعاصى ، وليبين لهم المقاصد والأحكام التى من أجلها نزل القرآن الكريم ، وليشرح لهم ما خفى من ألفاظه ومعانيه .

فتعليم الكتاب غير تلاوته ، لأن تلاوته معناها: قراءته مرتلا . أما تعليمه فمعناه : بيان أحكامه وتشريعاته وهداياته ..

وليعلمهم كذلك **« الحكمة »** أى : الفقه فى الدين ، ومعرفة فرائضه وسننه وآدابه .. عن طريق أقواله وأفعاله — صلى الله عليه وسلم .

ثم ختم — سبحانه — الآية الكريمة ، ببيان حال الناس قبل بعثته — صلى الله عليه وسلم — فقال : **« وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »** .

أى : أن حال الناس أنهم كانوا قبل بعثته — صلى الله عليه وسلم — فى ضلال بين واضح، لا يخفى أمره على أحد من ذوى العقول السليمة، والأفكار القويمة .

فكان من فضل الله — تعالى — على الناس، ومن رحمته بهم ، أن أرسل اليهم رسوله ،

شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

الأحزاب : ٤٥ — ٤٦

وشبيه بهذه الآية قوله سبحانه :

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾

الجمعة : ٢

وقوله — عز وجل — حكاية عن سيدنا ابراهيم :

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

البقرة : ١٢٩

وقوله تعالى :

كَمَا أَرْسَلْنَا

فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

البقرة : ١٥١

أى : ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه ، الا عن طريق الوحى الذى اختص الله — تعالى — به رسوله محمدا — **صلى الله عليه وسلم — كأخبار** الأمم السابقة ، وغير ذلك من القضايا التى **لا مجال** لمعرفتها الا عن طريق الوحى .

ومن الآيات الجامعة لمعانى الامتنان والاحسان من الله تعالى — على خلقه بسبب ارسال الرسول — صلى الله عليه وسلم — فيهم ، قوله سبحانه : **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** قال

صاحب الكشاف : ارسل الله رسوله — صلى الله عليه وسلم — **« رحمة للعالمين »** لأنه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه . ومن خالف ولم يتبع ، فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها . ومثاله : أن يفجر الله عينا غديقة ، فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ، ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا . فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ، ورحمة للفريقين ، ولكن الكسلان محنته على نفسه ، حيث حرمها ما ينفعها »(١) .

وقال الامام ابن كثير : يخبر الله — تعالى — أنه جعل محمدا — صلى الله عليه وسلم — رحمة للعالمين . أى : أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة ، وشكر هذه النعمة ، سعد فى الدنيا والآخرة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، أدع على المشركين . فقال : **« انى لم أبعث لعانا ، وانما بعثت رحمة . وفى رواية : انما أنا رحمة مهداة »**(٢) .

وحقا لقد كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المنير .

وصدق الله اذ يقول :

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

التوبة : ١٢٨ — ١٢٩

ثانيا — « التفضيل والتكريم »

تحدث القرآن باستفاضة عن المناقب السامية، والدرجات الرفيعة ، والعطايا الكريمة ، والخصائص الفريدة ، التى منحها الله — **تعالى** — لنبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — **ومن** ذلك : تفضيله على غيره من الرسل — صلوات الله وسلامه عليه وعليهم :

ومن الآيات التى وردت فى هذا المعنى قوله — تعالى :

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ

البقرة : ٢٥٣

والاشارة بتلك الى جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم فى السورة الكريمة ، والذين أرسلهم الله لهداية البشر ، وأمرنا باتباعهم .

أى : أولئك الرسل الذين أرسلناهم بمقتضى حكمتنا **« فضلنا بعضهم على بعض »** بأن جعلنا لبعضهم مناقب وخصائص لم تتوفر فى البعض الآخر .

ثم بين — سبحانه — بعض مظاهر هذا التفضيل فقال : **« منهم من كلم الله »** أى : منهم من تشرف بتكليم الله ، كموسى — عليه السلام — قال تعالى : **« وكلم الله موسى تكليما »** .

وقوله : **« ورفع بعضهم درجات »** أى : ومنهم من رفعه الله — تعالى — على غيره ، مراتب سامية ، ومنازل عالية ..

والذى عليه المحققون من المفسرين ، أن المقصود بهذه الجملة الكريمة ، سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — لأنه هو صاحب الدرجات الرفيعة ، وصاحب المعجزة الخالدة ، وصاحب الرسالة العامة الناسخة لكل الرسالات قبلها .

وقد صرح بذلك صاحب الكشاف — رحمه الله — فقال : قوله : **« ورفع بعضهم درجات »** أى : ومنهم من رفعه الله على سائر الأنبياء ، فكان بعد تفاوتهم فى الفضل ، أفضل منهم درجات كثيرة .

والظاهر أنه أراد محمدا — صلى الله عليه وسلم — لأنه هو المفضل عليهم ، حيث أوتى ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقبة الى

---

(١) تفسير الكشاف جـ ٣ ص ١٣٨ — طبعة دار الكتاب العربى

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٨٠ — طبعة دار الشعب

الف آية أو أكثر . ولو لم يأت الا بالقرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الأنبياء، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجـزات .

وفى هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره، ما لا يخفى، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذى لا يشتبه، والمتميز الذى لا يلتبس .

ويقال للرجل : من فعل هذا ؟ فيقول : أحدكم أو بعضكم . يريد الذى تعرف واشتهر بنحـوه من الأفعال، فيكون أفخم من التصريح به، وأنوه بصاحبه .

وسئل الحطيئة عن أشعر الناس ؟ **فذكر زهيرا والنابغة ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث، أراد نفسه . ولو قال : ولو شئت لذكرت نفسى لم يفخم أمره »**(١) .

وهذا التفضيل والتكريم من الله لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستلزم وجوب طاعته واتباعه: صلى الله عليه وسلم .

ومن الآيات التى وردت فى هذا المعنى قوله ــ عز وجل : **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »** .

النساء : ٨

أى : من يستجب لدعوة الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويذعن لما يأمر به أو ينهى عنه، فانه بذلك يكون مطيعا لله ــ تعالى ــ لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مبلغ لأمر خالقه ونهيه .

قال الألوسى : قوله : **« من يطع الرسـول فقد أطاع الله .. »** بيان لاحكام رسالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ اثر بيان تحققها فى قوله ــ تعالى ــ قبل ذلك : **« وأرسلناك للناس رسولا »** .

وانما كان الأمر كذلك، لأن الآمر والنـاهى فى الحقيقة هو الله ــ تعالى ــ والرسول انمـا هو مبلغ للأمر والنهى، فليست الطاعة له بالذات، انما هى لمن بلغ عنه »(٢) كذلك من الآيات التى وردت فى وجوب طاعته واتباعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله سبحانه :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

آل عمران : ٣١، ٣٢

قال الحسن البصرى : قال قوم على عهـد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : **يا محمد اننا نحب ربنا** . فأنزل الله هذه الآية : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى »** .

وقال الامام ابن كثير : هذه الآية الكريمـة حاكمة على كل من ادعى محبة الله تعـالى، وليس هو على الطريقة المحمدية، بأنه كاذب فى نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى، فى كل أقواله وأعمـاله . كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : **« من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »**(٣) .

وقال سبحانه : **« قل أطيعوا الله والرسول »** للاشعار بأن الطاعة واحدة، وأن طاعة الرسول، هى طاعة لله ــ عز وجل .

ومن الآيات التى وردت فى هذا المعنى ــ أيضا ــ قوله تعالى :

« وما آتاكم الرسـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

الحشر : ٧

وقوله سبحانه :

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾

النـور : ٥١

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٩٧
(٢) تفسير الألوسى ج ٥ ص ٩١
(٣) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٣٥٨

وقوله عز وجل :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾

الأحزاب : ٣٦

وقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأنفال : ٢٠ ، ٢١

وجوب توقيره وتعظيمه ــ صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

الحجرات : ١ ــ ٣

وقوله سبحانه : ((**تقدموا**)) من قدم المتعدى. تقول : قدمت فلانا على غيره ، اذا جعلته متقدما عليه . وحذف المفعول لقصد التعميم .

قال القرطبى : أى : لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدى الله وقول رسوله وفعله ، فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا . ومن قدم قوله أو فعله على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد قدمه على الله تعالى ، لأن الرسول انما يأمر عن أمر الله ــ عز وجل(١) .

وقوله سبحانه : ((**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى**)) ، نهى عن أن يرتفع صوتهم على صوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند المخاطبة .

وقوله تعالى : ((**ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض**)) نهى آخر عن مساواة صوتهم بصوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند المحادثة .

أى : لا تخاطبوه بصوت مرتفع كما يخاطب بعضكم بعضا .

فالمقصود بالنهيين : احترامه وتوقيره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يخفضوا أصواتهم عند الكلام معه ، كما هو الحال عند مخاطبة أصحاب المنازل الرفيعة ، والدرجات العالية .

فالآية الكريمة تعليم من الله تعالى للمؤمنين ، أن يعظموا رسولهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأن يحترموه ، وأن يوقروه ..

قال القاضى أبو بكر بن العربى : حرمة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ميتا كحرمته حيا ، وكلا من المأثور بعد موته فى الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه ، فاذا قرىء كلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجب على كل حاضر أن لا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك فى مجلسه عند تلفظه به))(٢) .

وقوله تعالى : ((**أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**)) بيان لما يترتب على مخالفة النهى من مضار .

أى : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، مخافة أن تحبط أعمالكم ، ويذهب ثوابها وأنتم لا تشعرون بذلك .

ثم بين ــ سبحانه ــ حسن عاقبة من يلتزمون الأدب مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : ((**ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ..**)) أى : يخفضونها اجلالا وتعظيما له .

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٠٠

(٢) تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٠١

« أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقــوى » أى : أولئك الذين أخلص الله ــ تعالى ــ قلوبهم للتقوى ، بحيث لم يبق لغيرها شىء فى قلوبهم ، حتى لكأن قلوبهم صارت ملكا للتقوى التى هى صيانة النفس عن كل ما لا يرضى الله تعالى .

وهؤلاء الذين خفضوا أصواتهم اجلالا وتعظيما لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ **« لهم »** من الله تعالى ، **« مغفرة وأجر عظيم »** **لا يعلم** مقداره الا الله ــ عز وجل .

وقريب من هذه الآية فى المعنى قوله ــ تعالى:

« لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضــا » .

النــور : ٦٣

قال الألوسى ما ملخصه : أى : لا تقيسـوا دعاءه ــ صلى الله عليه وسلم ــ اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى حال من الأحــوال ، وأمر من الأمور التى من جملتها المساهلة فيه ، والرجوع عن مجلســه بغير اسـتئذان ، فان ذلك من المحـرمات ..

وقيل المعنى : لا تجعلوا نداء الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتسميته كنداء بعضكم بعضا ، فلا تنادوه باسمه ، بل نادوه وخاطبوه بالتوقير ، بأن تقولوا : يا رسول الله ، أو يا نبى الله ، مع تواضع وخفض صوت .. »(١) .

والمتدبر الآيات القرآن يرى أن الله تعالى ــ لم يخاطب نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ باسمه، وانما خاطبه بقوله : **« يا أيها النبى .. يأيهــا الرسول .. يا أيها المزمل .. يا أيها المدثر »** .

مع أنه ــ سبحانه ــ قد نادى غيره من الأنبياء بأسمائهم ، ومن ذلك قوله ــ تعالى : **« وقلنـا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة .. »** وقـوله سبحانه : **« قال يا نوح انه ليس من أهلك .. »**

أما النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يذكر اسمه فى القرآن فى نداء أو خطاب ، وانما ذكر فى غير ذلك كما فى قوله تعالى : **« وما محمـــد الا رسول قد خلت من قبله الرسل »** ..

آل عمران : ١٤٤

وقوله سبحانه :

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ

الفتح : ٢٩

وقد بشر الله ــ تعالى ــ الذين يوقرون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالفلاح فقال :

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

الأعراف : ١٥٧

أما الذين يؤذونه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو يستخفون بمقامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فان فعلهم هذا يؤدى الى كفرهم والى لعنهم ــ والعياذ بالله .

قال تعالى :

أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

التـوبة : ٦٣ ، ٦٦

(١) تفسير الألوسى جـ ١٨ ص ٢٢٤

نعمة النطق والبيان

الدكتور كمال محمد المهدى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه: وبعد فمن الأمور المعروفة المسلمة أن نعم الله كثيرة لا تدخل تحت عد ولا تقف عند حد ، ومن ثم وفر الله تعالى على عباده عناء عد نعمه وآلائه .

قال الله تعالى : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

ابراهيم — ٣٤

هذا ومن أجل نعم الله على عبده نعمة النطق والبيان اذ بها يستطيع أن يعبر عما يدور فى نفسه وأن يترجم عن مكنون سره .

ففى معرض الامتنان على الانسان بهذه النعمة الكبرى يقول تعالى :

ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤

الرحمن — ١ : ٤

كما يقول تباركت أسماؤه مذكرا عبده بما هيأه له من وسيلة النطق والبيان :

قال تعالى : « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين » .

البلد — ٨ ، ٩

وهنا حقيقة ينبغى ذكرها والكشف عنها وهى تنبيه الانسان الى أهمية اللسان ومدى تأثيره فى أعضاء البدن كلها فكأنه فيها ربان سفينة تسلم سفينته اذا صحت قيادته وتهلك اذا اختل أو ضل عن وجهته ، فأعضاء البدن مرهونة باللسان — صلاحا وفسادا ، استقامة واعوجاجا .

يصور هذا المعنى ويجليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه **« اذا أصبح**

ابن آدم فان الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول : اتق الله فينا فانما نحن بك ، فان استقمت استقمنا ، وان أعوججت أعوججنا »(١) .. بل ان النبى عليه السلام يذهب فى بيان أثر اللسان الى مدى أبعد من ذلك وأخطر حيث انه عليه السلام يعلق استقامة الايمان على استقامة اللسان فيقول مقسما على ما يقول لتأكيد المعنى وتقريره **« والذى نفسى بيده لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه »** .

أيها القارىء الكريم :

لتعلم أنه بقدر ما يكون فى النعمة من خير ومنفعة بقدر ما يكون فيها من مساءلة ومحاسبة. قال تعالى :

« ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » .

التكاثر — ٨

ولفظ النعيم هنا عام يشمل كل نعمة انعم الله بها على عباده ظاهرة كانت أو باطنة ، جلية كانت أو دقيقة ، فكل انسان مسئول عما ينطق به لسانه ، يحاسبه الله عليه ويجازيه به ، لذلك يتعين على كل مؤمن ومؤمنة أن يتدبر فيما يقول وأن يتفكر فيما ينطق وأن يعلم أن الله تعالى قد وكل به ملكين كريمين يسجلان أفعاله وأقواله حسنها وسيئها ، خيرها وشرها ، قال تعالى :

« وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » .

الانفطار — ١٠ : ١٢

وقال تعالى :

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾
مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

ق — ١٧ ، ١٨

قال مجاهد : وكل الله بالانسان مع علمه بأحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ، ويكتبان أثره الزاما للحجة ، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات ، والآخر عن شماله يكتب السيئات فذلك قوله تعالى :

« عن اليمين وعن الشمال قعيد » .

وقال الألوسى : والمراد أنه سبحانه أعلم بحال الانسان من كل رقيب حين يتلقى المتلقيان الحفيظان ما يتلفظ به ، وفيه ايذان بأنه عز وجل غنى عن استحفاظ الملكين ، فانه تعالى أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما ، لكن الحكمة اقتضت كتابة الملكين لعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد ، فاذا علم العبد ذلك مع علمه باحاطة الله تعالى بعلمه ازداد رغبة فى الحسنات وانتهاء عن السيئات **« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب »** **اى ما يتلفظ بكلمة من خير أو شر ، الا وعنده ملك** يرقب قوله ويكتبه (عتيد) أى حاضر معه اينما كان مهيئا لكتابة ما أمر به .

قال ابن عباس : **يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر ..**

وقال الحسن : **فاذا مات ابن آدم طويت صحيفته وقيل له يوم القيامة .**

« اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

وعلى نهج القرآن فى تنبيه الانسان الى خطورة لسانه ووجوب محافظته عليه سار النبى صلى الله عليه وسلم فلم يدخر وسعا فى نصح الانسان بالتريث قبل أن يتكلم والنظر فيما يقول فاذا وجد خيرا نطق به والا سكت يقول صلوات الله وسلامه عليه .. **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »** ..

---

(١) رواه الترمذى وابن خزيمة عن ابى سعيد وهو حديث صحيح ، ومعنى تكفر اللسان اى تذل وتخضع له .

ومقتضى ذلك أنه ينبغى على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهرت فيه مصلحة ، ومتى كان الكلام وتركه سواء فى المصلحة فالسنة الامساك عنه لأنه ربما يجره الكلام المباح الى كلام حرام أو مكروه ، وهذا كثير فى العادة ، والسلامة لا يعد لها شىء .

يقول المعلم الهادى صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل رضى الله عنه **« يا معاذ أنت سالم ما سكت فان تكلمت فعليك أو لك »** .

ويسأل معاذ رضوان الله عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فيجيبه صلى الله عليه وسلم قائلا :**

« وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم » .

فالكلمة الطيبة الصالحة تكسب صاحبها رضوان الله فى الدنيا وتسموا به فى الآخرة الى أعلى عليين ، والكلمة الخبيثة السيئة تورث قائلها سخط الله فى الدنيا وتهوى به فى الآخرة الى أسفل سافلين .

روى الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال **« ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه »** ..

وروى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقى لها بالا ، يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم »** وحسب الانسان اذا حفظ نفسه من شر لسانه وفرجه أن تكون الجنة مأواه .. قال صلى الله عليه وسلم **« من وقاه الله شر ما بين لحييه يعنى لسانه ، وشر ما بين رجليه يعنى فرجه ، دخل الجنة »** .

وحسب المسلم أن يعلم أن الكلمة الطيبة صدقة فليحرص عليها وليملأ خزائن حسناته عن طريقها فان الله عز وجل يقول :

« اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

فاطر — ١٠

ألا وان فضل الكلم الطيب كلمة التوحيد (لا اله الا الله) وان أخبث الكلم الخبيث كلمة الكفر والعياذ بالله .. قال تعالى :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

ابراهيم — ٢٤ : ٢٧

هذا مثل ضربه الله لكلمة الايمان وكلمة الكفر ..

روى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك قال : **« أتى النبى صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال : مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن**

ربها » قال هى النخلة .. « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » قال هى الحنظلة ، قال فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : صدق وأحسن » .

قال ابن الجوزى : « شبه ما يكسبه المؤمن من بركة الايمـان وثوابه فى كل وقت بثمرتها المجتناة فى كل حين .. **فالمؤمن كلما قال « لا اله الا الله »** صعدت الى السماء ثم جاء خيرها ومنفعتها ، والكافر لا يقبل عمله ولا يصعد الى الله تعالى لأنه ليس له أصل فى الأرض ثابت ولا فرع فى السماء » .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : **(الكلمة الطيبة « لا اله الا الله » والشجرة الطيبة « المؤمن » « وأصلها ثابت وفرعها فى السماء » أى أصلها راسخ فى الأرض وأغصانها ممتدة نحو السماء « تؤتى أكلها كل حين باذن ربها » أى تعطى ثمرها كل وقت بتيسير الخالق وتكوينه ، كذلك كلمة الايمان ، ثابتة فى قلب المؤمن ، وعمله يصعد الى السماء ، وينا له بركته وثوابه فى كل وقت « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » .**

أى يبين لهم الأمثال لعلهم يتعظون فيؤمنون **« ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة »** أى ومثل كلمة الكفر الخبيثة كشجرة الحنظل الخبيثة **« اجتثت من فوق الأرض »** أى استؤصلت من جذورها واقتلعت من الأرض لعدم ثبات أصلها **« مالها من قرار »** أى ليس لها استقرار وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة — وقوله تعالى :

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

القول الثابت : هو كلمة التوحيد وهى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتثبيت الله للمؤمنين بالقول الثابت فى الحياة الدنيا توفيقه سبحانه لهم بالاستمساك بها قولا واعتقادا ، وتأمينهم من الفتنة عنها ، والريب فيها بحال ..

وأما تثبيت الله للمؤمنين بالقول الثابت فى الآخرة فقد جاء بيانه فى السنة الشريفة ، روى الترمذى بسنده عن علقمة بن مرثد قال : سمعت سعيد بن عبيده يحدث عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى **« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » قال : فى القبر اذا قيل له « من ربك وما دينك ومن نبيك » .**

وروى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال **« المسلم اذا سئل فى القبر شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا » .**

وقوله تعالى :

« ويضل الله الظالمين » .

أى لا يهديهم فى الحياة ولا عند سؤال الملكين وبعد الممات **« ويفعل الله ما يشاء »** أى من هداية المؤمنين واضلال الكافرين .

نسأل الله تعالى أن يثبتنا وسائر المسلمين بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصل اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسوله سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

من

كلام رب العالمين عن سيد المرسلين

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ زكريا عامر البكري

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دعوة أبيه ابراهيم وولده اسماعيل اذ قال:

رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ سورة البقرة ١٢٩

وهو بشارة أخيه عيسى حيث قال تعالى:

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ سورة الصف ٦

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم أنزل عليه القرآن بالكمال الانساني الأعلى وأن مجرد نزول القرآن الكريم عليه صلوات الله وسلامه عليه يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم قد اجتمع فيه كل كمال انسانى يجعله المثل الأعلى للعالمين وان مرتبة تلقى القرآن الكريم عن الله تعالى تعطى أن صاحبها يكون متحققا ومتخلقا بجميع ما فى هذا الدستور الالهى الجامع للكمالات وأن مولانا فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى مؤلفه : الرسول صلى الله عليه وسلم لمحات من حياته ونفحات من هديه صفحة ٩ ، ١٠ يقول قدس الله سره اننا حينما نريد أن نكون صورة تامة عن رسول الله صلوات الله عليه فأن الطريق الوحيد لذلك انما هو الاحاطة بالقرآن احاطة تامة والاحاطة بالقرآن على هذا النسق ليست من السهولة بمكان بل ليست بممكنة فالقرآن فى كل يوم يتفتح عن معان جديدة للانسانية ويتفتح عن معان جديدة للشخص المتأمل المتدبر وهذه المعانى الجديدة انسانية عامة أو فردية شخصية انما هى ايضاح وتفسير للصورة النبوية الكريمة .

لقد أبان فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود رضى الله عنه ما يقرب للأذهان والأفهام والقلوب الصورة النبوية الشريفة فقال : لقد امتزج الرسول صلوات الله عليه بالقرآن روحا وقلبا وجسما وامتزج القرآن به عقيدة وأخلاقا وتشريعا فكان صلوات الله عليه قرآنا يسير فى الناس. الى هنا انتهى كلام الامام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود .

فلا يكون أمام الكتابة عن الذات المحمدية صلى الله عليه وسلم الا الرجوع الى ما قاله الله جل وعلا عن حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وفهم ما ذكره العلماء المفسرون لقول رب العالمين عن حبيبه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولما كان العلماء العاملون هم ورثة للأنبياء عليهم السلام والورثة طبقا للشريعة كل وارث يرث جزءا من مورثه وعلى ذلك يكون مع الفرض الجدلى انه لو اجتمع كل الورثة للأنبياء لكان العجز ظاهرا فى معرفة حقيقة الأوصاف المحمدية لأن الذى يصف شخصا لابد وأن يكون على قدر المحاذاة والله تبارك وتعالى يقول : **« يا نساء النبى لستن كأحد من النساء »** فيكون من باب أولى أن النبى صلى الله عليه وسلم ليس كأحد من الرجال والذى ليس كأحد من الرجال لا يستطيع أحد من الرجال أن يوصفه .

ومبلغ العلم فيه انه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

وبالرجوع الى بعض من كلام الله رب العالمين تبركا بآيات القرآن وتبركا بمن نزلت فيه آيات القرآن صلى الله عليه وسلم فقط ليس الا وليس من باب الوصف وليس من باب التعليق ولكن من باب الحب للذات المحمدية التى بذكرها تتنزل الرحمات وتمحى السيئات وتنال النفس هداها فنبدأ بفضل الله وببركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذكر بعض الآيات عن سيد السادات قال تعالى : **« وانك لعلى خلق عظيم »** حقا أن النبى صلى الله عليه وسلم ليس صاحب خلق عظيم فحسب بل خلقه صلى الله عليه وسلم أعلى من الخلق العظيم فهو صلى الله عليه وسلم أعلى من الخلق العظيم فكان فى جميع أحواله حركة وسكونا اشارة ونطقا وقلبا وقالبا صورة عملية للقرآن الكريم فكان اسوة وكان قدوة لذلك وصفه الله تبارك وتعالى بقوله : **« وانك لعلى خلق عظيم »** وقال تعالى عن حبيبه المصطفى **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** وفى صفحة ١٢٩ من كتاب نسيم الرياض فى شرح الشفاء للقاضى عياض يذكر ان صاحب الكشاف أجمل وأجمل فقال شارحا وما أرسلناك الا لنرحم بك العالمين بهدايتك لهم لسعادة الدارين .

وقال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾

سورة الأحزاب آية ٤٥ ، ٤٦

فهو السراج المنير والشاهد علينا والبشير النذير والداعى الى الله باذن من الله وقال تعالى: **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »** .

يا له من حب الحبيب لحبيبه وحب الله لرسوله كمال للذات المحمدية فى أن أطاعتها اطاعة لله عز وجل .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متصلا بربه صلة عبودية وحب، وكان الله سبحانه وتعالى متصلا بالرسول صلى الله عليه وسلم صلة عناية ورعاية وتوفيق ومن أجل هذه الصلة أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى اتخاذ الرسول اسوة فقال سبحانه :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

سورة الأحزاب ٢١

وقال تعالى :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

سورة آل عمران ٣١

حقا وصدقا أن محبة الله فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطرة الأشياء وطبيعة الأمور ان محبة الرسول من محبة مرسله لا يحتاج الى مناقشة أو جدال بل أكثر من ذلك فقد نهانا الله عز وجل عن مخالفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جل جلاله :

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

سورة الحشر ٧

اما السر فى ذلك انه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى فقال سبحانه :

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾
وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

سورة النجم ١ — ٤

ومن وجهة نظرى أنه يوجد فى عبارة « ان هو الا وحى يوحى » اسكات واعجاز لكل من يفكر أو يحاول أن يفكر أنه قادر على فهم الصورة المحمدية على حقيقتها أو تصوير هذه الشخصية الربانية كيف لا وسبحانه يقول **« ان هو الا وحى يوحى »** فصلى الله عليه وسلم هو وحى من الله يوحى اليه الله فالشخصية التى هى ما هى الا وحى يوحى حاشا القلم أن يوصفه الا بالعجز عن الوصف والتقصير فى الوصف لذلك كان العجز عن الوصف هو خير وصف بالنسبة لكل قلم وكل لسان .

محمدا وأسمه أنشودة لفمى
محمدا واليه الوصف يعتذر

قل للذى بات بالعلياء مفتخرا
هذا الذى باسمه العلياء تفتخر

وقال تعالى :

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

سورة النساء ٦٤

يقول الامام القرطبى فى تفسيره الجزء الخامس صفحة ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

روى أبو صادق عن على قال قدم علينا اعرابى بعدما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على راسه من ترابه فقال : قلت يا رسول الله فسمعنا

قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم » الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر انه قد غفر لك .

ومعنى « **لوجدوا الله توابا رحيما** » اى قابلا لتوبتهم .

وقوله تعالى :

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

سورة النساء ٦٥

وفى صفحة ٢٦٩ من الجزء الخامس لتفسير الامام القرطبى يقول لا يجدون فى أنفسهم ضيقا وشكا وقال الضحاك أى اثما بانكارهم ما قضيت ويسلموا تسليما أى ينقادوا لأمرك فى القضاء وقال الزجاج ويسلموا تسليما أى ويسلموا لحكمك تسليما لا يدخلون على أنفسهم شكا .

وقال تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ سورة الاسراء ١

يقول الامام القشيرى فى مؤلفه :لطائف الاشارات : المجلد الرابع صفحة ٥ ، ٦ ولما أراد أن يعرف لعباده ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من علو ما رقاه اليه وعظم ما لقاه به بقوله سبحانه « **أسرى بعبده** » ذلك أن منزلة العبودية هى أرقى سنام العلياء وتشريفه للنبى عليه الصلاة والسلام ويقال أخبر عن موسى عليه السلام حين أكرمه باسماعه كلامه من غير واسطة فقال « **ولما جاء موسى لميقاتنا** » وأخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه اسرى بعبده وليس من جاء بنفسه كمن اسرى به ربه فهذا مريد وهذا مراد .

ويقال أرسله الحق سبحانه ليتعلم أهل الأرض منه العبادة ثم رقاه الى السماء ليتعلم الملائكة منه آداب العبادة . حقا انه ليس أحد من الخلائق مثله صلى الله عليه وسلم فى نبوته ورسالته وعلو حالته وجلال رتبته والله يقول : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » أى عظموه فى الخطاب واحفظوا فى خدمته الأدب وعانقوا طاعته على مراعاة الهيبة والتوقير تفسير القشيرى صفحة ٢٩٦ مما تقدم يكون التبرك بالذات المحمدية واجب دينى لدى أهل القلوب ووصف كنه ذات الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلمها الا الله رب الأرباب هذا وبالله التوفيق .

الحياة في

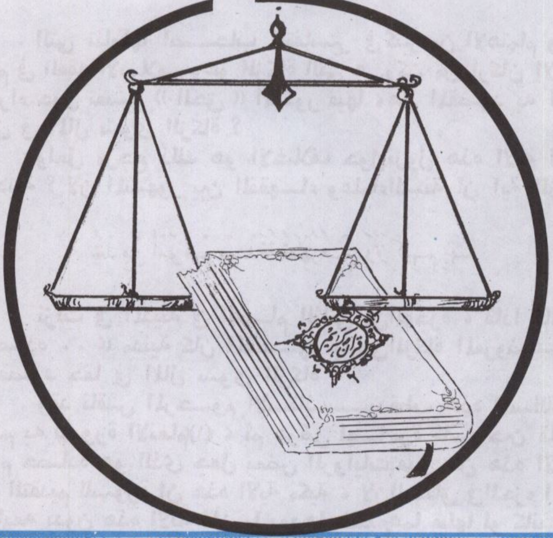

ظلال التشريع الإسلامي

نظرات فقهية في آية قرآنية

الدكتور محمد سعد فشوان

هذه الآية هى قول الحق تبارك وتعالى :

وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ

(سورة الأنعام ١٤١)

التى تناولها أصحاب التفاسير فى كثير من الاهتمام والدقة ، لتعلقها بموضوع هام فى الفقه الاسلامى وهو الزكاة التى هى ركن من أركان الاسلام ، وذلك لاختلاف الآراء حول تفسير « الحق » المذكور فيها ، هل المقصود به الزكاة المفروضة ؟ أم هو حق فى المال سوى الزكاة ؟

ولعل مرجع ذلك هو الاختلاف حول نزول هذه الآية أنزلت فى مكة أم نزلت فى المدينة ؟ لأن المشهور بين الفقهاء وعلماء السنة أن آية الزكاة :

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

سورة التوبة ١٠٣

نزلت فى المدينة فى العام الثانى من الهجرة ، فاذا كانت آية « وآتوا حقه يوم حصاده .. » مدنية كان المقصود بالحق الزكاة المفروضة ، واذا كانت مكية كان المقصود حقا فى المال سوى الزكاة .

وقد ناقش المرحوم الأستاذ سيد قطب هذه المسألة فى عرضه الشامل الذى قدم به لسورة الأنعام(١) ، ثم عرض لها مرة ثانية حين قال : « والأمر بايتاء حقه يوم حصاده هو الذى جعل بعض الروايات تقول عن هذه الآية انها مدنية ، وقد قلنا فى التقديم للسورة ان هذه الآية مكية ، لأن السياق فى الجزء المكى من السورة لا يتصور تتابعه بدون هذه الآية فان ما بعدها ينقطع عما قبلها لو كانت قد تأخرت حتى نزلت فى المدينة ، وهذا الأمر بايتاء حق الزرع يوم حصاده لا يتحتم أن يكون المقصود به الزكاة ، وهناك روايات فى الآية أن المقصود هو الصدقة غير المحددة ، أما الزكاة بأنصبتها المحددة فقد حددتها السنة بعد ذلك فى السنة الثانية من الهجرة(٢) » .

---

(١) فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، التاسعة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م ج ٨ ص ١٠٢٠ — ١٠٢٢

(٢) نفس المصدر ج ١٢٢٣/٨

ولعل من المناسب هنا أن نذكر بعض الآراء الواردة فى تفسير « الحق » فى الآية ، كما نص عليها بعض أصحاب التفاسير .

قال بعضهم : المقصود بالحق الزكاة المفروضة، واستندوا فى ذلك الى قول أنس بن مالك رضى الله عنه : **« وآتوا حقه يوم حصاده »** الزكاة المفروضة .

وقال آخرون : الزكاة المفروضة يوم يكال ، ويعلم كيله ، وأسند ذلك لابن عباس رضى الله عنهما ، وذلك أن الرجل كان اذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئا فقال الله تعالى : **« وآتوا حقه يوم حصاده »** وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد ، وما يلقط الناس من سنبله .

وقد روى عن جابر بن عبد الله أن النبى — صلى الله عليه وسلم — أمر من كل جاذ عشرة أوسق من الثمر بقنو يعلق فى المسجد للمساكين، وسند هذا الحديث جيد قوى .

وقال بعضهم : هو حق آخر سوى الزكاة ، واستندوا الى قول ابن عمر فى قوله تعالى : **«وآتوا حقه يوم حصاده»:** كانوا لا يعطون شيئا سوى الزكاة ، والى قول عبد الله بن رباح فى الآية نفسها : يعطى من حضره يومئذ ما تيسر، وليس بالزكاة ، والى قول مجاهد : اذا حضرك المساكين طرحت لهم منه ، والى قوله أيضا : عند الزرع يعطى القبضة ، وعند الصرام يعطى القبضة ، ويتركهم فيتبعون آثار الصرام ، والى قول سعيد بن جبير : كان هذا قبل الزكاة ، للمساكين القبضة ، والضغث لعلف دابته .

وقال جماعة : هذا شىء كان واجبا ثم نسخه الله بالعشر ، أو بنصف العشر .

راى ابن كثير فى هذه الآية :

ويرى ابن كثير أن فى تسمية هذا نسخا نظر ، لأنه كان شيئا واجبا فى الأصل ، ثم انه فصل بيانه ، وبيان مقدار المخرج وكميته ، قالوا : وكان هذا فى السنة الثانية من الهجرة ، والله أعلم(٣) .

اما قوله جل شانه : « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » فقيل معناه : لا تسرفوا فى الاعطاء فتعطوا فوق المعروف .

وقال أبو العالية : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ، ثم تباروا فيه وأسرفوا ، فانزل الله : « ولا تسرفوا » .

وقال ابن جريج : « نزلت هذه الآية فى ثابت ابن قيس بن شماس جذ نخلا له فقال : لا يأتينى اليوم أحد أطعمته ، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة ، فأنزل الله تعالى : « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » .

قال اياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله فهو سرف .

وقيل أيضا فى قوله تعالى : « ولا تسرفوا » لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء .

ويرى ابن كثير أنه مع التسليم بصحة هذه الآراء جميعها لكن الظاهر — والله أعلم — من سياق الآية ، حيث قال تعالى :

كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

سورة الأنعام ١٤١

ان يكون عائدا على الأكل ، أى لا تسرفوا فى الأكل ، لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى :

« كلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وفى صحيح البخارى تعليقا : « كلوا واشربوا والبسوا من غير اسراف ولا مخيلة » .

رأى القرطبى فى تفسير هذه الآية :

وقد خصص القرطبى فى تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » لهذه الآية عدة صفحات(٤) ، وعرض لها فى ثلاث وعشرين مسألة .

ومن المناسب — هنا — أن نعرض لبعض تلك المسائل مما لم نعرض له من قبل .

يقول فى المسألة الرابعة : فى قوله تعالى :

---

(٣) راجع تفسير ابن كثير ط. دار الأندلس ، الثالثة ١٤٠١هـ — ١٩٨١م ، ص ١١٠ ، ١١١

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، د. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م ج ٧/ ٩٧ — ١١١

كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ

سورة الأنعام ١٤١

فهذان بناءان جاءا بصيغة افعل أحدهما مباح كقوله :

« فانتشروا فى الأرض » .

والثانى واجب ، وليس يمتنع فى الشريعة اقتران المباح والواجب ، وبدأ بذكر نعمة الأكل قبل الأمر بايتاء الحق ، ليبين أن الابتداء بالنعمة كان من فضله قبل التكليف(٥) .

ويقول فى المسألة الخامسة : وقد تعلق أبو حنيفة بهذه الآية وبعموم ما فى قوله عليه السلام : « فيما سقت السماء العشر ، وفيما سقى بنضح أو دالية نصف العشر » فى ايجاب الزكاة فى كل ما تنبت الأرض طعاما كان أو غيره ، وقال أبو يوسف عنه : الا الحطب والحشيش والقضب والتبن والسعف وقصب الذريرة وقصب السكر ، وأباه الجمهور معولين على أن المقصود من الحديث بيان ما يؤخذ منه العشر ، وما يؤخذ منه نصف العشر ، قال أبو عمر : لا اختلاف بين العلماء فيما علمت أن الزكاة واجبة فى الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، وقالت طائفة : لا زكاة فى غيرها ، وقال مالك وأصحابه : الزكاة واجبة فى كل مقتات مدخر ، وبه قال الشافعى ، وقال أحمد أقوالا أظهرها أن الزكاة انما تجب فى كل ما قاله أبو حنيفة اذا كان يوسق فأوجبها فى اللوز لأنه مكيل دون الجوز ، لأنه معدود ، واحتج بقوله عليه السلام : « ليس فيما دون خمسة أوسق من ثمر أو حب صدقة » قال : فبين النبى — صلى الله عليه وسلم — أن محل الواجب هو الوسق(٦) .

وهناك أقوال وتفصيلات أخرى فى تلك المسألة يمكن للقارىء أن يرجع اليها — ان شاء — بالمصدر نفسه(٧) .

وقد ذكر فى المسألة السابعة اختلاف العلماء فى يوم الحصاد ، وبين أنهم اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال :

الأول : أنه وقت الجذاذ .

والثانى : يوم الطيب ، لأن ما قبل الطيب يكون علفا لا قوتا ولا طعاما ، فاذا طاب وحان الأكل الذى أنعم الله به وجب الحق الذى أمر الله به ، اذ بتمام النعمة يجب شكرها ، ويكون الايتاء وقت الحصاد لما قد وجب يوم الطيب .

والثالث : أن يكون بعد تمام الخرص ، لأنه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة فيكون شرطا لوجوبها .

والصحيح الأول ، لنص التنزيل ، والمشهور من المذهب الثانى ، وبه قال الشافعى .

وفائدة الخلاف : اذا مات بعد الطيب زكيت على ملكه ، أو قبل الخرص على ورثته(٨) .

ويقول فى المسأله التاسعة عشرة : وما بيع من الفول والحمص والجلبان أخضر تحرى مقدار ذلك يابسا ، وأخرجت زكاته حبا ، وكذا مابيع من الثمر أخضر اعتبر وتوخى وخرص يابسا ، وأخرجت زكاته على ذلك الخرص زبيبا وتمرا ، وقيل يخرج من ثمنه .

وفى المسألة الموفية عشرين يقول : وأما مالا يتثمر من ثمر النخل ولا يتزبب من العنب كعنب مصر وبلحها، وكذلك زيتونها الذى لا يعصر، فقال مالك : تخرج زكاته من ثمنه ، لا يكلف غير ذلك صاحبه ، ولا يراعى فيه بلوغ ثمنه عشرين مثقالا أو مائتى درهم ، وانما ينظر الى ما يرى أنه يبلغه خمسة أو سق فأكثر .

وقال الشافعى : يخرج عشره أو نصف عشره من وسطه تمرا اذا أكله أهله رطبا أو أطعموه(٩) .

وبعد ، فبالنظر الى أحوال الناس فى هذا الزمن نجد أن الكثيرين منهم لا يهتمون بفقه الآية السابقة على هذا النحو الرائع الذى قرأناه ، ويتهاونون فى اخراج الزكاة ، واذا كان المولى سبحانه قد نهى عن « الاسراف » وجعله مقترنا بايتاء الحق فى يوم الحصاد ، فان المرء يكاد يجزم بأن تلك الصورة المشرقة فى مجال البذل والعطاء ، والكرم والسخاء الذى يصل الى حد « الاسراف » قلما نعثر على صورة مثيلة لها فى هذا الزمن .

ان كل ما نطلبه ، ونؤمل فيه أن يتحرى المسلم هذا الأمر ، وأن يحمل نفسه على الوفاء به فى غير تفريط أو تقصير ، فيخرج زكاة ماله كما أوجب الله ، ويحرص على ايتاء الحق فيما يزرع يوم الحصاد للفقراء والمساكين ، والسائلين والمحرومين .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(٥) نفس المصدر ج ٩٩/٧
(٦) نفس المصدر ج ١٠٠/٧ ، ١٠١
(٧) ج ١٠١/٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤
(٨) نفس المصدر ج ١٠٤/٧ ، ١٠٥
(٩) نفسه ج ١٠٨/٧

بعثة

محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وسلم

والعقل

الدكتور عبد السلام محمد عبده

● لقد كانت بعثة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) انصافا للحقيقة التى حاول الباطل طمس معالمها ، وتحطيما لهذا السور السميك الذى كانت تستلقى وراءه هذه المسكينة حائرة خائرة .

● ولقد كانت رسالة محمد بن عبد الله أعظم رسالة عرفها التاريخ وكان جند القرآن أعدل رجال وعاهم الزمن وأحصى فعالهم فى تدويخ المستبدين وكسر شوكتهم طاغية اثر طاغية .

● لقد شيد محمد بن عبدالله بالقرآن عالما جديدا يهتز نضرة ، ويتألق عظمة ، يوم أن استنبت هذا الدين بحكمته البالغة من الرمم البالية التى استهلكتها الخرافة خير أمة أخرجت للناس جاءت فى أوانها لتصحح موازين القوى فى العالم ، وتعلى منار الحق فى الخافقين .

لست ممن يحسنون قرض الشعر ، ولا ممن يجيدون فهم بحوره وقوافيه ، لكنها أبيات محب مثلى جادت بها قريحته فصاغتها شفتاه دررا لتسمو الى شرف الاهداء لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى يوم ذكراه الحبيب ، فقال :

ذكراك عاطرة يفوح شذاها
فى الكون ريا أعلى الخليقة جاها
ذكرى لها اهتز الوجود بأثره
لما تجاوب فى الوجود صداها
يا مشرق النور الالهى الذى
سمت العقول بهديه اياها

لما ولدت ـ بمكة فتحدثت
بالفخر عنك وهادها ورباها
فى ليلة غراء تم ضياؤها
وتبددت ظلماتها ودجاها
قد أوفدت فيها السماء نجومها
الأرض نبئها بنبل مناها
وغدت ملائكة السماوات العلا
بالبشر تهتف حان مولد طه

انه العملاق الفارع الذى لم تشهد الدنيا قديمها وحديثها رجلا أعاد اليها صوابها ، وقاد سفينة حياتها فأحسن القياد كما شهدت فى هذا النبى

الخاتم : الذى جاءها على حين فترة من الرسل، وأذاع فيها ولها أنه رسولها حيث لا رسول بعده.

لقد امتاز هذا الداعى العظيم بصفات كريمة وخلال جليله صحبته منذ نعومته أظفاره حتى لقى ربه مرضيا عنه بعد أن بلغ الرسالة كأعظم مايكون البلاغ ، وأدى الأمانة كأكرم ما يكون الأداء .

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) بعقله وقلبه وخلقه ، وبما أوحاه الله اليه — قبلا وبعدا — خير جامعة تخرج منها عظماء الرجال ، فقد خط لهم بثاقب بصره وحكيم فكره دروبا أبكارا فى السياسة والشجاعة والاقتصاد بل والفضائل كلها وأضاء لهم سبلا كانت من قبله مظلمة ، وعلمهم الصدق والأمانة والعفة والقناعة ، وضرب لهم بجهاده وصبره بل ومثله العليا كلها المثل الصالح والقدوة الطيبة .

ولقد عانى طويلا طويلا ، وصبر على وعثاء الطريق كثيرا كثيرا فما اهتزت بالقياد يده ، ومابعد الطريق عن قدمه ، وماغاب الصواب عن صوابه، وماتاه معلم الحق عن ناظريه ، فظل — رغم ما لاقاه مما يذهب بحلم الحليم ، وحكمة الفيلسوف ، وشجاعة الجسور — ممسكا بدفة السفينة دون أن تهتز بالدفة يده ، أو يضطرب بالتوجيه رشده حتى أوصلها — بين الأعاصير والأنواء مصحوبة بسلامة الله (تعالى) الى شاطىء الأمن .

لقى الكثير فى مكة فصبر واحتسب ، ولقد كان يعلم منذ اليوم الأول الذى قلدته السماء فيه هذا الوسام الكريم أن رسالة الله ليست نزهة أو تسلية ، فان الذى أرسله قال له منذ اليوم الأول الذى أخبره فيه أنه مبعوثه الى العالمين

« انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » .

المزمل — ٥

ولذلك فقد قابل ايذاء القريشيين له بسعة صدر وعلو نفس،فلما هاجر الى المدينة ، وأرسى قواعد الاسلام هناك ، وأمل فى جوار اليهود خيرا ، فمد لهم يدا مسالمة وديعة ، لقد طال انتظارهم لمبعثه ، وها هو المبعوث الذى طال ارتقابهم لمبعثه قد جاء ، فماذا عليهم — اذن — وقد تحقق لهم ما صبوا اليه من غاية ، وما أملوا من هدف ؟!

الحق يقول لنا — طالما صدقت النية ، ونبل القصد — أن يبادروا الى الايمان برسالته ، والاقرار بنبوته ، لكنهم لم يفعلوا ، واذ لم يفعلوا فانهم لم يصمتوا ، لقد أعلنوها حربا على الاسلام لا تهدأ ولا تفتر فهاله (صلى الله عليه وسلم) أن يراهم وقد سلوا عليه سلاح الغدر والخيانة ثم تنكروا له بل وأعلنوا — يدفعهم حقد وحسد — أنه ليس النبى الذى أملوا فأطالوا التأميل فى مقدمه وأذاعوا تحت لوائه ، لينالوا سيسارعون بالانضواء تحت لوائه ، لينالوا شرف الدنيا وسعادة الآخرة .

ثم عملوا جاهدين على تقويض دعائم دعوته بأساليب شتى .

وبين انكار الوثنيين بمكة ، وتنكر اليهود بالمدينة شقت الدعوة لنفسها طريقا يبسا قطعته مصحوبة بسلامة الله (تعالى) الى حيث يكون الصدر والمقدمة ثم تقدمت والدنيا تسير من خلفها الى حيث تكون نصرة المظلوم ، وحفظ العهود ، ورعاية الذمم ، وصيانة الأعراض بل الى حيث يكون جاه الدنيا ونعيم الآخرة .

ورغم وضوح الآيات ونصوع البراهين التى تجعل العقل البشرى المنصف يذعن لعظمتها الا أن بعض المغالطين — قديما وحديثا — يتنكر لرسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فقد قرأت لأحد المستشرقين يصف رسول الله بأنه كان اقتصاديا لا يبارى ، وسياسيا لا يدانى ، وعسكريا ملهما خاض معاركه كلها بحكمة وحنكة لكن العيب الذى تورط فيه — بزعم هذا المستشرق الكاذب الماجن — دعواه أنه رسول الله .

وبالرغم من أن طلب الدليل على بعثة محمد ابن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) فى تقديرى لطلب اقامة الدليل على نسبة الضوء الى الشمس فى رابعة النهار لكنه .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن هنا كان ذكرنا لهذه الأدلة العقلية على مبعثه (صلى الله عليه وسلم) .

أولا : تصديق الله له :

فقد قام (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس الى الله وينسب اليه (تعالى) الكثير من القول والعمل فلم يكذبه ربه ولم يخذله مرسله كما فعل بالكذابين ، ولم يعرف فى السنن الالهية أن الله أيد فى دعوى النبوة كاذبا قط .

يقول المسيح (عليه السلام) :

«سيظهر بعدى أنبياء كذبة» فقيل ما علامتهم؟ قال « علامتهم أن الله لا يؤيدهم » .

ولقد نصر الله (تعالى) محمدا عبده ورسوله وامتد بساط دعوته فشمل المعمورة كلها كما أيده وحماه من كيد الكائدين له .

ثانيا ــ البشارات التى سبقت مبعثه :

فلقد تعددت البشارات بمبعث نبى آخرالزمان حتى تطلعت الأعين ، واشرأبت الأعناق ، وأرهفت الآذان لسماع ذاكم الصوت الملائكى الذى سيقيل العالم من عثرته ، ثم يقوده بهدى الله الى الحق والعدل .

فلقد بشر به كهان الوثنية ، ورهبان النصارى، وأحبار اليهود .

قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ

الصف ــ ٦

ثالثا : يرى ابن اسحق أن مصدر علم الرهبان من النصارى والأحبار من اليهود فى الأخبار بمبعث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرجع لما عرفوا فى كتبهم وما فيها من صفة النبى وأوصاف زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم لهم .

فماذا قالت كتبهم ــ اذن ــ ؟

لقد التقى الاسلام بفئتين من أصحاب الديانات السماوية وهما اليهود وكتابهم التوراة والنصارى وكتابهم الانجيل فماذا قال كلا الكتابين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(أ) تقول التوراة عنه :

« ٢ ــ فقال جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم »(١) .

وينقل الأستاذ العقاد نصا عبريا يترجم الى هذه العبارة « وقال ان الرب جاء من سيناء، ونهض من سعير لهم ، وسطع من جبل فاران، وجاء مع عشرة آلاف قديس وخرج عن يمينه نار شريعة لهم »(٢) .

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٣ ــ فقر ٢.
(٢) من كتاب مطلع النور ــ للعقاد

ودلالة هذا النص على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) واضحة لا التباس فيها ، وذلك للشواهد الآتيـة :

١ ــ ان فاران التى سيخرج منها هذا النبى الذى تتحدث عنه التوراة مكان بالجزيرة العربية ولم يأت نبى من شبه الجزيرة العربية بعد موسى (عليه السلام) غير محمد (صلى الله عليه وسلم) فدل على أن المقصود هو .

هذا ولا مكان لرأى من يرى أن فاران مكان فى سيناء ، فان الدلائل كلها حتى نص الكتاب المقدس لدى القوم يشير الى أن فاران فى الجزيرة العربية ، ودليلنا على ذلك .

● يثبت سفر العدد أن بنى اسرائيل ارتحلوا من سيناء الى فاران فيقول :

١ ــ « ارتحلوا من برية سيناء فحلتسحابة فى برية فاران » ومما لاشك فيه المرتحل اليه غير المرتحل منه » .

● يذكر المؤرخان «حيروم» و «يوسيفوس» أن فاران بلد من بلاد العرب على مسيرة ثلاثة ايام الى الشرق من أيله ، فهى ــ اذن ــ فى الجزيرة العربية .

لهذين الشاهدين نستطيع أن نقرر أن فاران مكان بالجزيرة العربية التى اهتزت جنباتها لصوت الحق الذى صدح به محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) فتحطمت له أصنامها وساخت فى الرمال تحت موطىء الداعى الى التوحيد .

٢ ــ لم يحدث أن نبيا جاء بشريعة بعد موسى (عليه السلام) غير محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والنص التوراتى يفيد أن هذا الموجه الجديد سيأتى بشريعة من عند الله ، فثبت أنه (صلى الله عليه وسلم) هو المقصود بهذا المعنى .

٣ ــ كذلك لم يحدث أن نبيا بعد موسى سار بقيادة عشرة آلاف قديس كما يثبت النص الذى معنا غير محمد (صلى الله عليه وسلم) فى يوم فتح مكة .

وتذكر جماعة الأحمدية الهندية أن هذه النبوءة تشتمل على ثلاثة أجزاء وهى :

ــ التجلى من سيناء ، وقد حصل فى زمن موسى عليه السلام وهو مشهور معلوم .

ــ التجلى من سعير أو جبل شعير وهو تجل حدث فى زمن عيسى (عليه السلام) .

ــ أما التجلى الثالث فمن أرض فاران وهى أرض التلال التى بين مكة والحديبية وذلك حدث فى زمن محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) .

من ميراث الرسول فى مجال الدعوة
الوعى بتأثير القيادة

الأستاذ محمود يوسف مصطفى

وضحنا فى مقال سابق أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعى بفطرته مايمكن للقادة تحقيقه من التأثير على من يدور فى فلكهم . وبينا أن النبى بذل اقصى جهده لكى تكتسب الدعوة من بين هؤلاء القادة مؤيدين حتى تخف حدة المعارضة للاسلام والمسلمين ، فدعا النبى الى الاسلام قادة الراى فى مكة وكذلك قادة الراى بين القبائل العربية وفى يثرب . وقد كشفنا عن الآثار الايجابية والسلبية على دعوة هؤلاء القادة الى الاسلام ونستكمل عبر هذه الصفحات الحديث عن وعى الرسول وصحابته بتأثير القادة من خلال الحديث عن :

اولا — دعوة قادة الراى من اهل الكتاب :

دعا الرسول وأصحابه اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام فأسلم منهم قلة كان على رأسهم **عبد الله بن سلام من بنى قينقاع** وكان حبرا عالما. فابن سلام هذا كان يستمد مكانته لكونه حبرا وقد كان للفظة الحبر عند اليهود أهمية كبيرة فانها تشير الى العلم والمعرفة فالأحبار اصحاب علم بالتوراة وبكتب الأنبياء . وليس أدل على مكانة عبد الله بن سلام القيادية عند اليهود من قول اليهود أنفسهم عنه « **هو سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا** » وذلك قبل أن يعلموا باسلامه .

وقد عارض دعوة النبى كثير من هؤلاء الأحبار من قادة اليهود .

• الدور التأثيرى الاتصالى لعبد الله بن سلام :

دعا عبد الله بن سلام اليهود فاتصل بهم وأفهمهم أن هذا النبى مذكور فى التوراة التى يقوم

هو كعالم من علمائهم بشرحها للناس ، ولكن اليهود أبوا عليه ذلك قائلين له ((**أنت شرفا وابن شرفا**)) . على أية حال فقد فضح ابن سلام اليهود وكشف سوء نيتهم وبين تناقض أقوالهم . كما هدى الله على يديه بعضا من أهله فعندما أسلم رجع الى أهل بيته فدعاهم الى الاسلام فأسلموا .

وباتصاله الشخصى دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام قائلا لهما قد علمنا أن الله تعالى قال : فى **التوراة** انى باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر .

• الدور السلبى لقادة الرأى اليهود :

أخذ قادة الرأى اليهود من احبار وغيرهم ــ كل حسب طاقته وامكاناته التأثيرية يبذلون جهودهم لتفتيت وحدة المسلمين وعرقلة الدعوة واحراج الرسول صلى الله عليه وسلم بالجدل والأسئلة ونعرض هنا لما قام به بعضهم على سبيل الاستشهاد :

(أ) أخذ شاعرهم كعب بن الأشرف ينظم أشعاره يعبر فيها عن استخفافه بالمسلمين وبانتصاراتهم ويتعرض لنسائهم بالقول الفاحش.

(ب) حاول شاس بن قيس وهو حبر من أحبارهم ــ الايقاع بين المسلمين حيث ذكر الأوس والخزرج بيوم بعاث فكادوا يتقاتلون لولا أن النبى تدارك الموقف .

(ج) حاول حيى بن أخطب واخوه أبو ياسر وهما من زعماء يهود ومن أشدهم حسدا للمسلمين حاولا جاهدين رد الناس عن الاسلام بما استطاعا .

ثانيا ــ دعوة الحكام والأمراء :

بين القرآن الكريم للرسول ما يمكن للقادة من الحكام ومن على شاكلتهم أن يحدثوه من تأثير على من سواهم : فقد وقفوا من دعوة نوح موقف المعارضة وروجوا عن نوح ما حكاه القرآن :

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾

الأعراف ــ ٦٠

والملأ هم الحكام والوجهاء وذوو السلطان فى قومهم .

وعارض هؤلاء دعوة هود واشاعوا عنه السفاهة والكذب كما حكى القرآن :

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾

الأعراف ــ ٦٦

وتجد هذه الأقوال والافتراءات والمزاعم من جانب الملوك والقادة من يستمع لها من العامة بحكم ما للملوك والقادة من نفوذ وسلطان يمكنهم من التغرير بالعامة واللعب بعقولهم والقرآن يؤكد ذلك فيما ذكره حكاية عن فرعون :

فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾

الزخرف ــ ٥٤

حتى أن من آمنوا بموسى كان يتربص بهم الخوف من فرعون وكبار القوم من اتباعه : قال تعالى

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ

يونس ــ ٨٣

ويفيد هذا النص القرآنى أن الذين اظهروا **ايمانهم وانضمامهم لموسى من بنى اسرائيل كانوا هم الفتيان الصغار لا مجموعة الشعب الاسرائيلى وان هؤلاء الفتيان كان يخشى من فتنتهم وردهم عن اتباع موسى خوفا من فرعون وتأثير كبار قومهم من ذوى المصالح عند أصحاب السلطان .**

وهكذا تنطلق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للملوك من **الرؤية القرآنية لمكانتهم ونفوذهم وقدرتهم على التاثير على تابعيهم .**

ومن هنا كانت الحكمة فى دعوة الحكام والزعماء واضحة فقد كانوا هم المسيطرين على شئون رعاياهم فى تلك العصور والمتصرفين فى أمورهم الدينية والدنيوية ، واسلام الزعماء كان يؤدى الى اسلام الأغلبية الكبرى من الرعية ومن البديهى أن الزعيم الذى لا يقبل الدعوة يبذل جهده فى عرقلتها والتصدى لها والصد عنها .

وخرج الحكماء من أصحاب رسول الله رسلا يحملون الكتب التى تدعو الملوك الى الاسلام . وقد اختلفت ردود أفعال هؤلاء الحكام من الدعوة الاسلامية وسوف نتخير هنا موقفين لهؤلاء الحكام من دعوة النبى : الموقف الأول للنجاشى الذى أسلم وقام بدور اتصالى مؤيد للدعوة الاسلامية ، والموقف الثانى للمقوقس الذى رفض دعوة النبى وان رد النجاشى ردا جميلا .

● موقف النجاشى :

يعد النجاشى ملك الحبشة قائد رأى فقد اجتمعت له هذه الصفة من زاويتين :

الأولى : ترجع الى أنه حاكم تدين له الحبشة بالطاعة والولاء .

الثانية : ترجع الى علمه الواسع واعتراف القائمين على أمر النصرانية حينئذ بذلك فقد كان النجاشى أعلم النصارى بما نزل على عيسى ابن مريم وكان قيصر يرسل اليه علماء النصرانية لطلب العلم .

أعلن النجاشى استجابته لدعوة النبى قائلا فى رسالته « اشهد انك رسول الله صادقا ومصدقا وقد تابعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين .

وقد ترتب على اسلام النجاشى نقطتان ايجابيتان هما :

دور النجاشى الاسلامى :

١ ــ قيام النجاشى بدور اتصالى مؤيد للدعوة الاسلامية :

دعا النجاشى الى الاسلام فى اتجاهين :

الاتجاه الأول :

بين قساوسته ورهبان النصرانية فقد مزر من خلال ذاته ما يؤكد توافق ما جاء به عيسى مع ما جاء به النبى محمد فقال « ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة . وقال للقسيسين والرهبان « أنشدكم الله الذى أنزل الأنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا (أى صفته ما ذكر له جعفر وأتباعه) قالوا ألهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى » .

وقد أقر الأساقفة وهم رؤساء النصرانية النجاشى واتبعوه .

اسلام عمرو بن العاص ودور النجاشى :

الاتجاه الثانى :

كان عمرو بن العاص هدف دعوة النجاشى وكانت تربطه علاقة صداقة بالنجاشى فقد كان يتردد على الحبشة كثيرا . وحاول النجاشى اقناعه بالاسلام يحركه فى ذلك دافع الصداقة والحرص على صديق له تربطه به المودة . فقال النجاشى لعمرو : كيف لم تؤمن بالنبى محمد وتتبعه وهو رسول من الله ؟ وسأله عمرو بن العاص : أهو كذلك ؟ وأجابه النجاشى : نعم فأطعنى يا عمرو واتبعه فانه والله لعلى حق وليظهرن على من خالفه .

ورأى عمرو بن العاص أن هذه الكلمات التى ترد من عالم من علماء النصرانية خير دليل على صدق النبى محمد فأسلم وتوجه من فوره الى

البقية ص ٦٠

حضارة الإسلام

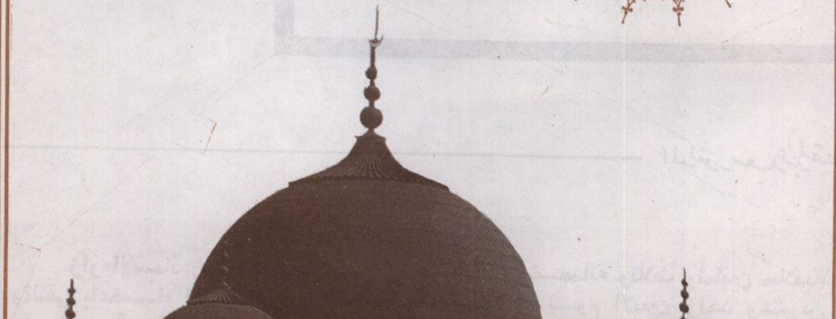

حول ١

محاضرة رجاء جارودى في مركز الدراسات القضائية

الدكتور سعد عبد المقصود ظلام

زار الأستاذ رجاء جارودى مصر فى سنة ألف وتسعمائة وثلاث وثمانين ميلادية والتقى بأعضاء المركز القومى للدراسات القضائية فى يوم الاثنين واحد وعشرين من مارس ، وقد ألقى الأستاذ رجاء محاضرة فى هذا المركز حضرها فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق والسيد المستشار سمير ناجى مدير المركز وقد حاول فى بداية المحاضرة أن يقيم تساؤلات ويسهم فى البحث عن الاجابات عليها

وقد حدد اتجاهين لعرض أفكاره :

الاتجاه الأول : لماذا أقبل على الاسلام بهذه السرعة ؟

الاتجاه الثانى : ما المشاكل التى تواجه مسلمى الغرب وتواجهنا ازاء بعض قضايا الشريعة الاسلامية ؟

أولا : أما السؤال الأول وهو لماذا أسلمت ؟ فقد قال اجابة عن هذا السؤال : « أعتقد أن اقبالى هذا ليس نقطة تحول وانما هو بمثابة ترق واستكمال ترجع أصوله الى جذور شخصيتى » .

ثم ذكر انه فى سنة ١٩٣٣ م أو قبلها بقليل ، وهو فى سن العشرين اجتاحت الأزمة الاقتصادية الولايات المتحدة وتركت آثارها على أوروبا فهزت العالم هزا ، وبدت صورة قاتمة للعالم كله متناقضة تمام التناقض ، فبينما كانت الأبقار تعدم فى هولندا كان أطفال العالم فى أمس الحاجة الى اللبن ، وبينما كانت النيران تضرم فى حقول القمح كان الناس يتقاتلون على الخبز فى ميناء جنوة .

يضاف الى ذلك أن هتلر وموسولينى بسلطتهما الدكتاتورية أحدثا هزة أخرى فى كل أرجاء العالم مما أضفى ظلالا غائمة فى نفوس شباب هذه الفترة ، فاسودت الحياة فى وجوههم وأحسوا بأنها نهاية العالم .

فى ظلال هذه الظروف يقول جارودى قمت بالاختيار المزدوج ويفسر ذلك الاختيار المزدوج بقوله : اخترت أن أكون مسيحيا (وقد ولدت فى أسرة ملحدة) وأن أنضم الى الحزب

الشيوعى ، وقد كان ذلك الاختيار على النقيض تماما مما ألفيت عليه أسرتى .

ويعلل لاعتناقه المسيحية مع أن أسرته ملحدة فيذكر أن ذلك كان محاولة لاضفاء المعنى على الحياة . بينما كان اقبالى على الماركسية بهدف الاستحواذ على المنهج والوسائل اللازمة لايجاد حلول للمشاكل المطروحة أمامنا آنذاك ولقد كان الحزب الشيوعى آنذاك هو الخصم اللدود لكل من الكهنوت والرأسمالية التى أدت بالعالم الى هذه النكبة أى لقد أقبل على الماركسية باعتبارها أسلوبا منهجيا يتناول مسيرة التاريخ بالدراسة ، كما يتناول المتناقضات بالتحليل بغية تجاوزها بعد ما وجد أن هناك انفصالا قائما بين المسيحية بحكم أسبقيتها تاريخيا وبين العلاقات الاجتماعية والسياسية بحكم معاصرتها يقول رجاء جارودى « وجدت أن المسيحية لم يكن يتوافر لديها ما ابتغيه من اجابات لذا كان من الضرورى استكمال المسيحية بأداة فعالة للتحليل الاجتماعى » .

ثم يقول : وقد كانت هذه الضرورة هى موضوع الحوار الذى قمت بتنظيمه والذى استمر على مدى خمسة عشر عاما بين العديد من المسيحيين والماركسيين ، فالرجل كما يقول عن نفسه مغرم بالحلول التوفيقية : يقول « لقد لبثت طيلة حياتى أبحث عن الحلول التوفيقية ، لذا استمسكت بالايمان كأسلوب لاضفاء المعنى على هذا العالم الذى يبدو فى ظاهره مفتقرا الى المعنى » .

لقد كانت الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى هزت العالم سنة ١٩٣٣م وظهور الدكتاتورية الضاغطة وتأثيرها على مجريات الحياة فى ايطاليا والمانيا والظروف السيئة التى احتوت العالم والصورة القاتمة المتناقضة التى سيطرت عليه ، كل ذلك كان له رد فعل على السيد رجاء جارودى فقام بالاختيار المزدوج الذى تحدث عنه فقد رفض ما وجد عليه أسرته التى كانت من وجهة النظر السياسية نصيرة للتقاليد ورفض الانسياق وراء التقاليد دينيا وسياسيا، وآثر المسيحية وانضم الى الحزب الشيوعى الفرنسى .

لقد القى التناقض الذى الفاه فى العالم من حوله بظلاله عليه ، فثار على الركود الذى كانت عليه أسرته الملحدة ورفض الانسياق وراءها فى تقاليدها ، وآمن بالمسيحية ، ثم انضم الى الحزب الشيوعى مناقضا تماما ما كانت عليه أسرته ، ومتناقضا مع نفسه فى نفس الوقت .

وهو فى ايثاره الانضمام الى الحزب الشيوعى يذكر انه انضم اليه لأنه وجد انفصاما بين المسيحية وبين العلاقات الاجتماعية والسياسية المعاصرة اذ لم تتوافر فى المسيحية ما كان يبتغيه من اجابات وحلول لذلك آثر أن يكون شيوعيا لأن الشيوعية فى نظره توفر له الأداة الفعالة للتحليل الاجتماعى باعتبارها أسلوبا منهجيا يتناول مسيرة التاريخ بالدراسة كما يتناول المتناقضات بالتحليل بغية تجاوزها .

ومن خلال هذا الصراع العقدى السياسى والاجتماعى ومن خلال رحلته الايمانية يمكن أن نتعرف على مفتاح شخصية الرجل ، فالرجل مغرم بالبحث عن الحلول التوفيقية بين الدين ولا دين كما أنه مغرم بالحوار بين الحضارات . والحوار بين المذاهب ، والحوار بين المسيحيين والماركسيين .

كما أنه مغرم أيضا بالازدواج ، مثل الاختيار المزدوج ، والافلاس المزدوج .

ويصور جارودى كيف حدث هذا التحول العام الذى جعله يعتنق الاسلام ، لقد أحس بالافلاس المزدوج ، افلاس الكنائس المسيحية من جهة ، وافلاس الأحزاب الشيوعية من جهة اخرى ، بعد أن وجدها تأخذ بنماذج التنمية التى أخذ بها العالم الرأسمالى فحدث ما يشبه الاحباط والارتطام من هنا « بدأ اهتمامى يتحول وخاصة بعد ما نشرت فى عام ١٩٤٦م كتيبا عن الاسهام التاريخى للحضارة العربية والاسلامية فقد وجدت أن الاسلام يضم بين طياته ما كنت أبحث عنه ، الا وهو ذلك الجمع بين هاتين الحتميتين ، حتمية الايمان وحتمية المنهج ، فان النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن فقط نبيا كما كان المسيح ، وانما كان أيضا رجل دولة وزوجا ورجل أعمال وقاضيا وقائد حرب ، لذا فلن يكون من المقبول أن يقول كما قال الانجيل : « ما لله لله وما لقيصر لقيصر » اذ أن الاسلام قد بين كيف يجب أن يكون سلوك قيصر ، بينما لم تكن الكنائس المسيحية تبين لنا ذلك » .

لقد عثر رجاء جارودى على ما كان يبحث عنه ، ووقف على الكنز الذى أجهد نفسه فى المحاولات المتكررة للعثور عليه .

لقد ظل رجاء جارودى أكثر من أربعين عاما باحثا عن الحقيقة تلك الحقيقة البعيدة القريبة التى تعب من أجلها كثيرا وأوقع نفسه فى سبيلها فى تناقضات أكثر، لم يدعه أحد الى الاسلام اذ لم يكن الاسلام قريبا من عالمه وحياته ولكن رحلته الايمانية بتناقضاتها أو صلته الى هذه القضية الغائبة، والتى وجد نفسه حين وجدها بعد أن كان تائها.

لقد كان الاختيار المزدوج الذى بدأ به تحرره من تقاليد الالحاد وربقته والتناقض الذى وقع فيه بين الكنيسة وعجزها عن معالجة مشكلات العالم المعاصرة، والشيوعية التى ابتغى عندها الاجابات المقنعة ولم يجدها.

وكان الافلاس المزدوج، افلاس الكنائس، وافلاس الأحزاب الشيوعية بعدأن تركت أدواتها فى التحليل الاجتماعى وأساليبها المنهجية التى تتناول بالدراسة مسيرة التاريخ وتتناول المتناقضات بالتحليل بغية تجاوزها، وبعد أن اقتنعت بأساليب العالم الرأسمالى فى التنمية.

كان كل ذلك معارج للترقى به وبروحه وبنفسه للوصول الى مرفأ الأمان الروحى والنفسى وقد ظل يبحث عنهما خمسين عاما من عمره أو تزيد.

هذا ما عرضه فى محاضرته خاصا باعتناقه الاسلام بهذه السرعة الشديدة.

ثانيا : أما الاجابة على تساؤله الثانى هو: ما المشاكل التى تواجه مسلمى الغرب وتواجهنا ازاء بعض قضايا الشريعة الاسلامية؟

فانه يقرر أن الصعوبة التى طالما اعترضت الحضارة الاسلامية هى ما اعتادته بعض الجماعات فى الغرب من تشهير متواصل بالاسلام.

ويذكر أن الخلافات القائمة بين الحضارة الاسلامية والغرب قديمة، بدأت منذ الحروب الصليبية أو قبلها خاصة فى فرنسا، وقد أرجع التشهير بالاسلام فى فرنسا الى مصدرين.

١ ــ الصهيونية ولها من النفوذ فى فرنسا مثل ما لها فى الولايات المتحدة.

٢ ــ المهاجرين الذين تم ترحيلهم من الجزائر بعد استقلالها الى فرنسا ولم يكونوا راضين عن الخلافات التى بين فرنسا والجزائر والعالم الاسلامى.

أما عن الانتقادات القديمة للاسلام أى فى غير فرنسا. فقد حاول الاجابة عليها بتساؤله هل محاولة البحث عن اجابات على هذه الانتقادات محاولة مشروعة؟ وهو سؤال فيه غموض والتواء.

ثم ان محاولة البحث عن اجابات تفرض عليه أن يقدم موجزا عن المنهج الذى ينتهجه لافهام القرآن ولنشر الاسلام فى الغرب، وهو لم يتعرف عليه مباشرة بل ولطالما شوه حقيقته.

وهو يلصق انتقادات الغرب للاسلام بالمنهج الذى اتخذه المسلمون لنشر الاسلام فى الغرب أى فى مجتمع لم يتعرف عليه مباشرة ولطالما شوه حقيقته. ثم اقترح أربعة عناصر أساسية لنشر رسالة الاسلام فى الغرب وتكفل فهم القرآن فى المجتمعات الغربية.

وهذه العناصر هى :

١ ــ ضرورة التركيز على الطبيعة الرمزية التى اتسمت بها فقرات كثيرة فى القرآن.

٢ ــ يرى أن الرسالة بمثابة تدخل تاريخى فى مسيرة شعب أو جماعة كما هو الحال بالنسبة الى الشعوب السامية التى ينتسب اليها اليهود والمسيحيون والمسلمون.

٣ ــ الرجوع دائما الى السياق الاجمالى لفهم التفاصيل.

٤ ــ لا يجب وضع كل شىء على نفس المستوى فهناك أوامر تتسم بأنها قاطعة وبأنها عامة جدا، بينما تتعلق بهذه الأوامر التى تتسم بالعمومية مجموعة من التفاصيل.

ومثل للعنصر الأول من هذه العناصر الأربعة بالاستعارة والمجاز فى القرآن الكريم يقول : فلقد حدثنا القرآن الكريم كثيرا بالرمز، وأن هناك من يفكرون ويفهمون هذا الأمر.

وهو يريد أن يقترب حديث الدعوة من أسلوب الانجيل حيث يلجأ الى الرمز فى حديثه فيعبر عن التجربة المرئية بصورة يستدل بها على حقيقة لا تدركها الأبصار.

وهو يدلل على ذلك بأن جميع النصوص التى وردت فى الأنجيل والتى تصور ملكوت الله ما عساه أن يكون، جاءت هذه النصوص فى سياق رمزى أو عبر صور بلاغية مستمدة من الحياة الزراعية وأطوار النمو النباتى يقول: «وأعتقد أن نمو حبة القمح على وجه الخصوص صورة بلاغية واردة فى القرآن».

ويرتب على هذا قوله: «ألا يكون من الممكن أن يتوجه الله فى خطابه الى الانسان الا رمزا والا بلغة الأمة المتوجه اليها بخطابه كما هو الحال فى القرآن والا يتمكن الانسان من الحديث عن الله

الا رمزا كل تلك الأمور ضرورة فرضتها الذات العلية لله فهو ليس كمثله شىء فهو لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . كما أنه ليس من الممكن ادراكه بالاستعانة بالفكر النظرى المجرد ، غاية ما فى الأمر أنه يستدل عليه من خلال تشبيه بلاغى ، أو بالنص على نفى الالوهية عن كل ما عداه ، وان ذلك لوارد فى القرآن ولدى المسيحيين » .

وقد ورد فى القرآن « **يد الله فوق أيديهم** » وليس لله يد ، ولكن المتصور الرعاية والرحمة .

وذكر أن هناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ، وهو يود سماع رأيكم فى هذا الشأن يقصد رأى الحاضرين أو رأى شيخ الأزهر الذى كان حاضرا ، فلم يكن حديث كبار المتصوفين عن الله سواء فى الاسلام أو فى المسيحية الا شعرا ، وترك النثر للحديث عن الأشياء والأفكار .

فهل معنى هذا أنه يريد أن لا يواجه الدعاة للاسلام المبشرين من المسيحيين أو دعاة الشر والتقول والطعن على القرآن بالرأى المباشر الصريح المقتنع المفحم ؟ أو هو يريد أن يكون الاسلوب الشعرى أسلوب الدعوة لاعتناق الاسلام ، ويترك النثر فى محيط الدعوة والمحاورة لأن الشعر أقدر على اجتلاب الأفئدة والأسماع وأدعى الى التأثير والاستحواذ على المشاعر .

ان لكل من الشعر والنثر دورهما فى مجال القول فللشعر مجاله فى ايقاظ العواطف واستمالتها واستهوائها وللنثر مجاله فى ايداع الحقائق وبسطها وعرضها والحوار الرائع الخصيب الذى يدع الخصم الزائغ العقيدة وهو راضخ للرأى مقتنع بالحقائق وقد يحمل الشعر عرض بعض الحقائق ، ولكنه يمسها مسا ، ولا يعرضها العرض العقلى الذى يقوم به النثر ويبرع فيه ، فالشعر مجاله العواطف والنثر مجاله العقل ولابد من مؤازرة العقل والعاطفة ، وهذا ما فعله المسلمون فى صدر الدعوة ،حيث كان الشعر له دوره الخطير ، وكانت الخطابة والعظة والفتيا والحديث بالنثر .

اذا كان جارودى يريد ذلك ، فانه يكون قد نسى تحديد الدور ومجال القول لكل من الشعر والنثر ، ولهجة كل منهما ونجاحه وصدقه فى أداء ما حدد له ، ولقد جمع القرآن الكريم بين الحسنيين حيث تآثرت فيه مهارة العقلى مع وشى العاطفة فكان الفضل من الجانبين والحسن من أطرافه .

ويمكنا من خلال هذا الرأى أن نقول : انه يجب استثمار الفنون فى مجالات الدعوة وعرض الحقائق من خلالها عرضا مثيرا ، فالشعر لسان من ألسنة الدعوة والمقامة النثرية ، والخطابة البليغة ، والصورة والقصة والملحمة والتمثيلية والكتابة التاريخية كلها ألسنة من ألسنة الدعوة لم نستعمل أغلبها حتى اليوم ، ونحن نعلم تأثيرها وسطوتها . لابد لنا من الولوج من كل أبواب العقل والعاطفة .

ولكن المقارنة بين القرآن والانجيل مقارنة باطلة وغير معقولة ، فالانجيل لم يدون الا بعد فترة طويلة من رفع المسيح ، وقد تدخلت فيه ذاتية واضعيه وحرفهم ومهنتهم ، فكان لكل انجيل ذوق واضعه وأثر حرفته فكان انجيل لوقا فيه أثر الطب لأن لوقا نفسه كان طبيبا ، وكان برنابا فيلسوفا وقد نضح ذلك على انجيله وهكذا فأصوات الأناجيل مختلفة وأساليبها مختلفة ، وادعاء الأستاذ رجاء أن جميع النصوص الواردة فى الانجيل التى تفيد فى تخيل ملكوت الله جاءت فى سياق رمزى وعبر صور بلاغية مستمدة من الحياة الزراعية وأطوار النمو النباتى ، « ادعاؤه هذا غير صحيح ولا ينهض على أساس عقلى أو واقعى سليم » .

فاذا كان الأخ رجاء يقصد الى المقارنة بين الانجيل أو بتعبير أصح الأناجيل وبين القرآن، فالمقارنة باطلة لما أسلفنا ، ولان كل أمة لها أسلوبها فى الخطاب والقول والانجيل خاص بشعب بعينه ، والقرآن نزل لجميع الشعوب ، وكافة البشر يسره الله للذكر وقربه لكل طالب معرفة ، ولكل غرض أسلوب ولكل فئة أو طائفة خطابها يضاف الى ذلك أن الاسلوب الرمزى فى حد ذاته مشكلة ، وهو لا يفيد فى كل الظروف والأحوال ، ولا يقع من كل النفوس موقعا واحدا ، وما استشهد به من قوله تعالى : « **يد الله فوق أيديهم** » اختلفت مذاهب العلماء فى تفسيرها اختلافا شديدا .

يضاف الى ذلك أيضا أن القصد الى توصيل القول وكشف الغامض وتوضيح الحقائق انما يحتاج الى الوضوح والاعراب وهما خاصتان من خصائص العربية التى كان الاعراب وهو الوضوح والابانة من خصائصها وهو مشتق من حروفها وربما كانت الحقيقة ببساطتها أروع وأجلى فى عرض الأفكار من تشقيقات الاستعارة وضروب المجاز فالحقائق قد تكون المثلى فى ينابيع الأساليب، والى لقاء مع العنصر الثانى وهو تدخل الرسالات فى مسيرة الشعوب فى الحلقة الثانية .

الإعجاز الطبى

فى القرآن الكريم

الصعود فى السماء

الدكتور السيد الجميلى

قال تعالى فى كتابه العزيز :

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ

الأنعام — ١٢٥

وشرح الصدر للاسلام يكون بانبساطه ، واطمئنانه ، وسكينته ، يقال شرحت اللحم : اذا فتحته ، والصدر الحرج هو الذى ضاق فلم يجد منفذا الا أن يصعد فى السماء ، وهو ليس قادرا على ذلك ، وهذا المعنى مذكور فى جامع البيان فى تفسير القرآن للامام الطبرى (٨/٢١ — ٢٣) وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : « معناه يوسع قلبه للتوحيد والايمان » اهـ .

وقد ثبت من الوجهة الطبية والعملية أن الارتقاء والارتفاع فى الجو الى مسافات بعيدة يؤدى الى ضيق التنفس ، وانقباض الصدر وهذا معزو الى :

أولا : انخفاض معدل الأوكسيجين فى المرتفعات العالية تدريجيا ، شيئا فشيئا حتى يكاد يكون منعدما تماما على ارتفاع ٦٨ ثمانية وستين ميلا تقريبا ، ومن غير المعقول أن تستقيم الحياة أو تستمر فى هذا الجو الخانق غير اللائق وغير المناسب للحياة لانعدام الأوكسيجين المطلوب للعمليات الحيوية والبيولوجية لخلايا جسم الانسان .

ثانيا : انخفاض الضغط الجوى تدريجيا مع الارتفاع والبعد عن سطح الكرة الأرضية ، وهذا يؤدى الى نقص معدل انتشار الأوكسيجين وتوغله فى الدورة الرئوية الدموية .

فضلا عن تمدد الغازات فى المعدة والأمعاء نتيجة هبوط الضغط الجوى ، ومن ثم يرتفع الحجاب الحاجز الى أعلى فيضغط على الرئتين فيعوق تحركهما .

ولقد سبق القرآن الكريم الى هذه الظاهرة الطبية الكونية فى أسلوب رصين قويم يؤكد أنه تنزيل من رب العالمين خالق كل شئ جل شأنه .

جلود الكافرين فى النار

يحفل القرآن الكريم بالأمثال المضروبة ، والتشبيهات القوية ، والتعبيرات المعبرة ، والدلائل العميقة التى تؤدى الى النتائج المرجوة فى دقة ولطف وعمق .

وليس أقبح من الشرك ، ومن الكفر بآيات الله البينات لذلك حق على الكفار أشد العذاب .

وقد صور القرآن شدة هذا العذاب فى اروع صورة وادق بيان ، وأجلى توضيح فاشار الى ان هؤلاء الكفار المعاندين المكابرين سيلاقون اشد العقوبة ، وامعانا فى هذا التعذيب والتنكيل ستبدل جلودهم جلودا أخرى حتى يتسنى مضاعفة شعورهم بالعذاب والألم ، قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ العذاب

النساء — ٥٦

قال الامام الحسن رضى الله عنه : « تنضجهم النار فى اليوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فعادوا كما كانوا » أهـ .

وقد ثبت بالتحليل المجهرى وبالتشريح الميكرسكوبى أن الجلد غنى بالألياف العصبية التى تستقبل وتنقل جميع أنواع الحس من الجو الخارجى المحيط بالجلد .

وعندما يتعرض الجلد للاحتراق — نظرا لكثرة أعصابه — يكون احساسه بالألم عنيفا وشديدا ، اذ أن مستقبلات الألم فى الأعصاب وكذا مستقبلات الحرارة ، وهى موجودة فى صورة جسيمات دقيقة فى الأدمة ، وتحت الأدمة ، وقد سماها الأطباء جسيمات رافينى .

علاج الأكمه والأبرص

« وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى » .

المائدة — ١١٠

اكتشف الطب علاجا نافعا — بعد جهد جهيد — لبعض حالات البرص ، ولا يزال أمام كثير من حالات العمى — قاصرا الى حد كبير .

ومعنى الآية الشريفة : أى تشفى — يا عيسى — الأعمى الذى لا يبصر ، والأبرص الذى استعصى شفاؤه وعلاجه بأمرى ومشيئتى .

ثم عقب بقوله تعالى « واذ تخرج الموتى باذنى » فكرر جل شأنه لفظ « بأذنى » تاكيدا على أن الشفاء واخراج الموتى مرهون باذن الله ، ومنوط بارادته ، وقد جاء هذا ردا على من نسبوا الربوبية الى عيسى ، وهذا أبلغ رد وافصح بيان .

ونخلص من هذه الآية الى نتيجة جامعة مفيدة نافعة وهى أن علاج الأمراض ليس وقفا على العقاقير والأدوية فحسب ، بل ان اليقين الايمانى بقضاء الله وقدره من أهم أسباب القوة والمعونة التى بها يتقوى الجسم البشرى ازاء جحافل المرض العاتية .

وليس بدعا ولا غريبا أن يقال ان التوكل على الله سبحانه وتعالى قد كان ولا يزال وسيبقى معولا عليه فى الشفاء من كثير من الأمراض الى درجة كبيرة ، أهمها الأمراض النفسية وكثير من الحالات التى يتوعر ، ويتعذر علاجها الدوائى محتاجة فى اتمام مأموريتها الى بعض المهدئات والمطمئنات المناسبة .

ونحن نرى الأطباء المتخصصين يستعينون فى كثير من الأحيان بهذه المهدئات النفسية جنبا الى جنب مع العقاقير الكيماوية فتكون النتيجة أكثر توفيقا فيتحقق بها المطلوب فى أسرع وقت مما هو مظنون ، ومتوقع .

خلق الانسان من ماء دافق

الانسان مصنوع الله ، ومخلوقه ، وفى خلقه ودقة انشائه اعجاز مستمر يأخذ بالأفهام والألباب ، ومما يثير الفضول والاعجاب انما هو دقة التركيب ، واتقان البناء الأولى للخلايا والأنسجة البدائية فى الجبلة الانسانية .

قال تعالى :

« خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، انه على رجعه لقادر » .

الطارق — ٦ — ٨

والماء الدافق هو (المنى) أو السائل المنوى الصادر عن صلب الرجل ، ومصدره الحويصلتان المنويتان فضلا عن افرازهما مادة مغذية من الفركتوز ، وهو سكر الفاكهة .

وفى قوله تعالى : **« يخرج من بين الصلب والترائب »** دلالة على أن الصلب والترائب كل أحد منهما يتعاون مع الآخر على اخراج هذا

السائل الحيوى . والصلب معروف عند الرجل ، أما الترائب فهى معلق الحلى من الصدر ، وهى جمع (تريبة) كما ذكر الطبرى فى تفسيره (٩٣/٣٠) والقرطبى (٥/٢٠) وابن منظور فى اللسان (٢٢٣/١) ، ونستطيع أن نقول ــ بحمد الله ــ ان تفسير الآية : أنك ايها الانسان مخلوق من ماء دافق (المنى) من صلب الرجل ، عندما يخصب (البويضات) من ترائب النساء ، فتكونت الجبلة الأولى ، وهذا هو التفسير الطبى والعلمى للآية الشريفة ، وهو شديد القرب من تفسير الامام ابن كثير ، فأرجو مراجعته فى مختصره (٦٢٩/٣) بتصرف .

السمع والبصر والفؤاد

قال تعالى :

« وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة » .

المؤمنون ــ ٧٨

وقال أيضا :

« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

الاسراء ــ ٣٦

ولا أحد يجهل مقدار قيمة السمع والبصر فى حياة الانسان حيث لا يمكن أن يتم ادراك الموجودات بغير هاتين الحاستين الضروريتين ، ونحن ندرك ما يعانيه الأصم والأعمى وما يكابده كل منهما من مشاق ومتاعب .

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد ذكر السمع قبل الابصار فى ترتيب السياق ، والسر فى ذلك أن وظيفة السمع تبدأ عملها ، وتمارس وظيفتها قبل وظيفة الابصار ، أو قبل ممارسة العين للابصار .

فقد لوحظ ابتداء وظيفة السمع فى الشهر التاسع من الحمل تقريبا ــ أى آخر مدة الحمل ــ بيد أن عملية الابصار لا تتم الا بعد أيام من الولادة .

وهذا ليس حدسا وظنا وتخمينا ، انما هو نتيجة علمية لبحوث تخصصية مدروسة ، ونحن نعلم أن النتائج العلمية لا ينتهى اليها الا بعد تجريب دقيق ، وتطبيق متواتر لا يجعل للحدس أو التخمين موضعا أو مظنة .

نقطة أخرى جديرة بالاشارة اليها ، والتنويه عنها ، الا وهى أن فقدان السمع يؤثر على الطاقة العقلية ، وعلى الجهاز النفسى تأثيرا بالغا ، ناهيك عن الطاقة العضلية الأخرى ، وهذا نجده واضحا جليا لا مرية فيه ، أما العمى ــ للبصر ــ فقد يسبب شحذا للقريحة ، ويزيد من الطاقة النفسية على النقيض تماما من الصمم .

هذه الاشارات القرآنية الطبية النافعة تؤكد يقينا لا يقبل الجدل أو الارتياب ــ أن القرآن تنزيل رب العالمين لهداية البشر واخراجهم من الظلمات الى النور .

اللبن الحليب وقيمته الغذائية

لا جرم أن اللبن الحليب من أنفع وأطيب المواد الغذائية ، كما أن مشتقاته المختلفة ذات فوائد عظيمة لزيادة قوة الجسم وامداده بالنشاط والقوة والحيوية والبناء .

وقد أبان القرآن الكريم ذلك ووضحه فى روعة التعبير ، ودقة العبارة ــ بيانا لا مزيد عليه فى قوله تعالى :

« وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » .

النحل ــ ٦٦

وتذكير (بطونه) ليس عائدا على الأنعام ، ولكن عائد على النعم ، والنعم تذكر وتؤنث كما ذكر صاحب مجاز القرآن (٣٦٢/١) فراجعه ان شئت .

والفرث : ما فى الكرش .

وفى قوله تعالى : **« من بين فرث ودم لبنا »** ذلك لأن أصل اللبن فى البداية كان طعاما فانتهى هذا الطعام الى الدم الذى يجرى فى العروق والأوردة والذى لا يلبث أن يتحول الى اللبن بعد ذلك ، وهذا اللبن سائغ للشاربين ، أى مقبول مستحسن غير مستغنى عنه .

راجع معنى هذا وقريبا من تفسير الآية فى تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (١٢٤/١٠).

والواقع الذى لا يقربه امتراء أو افتراء أن الدم الجارى الدافق فى الدورة الدموية هو المغذى الذى يشحن الغدد الثديية بالغذاء اللازم لنموها وهو الحافز لها على افراز اللبن الطبيعى ، وهذه الغدد بهذه الصورة مثلها مثل باقى أعضاء وأجهزة الجسم الأخرى .

والعبرة المأخوذة غير الخافية على أحد أن الأنعام تتغذى على أعشاب كثيرة تعطى لبنها دسما وقوة وكثافة ، كما أن وليدها سرعان ما يعتمد على الغذاء الخارجى ، لذلك يصبح غذاؤه من أمه (اللبن) ــ ثانويا غير أساسى على النقيض من الطفل الذى يعتمد اعتمادا جوهريا على لبن أمه ولا يمكنه التعويل على الغذاء الخارجى قبل حولين كاملين تقريبا .

هذه قدرة الله الواسعة غير المحدودة فسبحانه وسع كل شىء رحمة وعلما .

السموات

الدكتور محمد أحمد الشهاوى

ان التفكر فى خلق السموات والأرض يدعونا لمعرفة السماء ، والسموات السبع والسموات على اطلاقها .

فالسماء هى ما سما أى علا وارتفع ، ولا تكون سماء الا لأرض أو نحوها ، فالسماء سقف ولا يوجد سقف الا اذا وجد بناء أو ما يشابهه ، وكما يقال سقف المسجد وسقف المنزل وسقف المبنى فانه يصدق أن يقال سماء الأرض وسماء الزهرة وسماء المريخ .

قال تعالى : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون »

(الأنبياء : ٣٢)

وسماء كل جرم كونى تحيط به من كل اتجاه ، لأن الأجرام الكونية ذات أشكال كروية أو شبه كروية ، وتبدأ السماء بالقرب من سطح الجرم وتصل الى أقصى ما تمتد اليه الأبصار من نجوم ومجرات .

اولا ــ السماء المعرفة هى سماء الأرض :

وتبدأ بالغلاف الجوى حيث ينزل المطر وتسبح السحب بأنواعها المختلفة . قال تعالى :

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

(البقرة : ٢٢)

وفى آية أخرى : « **وارسلنا السماء عليهم مدرارا** » .

(الأنعام : ٦)

ومن السماء أيضا جزء الغلاف الجوى الذى تتوالد فيه الشحنات الكهربية داخل بعض أنواع السحب ، فاذا ما اقترب بعضها من بعض حدث التفريغ الكهربى على صورة شرارة تلمع فى الظلمات التى تسببها السحب الكثيفة فيظهر البرق ويسمع الرعد .

قال تعالى : ((**أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق**)) .

(البقرة : ١٩)

وتشتمل سماء الأرض على الشهب التى نعرفها سهاما من الضوء اللامع فى الليالى المظلمة . وهى فى حقيقة الأمر قطع من الأحجار الصغيرة السابحة فى الفضاء القريب تجذبها الأرض فتحترق بسبب الاحتكاك الشديد مع طبقات الجو وفى آيات القرآن الكريم تبيان لأشتمال السماء على الشهب : ((**وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**)) .

(الجن : ٨)

وفى سماء الأرض أيضا قمرها الذى يتم حولها دورات كاملة كل ٢٧٫٣ يوم بحيث يظهر لنا بأوجهه التى نعرفها لاسيما عندما يصير بدرا تام الاستدارة . وعلى الرغم من أن قطر القمر لا يزيد عن ربع قطر الأرض الا أنه يظهر لنا كقرص كبير مضىء لا يضاهيه فى كبره الا قرص الشمس . وسبب ذلك أن القمر قريب منا لدرجة كبيرة اذا ما قورن بالمسافة التى تفصل بين الأرض والشمس وهى ١٥٠ مليون كيلو متر تقريبا .

وتنتمى كواكب المجموعة الشمسية الى سماء الأرض حيث تظهر فيها فتزيننا بصورة لا يعرف لها نظير فى أى سماء أخرى . وصدق الله العظيم القائل : ((**انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب**)) .

(الصافات : ٦)

السحاب والمطر والبرق والرعد جزء من السماء (سماء الأرض).

وتضاف البروج الى ما تشتمل عليه سماء الأرض . قال تعالى : ((**ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين**)) .

(الحجر : ١٦)

لقد لاحظ الفلكيون أن حركة الشمس ما هى الا انعكاس لحركة الأرض . ولقد أطلق اسم البروج على الكوكبات التى تتواجد فيها الشمس أثناء الشهور المختلفة وأطلق على هذه الكوكبات اسم الجدى والقوس والحوت والسرطان وغيرها تبعا لما أوحت به أشكالها وتجمعاتها ولكى يسهل الاستدلال عليها . فالبروج والشمس والقمر معا جزء من سماء الأرض فأنظر الى اعجاز آيات القرآن الكريم واقرأ :

((**تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**)) .

(الفرقان : ٦١)

يتبين مما سبق أن السماء المعرفة هى سماء الأرض وتشتمل على السحاب والمطر ، والشهب والقمر ، والكواكب ، والشمس ، والأبراج ، وكل ما يمكن أن نراه من أجرام فى كل اتجاه حول الأرض .

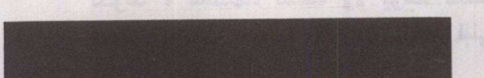

تظهر الأرض فى سماء القمر على هيئة قمر بديع الألوان كبير الاستدارة، تتعدد أوجهه تبعا لأيام الشهر الأرضى هناك.

ثانيا ـ السموات السبع :

يمكن الاستدلال على أنها سماوات الأرض والقمر وعطارد والزهره والمريخ والمشترى وزحل وهى الأجرام السيارة التى كانت معلومة فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والآيات القرآن

الكريم فى ذلك اعجاز أيما اعجاز اذ يضرب الأمثال على قدرته سبحانه وتعالى بالواضح المعلوم من خلقه حيث يقول جل من قائل : « **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** » .

(الطلاق : ١٢)

وفى آية أخرى

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

(فصلت : ١٢)

ولكل سماء من هذه السماوات السبع صفاتها المختلفة ومكوناتها المتباينة وشكلها الذى تتميز به عن سواها .

فسماء القمر سوداء اللون الا أنه يزينها عدد كبير من النجوم التى تطلع مع الشمس فى نفس الوقت لأنه ليس للقمر غلاف جوى يشتت الأشعاع وينشر ضوء الشمس دون سواها . كما أنه لا يرى فى سماء القمر سحاب أو شهاب حيث ترتطم الأخيرة بسطح القمر مباشرة دون أن تضىء فى سمائه . وتظهر أرضنا فى سماء القمر أجمل كثيرا مما يظهر القمر فى سمائنا لأن لمعان الأرض يفوق لمعان القمر ، وحجمها أكبر من حجمه ، وغلافها الجوى يعطى نورا مختلف الألوان فى سماء القمر لا سيما عندما تكون الأرض بدرا هناك اذ أن للأرض فى سماء القمر أوجها تختلف باختلاف الشهر الأرضى اذا جاز التعبير وتظهر النجوم فى سماء عطارد مع الشمس فى آن واحد أيضا الا أن قرص الشمس هناك أكبر بكثير مما نراه فى سماء الأرض نظرا لصغر المسافة بين الشمس وعطارد . ولا يظهر هناك قمر أو شهاب . وتشرق الشمس مدة كل ٥٨ يوما لتصلى المناطق المواجهة لها بحرارة هائلة طيلة ٢٩ يوما هى نهار عطارد والسنة هناك يوم واحد أما عن سماء الزهره فلقد تمكنت بعض الكبسولات الفضائية من الهبوط على سطح الكوكب وتمكن العلماء من الاستدلال على أن السماء هناك تبدأ بغلاف غازى يرتفع الى نحو مائتى كيلو متر بحيث تسبح فيه السحب الكثيفة البيضاء اللون المكونة من قطرات وبلورات غاز ثانى أكسيد الكربون .

ويندر وجود الاكسجين أو بخار الماء فى سماء الزهره الا أن الأمطار تهطل بغزارة على سطحها فهى فى ذلك أشبه بالمناطق الاستوائية . ونظرا لشدة العواصف فى جو الزهره فان أشعة الشمس تختزن عند السطح بفعل الرمال العالقة والسحب الكثيفة فتصل درجة الحرارة هناك الى ما يكفى لصهر الرصاص . ولا ترى الشمس بشكل مباشر فى سماء الزهره الا انها تشرق هناك كل ٢٤٣ يوما . والسنة فى الزهره ٧ شهور ونصف أى أقل من يوم واحد فيها لأن الزهره تدور حول محورها فى اتجاه يخالف اتجاه دورانها حول الشمس .

لقد أوضحت الصور التليفزيونية المأخوذة عن قرب من كوكب المريخ بالاضافة الى البيانات العلمية التى قدمتها سفن الفضاء أن سماء المريخ تشتمل على غلاف جوى خفيف لا يزيد عن ربع الغلاف الجوى للأرض ويتكون من غاز ثانى أكسيد الكربون بالاضافة الى نسبة لا تزيد عن خمسة بالمئة من بخار الماء مقارنة ببخار الماء فى جو الأرض . ولا تتعدى نسبة الاكسجين فى سماء المريخ واحدا بالألف من النسبة الأرضية . وتظهر فى سماء المريخ سحب بيضاء لامعة وضباب عند منطقتى القطبين . الا أن السحاب نادر الحدوث على باقى المناطق . وفى سماء المريخ قمران صغيران يتحركان فى اتجاهين متعاكسين فيتحرك أحدهما صوب الشرق بينما يتحرك الآخر صوب الغرب ليتم كل منهما دورته فى سبع ساعات تقريبا يتحول خلالها من هلال الى بدر الى محاق وهكذا .

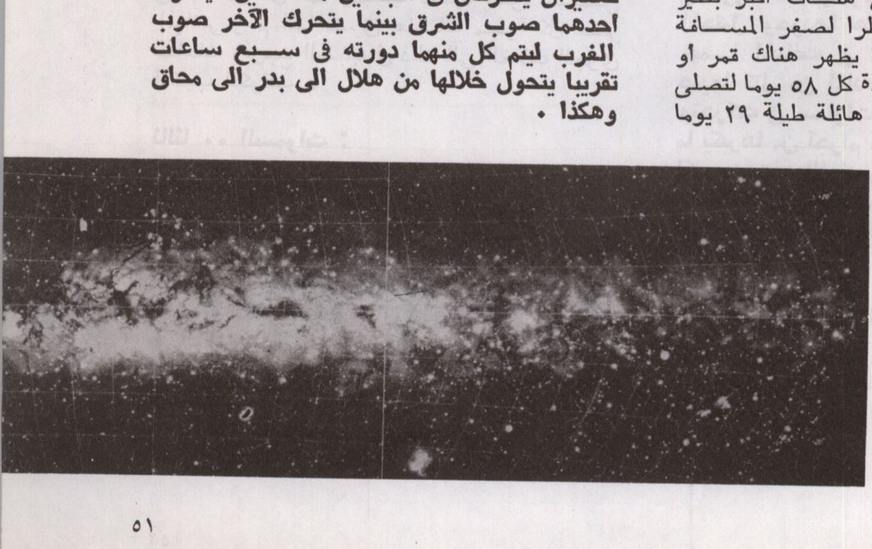

جزء من المجرة التى توجد بها وتشتمل على مائة ألف مليون نجم ، يقدر العلماء ان بها مليونين فقط من الكواكب التى تشبه الأرض تماما ، اما باقى الكواكب التى تدور حول هذه النجوم فلا يعلم عددها الا الله سبحانه وتعالى ولكل منها سماؤه .

وتشرق الشمس فى سماء المريخ كل ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة الا أنها لا ترى بنفس القوة التى نراها بها . كما أن لون السماء من حولها يميل الى اللون الأسود .

وتشتمل سماء المشترى على غلاف جوى كثيف يمتد نحو عشرة آلاف كيلو متر ويتكون من السوائل والغازات معا . وتسبح فى السماء هناك أحزمة هائلة من السحب الكثيفة بعضها أحمر وبعضها أزرق . وتشرق الشمس هناك مرة كل عشر ساعات الا أنه لا يمكن رؤيتها مباشرة بل يمكن الاحساس بموقعها فى السماء كما لا يمكن رؤية سرب الأقمار التى تتحرك حول المشترى والتى تبلغ اثنى عشر قمرا يدور تسعة منها من الغرب الى الشرق بينما تدور الثلاثة الباقية من الشرق الى الغرب ويرجع السبب فى ذلك الى سمك الغلاف الجوى هناك وكبر كثافته ونحن نرى فى سمائنا أقمار المشترى تدور حوله فى نظام بديع الا أنه فى سماء المشترى نفسه لا يمكن رؤية هذه الأقمار .

وتبدأ سماء زحل بغلافه الجوى الهائل الممتد الى ما يزيد عن ٢٦ الف كيلو متر والذى يتكون من الميثان والهدروجين والفوشاور وتظهر فيه بعض أحزمة السماء المتعددة الألوان . وتظهر حلقات زحل فى سمائه كأسراب من قطع الحجارة تغطى شريطا عرضه نحو ١٦ كيلو مترا ويمتد فى السماء من الشرق الى الغرب حتى لكأنه جبل من الأحجار الصغيرة معلق فوق الرؤوس . ويدور حول زحل عشرة اقمار يصل حجم أكبرها الى حجم كوكب المريخ الا انه يصعب تميز هذه الاقمار فى سماء زحل كما يصعب تحديد ضوء الشمس المباشر رغم أنها تشرق هناك مرة كل عشر ساعات ويرجع السبب فى ذلك الى الغلاف الجوى الكثيف للكوكب .

ثالثا .. السموات :

أن المجره التى تحوى أرضنا تشتمل على مائة الف مليون نجم والكون يشتمل على نفس الرقم تقريبا من المجرات ، اى ان مجموع النجوم او الشموس فى الكون يصل الى الرقم عشرة وأمامه واحد وعشرون صفرا . وأقرب النجوم الينا هى فى الواقع على مسافة قدرها أربع سنوات ضوئية أو نحو اربعين مليون كيلو متر وهى مسافة لا يمكن معها أن نأمل فى رؤية الكواكب التى تدور حول هذا النجم حتى لو استخدمنا أقوى المناظير الفلكية .

احدى المجرات التى يزخر بها الكون من حولنا وتشتمل على مئات الالاف من ملايين النجوم بعضها مثل شمسنا تماما وبعضها يختلف عن شمسنا ويدور حول العديد منها كواكب واقمار الا أن لكل منها سماءه الخاصة المتميزة .

الا أن العلماء قد أمكنهم حديثا الاستدلال على وجود أجرام سماوية تدور حول بعض النجوم فتسبب لها اقلاقات تموجية فى حركتها . كما أمكن استنتاج أن هذه الأجرام لا تشع حرارة أو ضوءا أى أنها كواكب . كما درس العلماء الكيفية التى نشأت بها المجموعة الشمسية وأمكنهم الوصول الى أنها ليست فريدة فى الكون بل يوجد العديد منها فى أرجائه بالاضافة الى مئات الملايين من المجموعات الشمسية المختلفة عن مجموعتنا فى ظروف نشأتها وكثافة شمسها وعدد الكواكب المحتمل وجودها هناك والكواكب وتوابعها مهما اختلفت فى قليل أو كثير الا انها جميعا كتل من المادة بردت فى الفضاء العظيم وتحركت فى مسارات مختلفة حول نفسها أو حول ما يكبرها من أجرام فهى أرضين مثل أرضنا ولابد لكل من هذه الأرضين من سماء قد تتشابه أو تختلف عمن سواها وهى فى مجموعها بالاضافة الى السموات السبع تكون السموات المطلقة . والله أعلم .

فانظر الى قول الله سبحانه وتعالى : « الا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض » .

(يونس : ٦٦)

وسبحان الله العظيم اذ يقول : « ولله ملك السموات والأرض والله على كل شئ قدير » .

(آل عمران : ١٨٩)

صدق الله العظيم

التصوف و الفلسفه
الإسلامية

سؤال و جواب

عن التصوف

الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

موضوع التصوف من الموضوعات التى قد يختلف حولها الناس ، وقضية التصوف تحتاج خصوصا فى عصرنا هذا ، الى شىء من الايضاح والتحديد .

ما هو التصوف الصحيح ؟ وما هو التصوف الذى نرفضه لأنه يمثل نوعا من الانحراف ؟

وقبل أن نميز بين صحيح التصوف وفاسده ، لابد لنا من أن نحدد بشكل واضح معنى التصوف كما فهمه علماؤنا .

من التعريفات التى عرف بها التصوف ، تعريف ابن القيم فى كتابه « مدارج السالكين » فهو يقول :

« واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم على أن التصوف هو الخلق » .
ويقول الكنانى :

« التصوف هو الخلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء » أى فى التصوف .

فالتصوف خلق وصفاء ، ولكن لكى نحدد بشكل واضح معنى التصوف لابد لنا أن نحدد دور الأخلاق بالنسبة لأحكام الشريعة . لقد جاءنا الاسلام بأنواع من الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بالاعتقاد ، ومنها ما يتعلق بالعمل ، فأحكام الاعتقاد معروفة ، وقد حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال:
« أن تؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ».

أما عن أحكام العمل فهى الأحكام التى تتناول العبادات والمعاملات وما اليها ، ونحن اذا تأملنا بشىء من التدبر أحكام الشريعة سواء ما كان منها اعتقاديا أو عمليا لوجدنا أنهـا ترتبط بأساس أخلاقى .

الايمان يرتبط بفضائل الأخـلاق ، وكل سلوك يصدر عن الفرد انما يعبر ، بشكل أو بآخر ، عن مدى الايمان .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا ايمان لمن لا أمانة له » .

« خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن ، البخل وسوء الخلق » **« أكمل المؤمنين ايمانا أحاسنهم أخلاقا »** **« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من أهله وماله وولده »** .

هنا نجـد ارتباطـا وثيقـا بين الأخلاق والايمان .

أما عن عبادات الاسلام فتحتاج منا الى وقفة ، لنرى الأساس الأخلاقى الـذى تقـوم عليه فالطهارة فى الاسلام ليست طهارة ظاهرية فقط ، انما هى طهارة لباطن العبد ولذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول :

« النظافة من الايمان » وحين يقول : « الطهور شـطر الايمـان » فانه قد ربط بين النظافة والايمان وهنا سر من الأسرار ، ليس المقصود فى الاسلام أن يتجمل الانسان فى ظاهره فقط ، انما المطلوب أن يتجمل فى باطنه أيضا ، فاذا خلص عن الحقد والحسد والغيبة والنميمة فانه عندئذ يتطهر ، فالطهارة فى الاسلام لها هدف أخلاقى .

نأخذ بعد ذلك الصلاة .. الصلاة مناجاة بين العبد وربه ، والهدف من الصلاة تطهير باطن العبد لقوله تعالى :

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »

ولقوله صلى الله عليه وسلم :

« ليس للانسان من صلاته الا ما عقل » أى ما كان حاضرا فيه بقلبه مع الله .

ولذلك يقول ابن عطاء الله فى « الحكم » :

« فما كل مصل مقيم » .

لأن الصلاة مع تحقيق شروطها الشرعية لابد أن تقترن بالخشية من الله والحب له ، والشعور بأننا فى حضرته سبحانه وتعالى ، فعندئذ تحدث أثرها فى نفس الانسان ، فأداء الصلاة مجرد الأداء يختلف عن اقامة الصلاة . **اذ الاقامة معنى أشـمل وأعم** ، لأن الاقـامة تقتضى أن يتحقق الانسان فى الصـلاة بالمعانى الأخلاقية التى دعا اليها الاسـلام فتكون مثمرة بالنسبة للفرد ، وبالنسبة للمجتمع حين يتعامل مع الآخرين .

ولنأخذ بعد ذلك الصـوم ، ونذكر فقط قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رب صائم ليس له من صـيامه الا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قـيامه الا السهر » اذن المقصود من الصـوم ليس جوعا ولا عطشـا ، والا فماذا سيفعل الله بجوعنا أو عطشنا » انما المقصـود تعويد الانسان على الفضائل ، كالصبر والشعور بآلام الغير وتعويده على احتمال المشقة ليواجه صعاب الحياة على اختلافها ، ويكون قويا على نفسه .

واذا جئنا الى الحج ، نذكر قول الله تعالى :

« فلا رفث ولا جدال ولا فسوق فى الحج » لنعلم أن الحج أيضـا تهذيب للانسـان ، الى جانب ما يتحقق فى الحج من المعانى الأخرى ، كاجتماع المسـلمين فى هيئة مؤتمر ، وتدارسهم لأمورهم ، وتحقيق المنافع التى ذكرها القرآن الكريم ، ومنها منافع روحية وأخرى مادية .

وللزكاة ، وهى عبادة مالية ، هـدف أخلاقى أيضا لقوله تعالى : **« خذ من أموالهم صـدقة تطهرهم وتزكيهم بها »** .

عبادات الاسـلام اذن تتوخى تحقيق الأهداف الأخلاقية المرجوة منها ، وعلى الانسان أن يتفطن الى ذلك .

وحين ظهرت حركة التخصص فى العلوم فى العالم الاسلامى ، حوالى القرن الثالث الهجرى ، تخصص فريق من علمـاء المسلمين فى دراسة العقيدة من حيث تقريرها على وجه عقلى ، ومن حيث الدفاع عنها ضد الآراء المخالفة لها فعرف هؤلاء العلماء باسم علماء التوحيد أو الكلام أو علماء أصـول الدين ، وظهر نفر آخر من العلماء اختصوا بدراسة الأحكام العملية وكيفية استنباط هذه الأحكام عن أدلتها ، وهى القرآن والسـنة والاجماع والقياس ، وعرف هؤلاء باسم الفقهاء ، وعرف عملهم باسم علم الفقه ، وفى نفس الوقت ظهر فى العالم الاسلامى علماء آثروا أن يخصصوا جهودهم لدراسة الأخـلاق ، ولكن كانت هـذه الدراسة من نـوع خاص ، فلم تكن نظرية بحتة وانما اقترنت بالتجربة والذوق ، وقالوا ان الأخلاق هى روح الدين ، ولكى يكون الانسان مسلما صحيح الايمان ، صحيح العمل ، يتعين عليه أن يتوخى الأهداف الأخلاقية وأن يتحقق فى عباداته وسلوكه ، وفى أقواله ، وفى أحواله ، بما كان عليه المصطفى عليه الصلاة والسلام ولهذا اتجهوا الى البحث العميق فى النفس الانسانية وقواها ، وأمراضها ، وكيفية عـلاج هـذه الأمراض ، وكيفية السلوك الى الله بوجه عام ، مع الميل الى ما كان عليه السلف من تقلل وزهد فى كثير من مباهج الحياة التى يقبل عليها العاديون من الناس ، وهؤلاء عرفوا باسم الصوفية ، منذ القرن الثالث الهجرى ، وعرف عملهم باسم علم التصوف ، ودونوا علومهم فى ذلك الوقت ، فكتب المحاسبى المتوفى سـنة ٢٤٣هـ رسائل فى محاسبة النفس ، وكتب الجنيد المتوفى سنة ٢٩٧هـ رسائل متعددة ، وكتب كثير غيرهم ، وكانت هـذه الصورة الأولى لمؤلفات الصوفية الأوائل ، وكانوا جميعا علماء اشتهروا بعلوم الشريعة .

ولكن قد يسأل سائل هنا ، لمـاذا ظهرت هذه التسمية ؟ تسـمية التصوف أو الصوفية ؟ الاجابة على هـذا السؤال من الناحية العلمية ، هى الاجابة التى أجاب بها القشيرى فى الرسالة ، قال :

لقد كان جيل المسلمين ممن صحبوا النبى صلى الله عليه وسلم يجدون شرفا لا يدانيه شرف فى أن يسـموا بالصحابة ، وكذلك جيل التابعين كانوا يرون شرفا لا يدانيه شرف فى أن يطلق عليهم هذا الاسم . ثم بانقضاء جيل الصحابة والتابعين عرف المقبلون على العبادة ، المترسمون خطا النبى صـلى الله عليه وسلم وصحابته بأسماء مختلفة ، عرفوا تارة باسم الزهاد ، وتارة باسم البكائين ، لأنهم كانوا من فرط ايمانهم يبكون بين الحين والآخر لخشيتهم وخوفهم من الله ، وعرفوا تارة باسم النسـاك ، ثم عرفوا أخيرا باسم الصوفية .

وقبل ذلك كان كثير منهم يلبس الصوف اظهارا للزهد والتقشف ، وقيل سموا صوفية نسبة الى الصفاء ، حتى أن أبا الفتح البستى يقول :

تنـازع النـاس فى الصـوفى واختلفوا

فيـه وظنـوه مشـتقا من الصـوف

ولسـت أنحل هـذا الاسـم غير فتى

صـافى فصـوفى حتى لقب الصـوفى

وقال البعض أنهم نسبة الى أهل الصفة من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن النسبه الى أهل الصفة ، صفى .

ثم نجد كثيرا من أوائل الصوفية لم يعودوا يربطون بين لبس الصـوف وبين التصوف من حيث هو خلق وسلوك ، وقالوا أن لبس الصوف قد يكون لباس شهرة ، ولباس الشهرة منهى عنـه .

هكذا كان الأوائل . اذن التسمية « حادثة » ولكن مضمون التصـوف مردود الى شواهد من القرآن والسنة وحياة النبى صـلى الله عليه وسلم ، وحياة أصحابه رضوان الله عليهم .

السؤال الثالث الـذى نطرحه : ماذا يقصد الصوفية بكلمة « طريق » أو « طريقة » ؟

كان الهدف أن يرسم الصوفية طريقا للسلوك يجتذبون به العصاة ويقولون لهم ان عليكم أن تقبلوا على الطاعة وتسلكوا هذا الطريق ، فتصوروا الى الله طريقا بدايته جهاد النفس ومراحله عندهم تعرف بالمقامات والأحوال ، ونهايته العرفان بالله ، اما عن جهاد النفس فنحن مأمورون بهذا الجهاد لقوله تعالى :

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » . والسبيل هو الطريق ، وكذلك الصوفية بالرجوع الى القرآن الكريم وذلك يعنى أن مصدر الكلمة هو القرآن ، لأن كلمة « طريق » أو « طريقة » ذكرت فى القرآن بهذا المعنى . يقول تعالى **« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا »** ، ويقول تعالى : **« يقول أمثلهم طريقة »** ويقول تعالى : **« مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم »** .

ومجاهدة النفس تعنى عند الصوفية مراقبة النفس ومحاسبتها على الفعل ، ونحن نحتاج الى هذا المعنى خصوصا فى عصرنا ، ولو أن كل واحد منا حاسب نفسه عما قدم فى يومه لنفسه وللمجتمع ، وحاول أن يصحح أعماله ، لكان من وراء ذلك خير كثير .

جهاد النفس كما يقول الصوفية يترتب عليه التحقق بالمقامات والأحوال ، ولكن ماذا يعنون بالمقامات ؟ وماذا يعنون بالأحوال ؟

المقام عندهم هو الفضيلة الأخلاقية التى يجتهد السالك لطريق الله من أجل تحقيقها كالتوبة ، والزهد ، والصبر ، والرضا ، والتوكل ، والمحبة لله وللرسول وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك ، فكل هذه المعانى مستمدة من القرآن الكريم ، ويعمل الانسان الذى يريد التكمل الأخلاقى على تحقيقها فى نفسه ، وهو ينتقل من مقام الى مقام فى سلوكه ، فاذا رسخت له التوبة ينتقل منها الى الصبر ، ثم الى التوكل ، ثم الى الرضا ، وهكذا حتى اذا استوفى هذه المقامات وغيرها ، فانه يصل الى معرفة الله ، أعنى يصل الى معرفة الخالق تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته ، ويرى الحق سبحانه وتعالى متجليا فى هذا الكون بهذه الأسماء والصفات ، وهى معرفة يطمئن لها قلب الانسان . وكل معنى من هذه المعانى التى ذكرتها مستدل عليه بآيات من القرآن الكريم ، وباحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم صحيحة حتى أن شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ وقد كتب فى التصوف كتابات يجب علينا جميعا أن نقف عندها وان نتفهمها ، كتب رسالة تسمى بـ « التحفة العراقية » ، وكتب رسالة أخرى عنوانها « الصوفية والفقراء » ، ورسالة أخرى عنوانها « رسالة فى أمراض القلوب » ، مبينا أن التصوف هو علاج لأمراض القلوب يقول فى « التحفة العراقية » :

ان ما يتحدث عنه هؤلاء الصوفية ، من ضرورة مجاهدة النفس والتحقق بمعانى التوبة والرضا والصبر ، والتوكل ، وحب الله وحب رسول الله ، وحب أهل بيت رسول الله ، كل أولئك انما يعتبر واجبا على كل مسلم ، وهذا لأنه لا يتصور أبدا أن المسلم يبتعد عن التخلق لأن التخلق كما بينا هو أساس العقيدة وأساس الشريعة ، وخذ أى حكم من أحكام العقيدة أو الشريعة ستتبين أنه بدون الأساس الأخلاقى يصبح صورة لا روح فيها ، وقد قال ابن عطاء الله فى الحكم : **« الأعمال صور قائمة ، وأورواحها وجود سر الاخلاص فيها »** . وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى : **« ألا لله الدين الخالص »** . اذن الاخلاص فى الأعمال الدينية والاخلاص فى الأعمال أيا كانت — لأننا لا نفرق بين عمل دينى وعمل دنيوى — هو أساس التصوف . اذن التسمية لا شأن لنا بها ، لأن التسمية مسألة شكلية ، حتى أن ابن تيمية كان يستخدم عدة تسميات ، وكان يستخدم كلمة « التصوف » كما كان يستخدم كلمة أخرى لها دلالة هى « علم السلوك » فى « الرسائل والمسائل » ، وكذلك شرح ابن القيم كتاب « منازل السائرين » للامام الهروى الأنصارى الحنبلى وكان عنوان الشرح « مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين » وهو من أجل ما كتب فى التصوف والحقيقة ان ابن القيم وأستاذه ابن تيمية من العلماء الذين كانت لهم مع الله أحوال قطعا ، ولا يتصور أن يكون ابن تيمية أو ابن القيم ممن لم يمارس الرياضيات الروحية والأخلاقية ، ميزتهما أنهما وضعا الحد الفاصل بين ما هو صحيح من التصوف وما هو منحرف .

فلسفة

الضحك والبكاء

"وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى"

«صدق الله العظيم»

الدكتور عبد الكريم دهينة

قرأت هـذه الآية الشريفة متأنيا ،فانسابت جوامح الخيال الطبى فى ذات نفسى ، رأيت فيها توجيهـا من العـزيزالحكيم ، وامتنانا منه حول نعمتين ، أمتن الله بهما على الانسان ، الضحك والبكاء.

يقال فى الأمثال قهقهة القرد ، ودموع التماسيح فالقرد يقهقه تمثيـلا وتقليدا ، والتماسيح تدمع فطرة فلا فـرح فى ذات القرد ، ولا حزن فى دموع التماسيح .

والحيوان قاطبة يرضى فيداعب ويمرح فيتغزل، ولكن لا تبدو عليه مطلقا ظاهرة انفجار الضحك التى تنطلق لا شعوريا ، لم نصل الى تعليلها ، سوى أن نقول انها شحنات مريحة تنفجر من داخل الانسان وكذا يتألم ويئن ويتوجـع وقد يتغيظ فيحقد كما فى الجمال .. ولكنه لا يبكى مطلقا .

والله سـبحانه تعالى امتن على خليفته فى الأرض بهذين النعمتين فنسبهما سبحانه وتعالى الى نفسه ، وأكدهما بالضمير المنفصل « هو » فلم يخلقهما عبثا ، بل خلقا لحكمة جليـة ، لو عرفناهما بلا فرط ولا تفريط لدفعنا عن أنفسنا كثيرا من الانفعالات سواء أكانت ايجابية كما فى الفرح أو سلبية كما فى الحزن .

من المعلوم أن الجسم « الفسيولوجى » يتكون قاطبة من بلايين الخلايا ، كل خلية تتكون من عدة جزئيات ، وكل جزىء من عـدة نوايا ، والنواة تشمل العديد من الذرات ، وكل ذرة يسبح فيها كثير من الأولويات (بروتون واكلترون) وأوليات أخرى اكتشفت حديثا لا اتذكرها هذا العالم العضوى كل ما فيه يسبح .

وما يقال فى وصف الجسم المادى يقال فى وصف النفس المعنوى فالشحنات النفسية تسبح وان كانت لا ترى ، ولكن يحس بها عالم النفس.

أى أن كل ما فى الانسان يتأرجح ولا يقر . ورحم الله هارون الرشيد ، عندما سخط على امرأة من آل برمك دعت له بأن يقر الله عينه ، وقال للملأ من حوله لقد دعت على بفقدانها .

هذه الهزات سـواء أكانت عضوية أو غير عضوية لابد لها من نسب ثابتة ، يعرفها طبيب الأعضاء أو طبيب الأعصاب . أو طبيب النفس.

أما ان اهتز التوتر الداخلى بنسب شاذة فانه يكون أشد فتكا من الشحنة الكهربية الصاعقة ، ويثبت علماء الحيوان أن بعض الزواحف كالأفعى اذا انفعلت نفسيا ، ينساب فيها تيار شـديد الوطأة من السـموم تكاد تقضى عليها ، وهى بفطرتها حقود فان لم تجد ما تغرس فيها سمومها، هلكت .

ان الضـحك ، المنطلق من داخل النفس ، والبكاء المناسب منها ، لا فرط ولا تفريط ، فيهما علاج ناجع .

فالذى يشعر برغبة فى البكاء ويكبت هذه الرغبة لابد أن يعانى من اضطرابات ، قد تكون جسمية وقد تكون نفسية والنساء أسرع استجابة لهذه الانفعالات ، وأسرع أيضا الى النسيان .

والتى تنسج حولها ثياب من الوقار ، فلا ترسل الانفعالات سواء أكانت ايجابية أم سلبية كثيرا ما تشتقى فى مرض الهستيريا .

وقد رأيت الذين يراودهم فكرة الانتحار من الرجال أغلبهم من الذين يعانون من كبت الانفعالات ، واذا رأيت من يهدد بالانتحار ولكنه يبكى لمصيبة حلت به ، اذا رأيت ذلك طمأنت من حوله انه لن ينتحر فان فى بوح الانفعال علاجا لا شعوريا .

قد يخجل بعض الرجال من البكاء ويعتبرونه ظاهرة غير لائقة فياحبذا من ارسال الدموع سرا، وكما قال القائل ، « ابكوا وان لم تبكوا فتباكوا » فان فى البكاء رحمة .

وكان المنفلوطى الأديب المعروف من أشد الناس بكاء فألف كتاب العبرات ، رحمات من قطرات الدموع كثيرا ما أثرت فى حياتنا العاطفية.

والبكاء والتباكى رحمة تدرأ النفس بها عن ذاتها أمراضا خطيرة وتزكى فيها رحمة الآخرين.

سمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مالك بن نويره يرثى أخاه ويقول .

وكنا كندمانى جزيمة حقبة
من الدهر أبى أن يتصدعا

فتباكى ، وقال ما معناه من لى بهذا الشعر أبكى به أخى .

وهذا نبى الله يعقوب ، يقول يا أسفى على يوسف ويصفه القرآن بقوله ((وأبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)) ، وخاتم الأنبياء وسيدهم يرن رنة عندما يرى أثرا من آثار خديجة أم المؤمنين، ويتأثر عندما يسمع الشاعرة ترثى أخاها ، وتقول : تعاتب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قتله اياه فى واقعة بدر .

ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق

فتأثر الرسول وتباكى ، وقال وهو لا شك فى عدله ، لو قالت قبل ذلك ما قتلناه (بما فى هذا المعنى) .

كثير من أبطال التاريخ بكوا ، عطفا ، بعد غيظ مرير نذكر من الشعراء ابن أبى دؤاد ، يتقدم السياف منه لقطع رأسه أمام الخليفة فيقول قصيدا منها .

وما جزعى من أن أموت وانني
لأعلم أن الموت شئ مؤقت

ولكن خلفى صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فيتبسم الخليفة ، وكان هو المعتصم ، ويقول : اذهب فقد غفرت لك الصبوة وتركتك للصبية .

تد ثبت طبيا أن بين كل ٤١ مريضا بالقرحة المعوية ثلاثة وثلاثين مريضا، لم يتمكنوا من التخلص من انفعالاتهم ، بالبكاء ان كان ترحا ، والضحك ان كان فرحا ، فذابت هذه الانفعالات وكمنت فى البواطن ، فتسربت كالمواد السامة ، تتلف بعض الأعضاء الداخلية ان وجدت فيها مرتعا خصبا ، أى ضعفا فى خلاياها ، وليست هذه الظواهر ، قد تكون على هيئة قرح معوية ، كثيرا ما نصح الأطباء فيها المرضى الا يكبتوا انفعالاتهم تصب المعدة فقط بهذا الداء الوبيل ، داء القرحة المعوية ، الذى لم يجد الطب فيه العلاج الناجح الا بعزل العصب الحائر .

وقد يتلون المرض الناشىء من كبت الانفعال ، فيصيب أعضاء أخرى فى الجسم قد كونه الكبد ، والمصران الغليظ ، ففيهما كثير ما ينصح أطباء البدن المريض لعرض نفسه على طبيب النفس.

ومن الأخطاء الشائعة فى البيوت ضرب الأطفال اذا بكوا واجبارهم على عدم البكاء ، ففى البكاء راحة من انفعال داخلى يتحول بالبكاء الى دموع، فيفقد ما فيه من خواص سامة ، وكثيرا ما يصاب الطفل « بالعى » فى النطق أو بالقريب من هذا المرض ما يسمونه بالفأفأة أو التلعثم ، كلها واضرابها نشأت من عدم تسيير الانفعال فى تياره البوحى .

وأخيرا ففى البكاء رحمة ، كما فى الضحك رحمة ، ومن الخطأ الفادح التحكم التسلطى على هذه الانفعالات اذا انفجرت لا شعوريا فانها تيارات مريحة تعالج الاضطرابات الناشئة عن الاهتزازات الشاذة التى تنتج من قهر ذات النفس على أشياء أذن الله سبحانه وتعالى أن تبوح بها .

نعم يجب أن نعمل على ضبط الانفعال ، لاسيما اذا كان شاذا ، انما دموع الرحمة التى يجب أن تترقرق فى مآقى العين ، فلابد منها .

والابتسامات ، بل والضحكات ، اذا انفجرت لا شعوريا من شحنات داخلية هزت النفس فرحا ، فأرسلت هذه التيارات المريحة التى تعالج كثيرا من الاضطرابات فيعيش الانسان فى توازن جسمى ونفسى .

المدينة وأعلن اسلامه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى اسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى لطيفة وهى أن صحابيا أسلم على يد تابعى ولا يعرف مثله .

وهكذا تمكن النجاشى القائد الحاكم العالم الواسع العلم من اقناع عمرو بن العاص الذى يعد من قادة الرأى فى مكة استناده الى انتسابه لبنى سهم الأثرياء بالاضافة الى قوة ذكائه ومقدرته على الاقتنـاع .

٢ ــ التأثير الاغرائى لاسلام النجاشى على غيره من الملوك :

لما ذهب عمرو بن العاص لدعوة أميرى عمان الى الاسلام وبدأ بأحدهما وهو عبد ولمس عمرو تخوفه من الاسـلام مخافة أن يضيع ملكه بتمرد رعيته أو أن تفعل به القوى التابع لها الأفاعيل فتعزله عن ملكه فقدم له عمرو مثالا لحاكم أسلم وتابعه قساوسته وعامة شعبه ولم يكن له مثلما يتوقع عبد . وقد كان لذلك تأثير عليه فمال ناحية الاسلام ولعل هذا يوضح أن للقائد تأثيرا على قائد غيره فيمكن أن يتـابعه وخاصـة أن النجاشى كان صاحب علم عرف به وهو ما ينفى عنه اعتناق فكرة دون أن يعلم مدى صحتهـا ولذلك تابعه أمير عمان لما يعلمه عنه من سـعة علمـه .

● موقف المقوقس :

لم يؤمن المقوقس بدعوة النبى مع انه رد عليه ردا جميلا وأرسل له هدية ولكن أنعكس رفضه للدعوة على امكانية القيام بدور محاب للدعـوة الاسلامية **اذ انه حجب الدعـوة عن الوصـول لاتباعه ورعيته وليس** ادل على ذلك من قـوله لحاطب بن أبى بلتعه ((لا أحب أن تعلم القبط بمحاورتى ايـاك وارحل من عنـدى ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا ، وهكذا يتضح لنا رد فعل الملـوك تجاه الدعـوة الاسـلامية فقد قام النجاشى بدور اتصالى اقناعى :

ــ بين رعيته وقساوسته .

ــ لعمرو بن العاص .

ــ كان له تأثير اغرائى على عبد أمير عمان الذى اعتنق الاسلام .

أما من رفض الدعوة كالمقوقس فقد عزل فكرة الاسلام وحجبها عن الوصول للرعية .

ويتبين لنا من كل ما سبق وعى النبى صلى الله عليه وسلم بظاهرة القيادة وتأثير القـادة على الجماهير وهو ما تتشدق النظريات العلمية الحديثة فى مجال الاتصال بالزعم بأن هذا خلاصة أفكارها متناسين أن رسول الله تلقى ذلك وحيا فقد حواه قرآن الله وزاول هو تطبيقه فى دعوته.

مراجع المقال :

١ ــ جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام (بغداد : المجمع العلمى العراقى ، ١٩٥٦) .

٢ ــ على برهان الدين الحـلبى ، السـيرة الحلبيـة (القاهرة : المطبعـة الأزهـرية ، ١٣٢٠ هـ) .

٣ ــ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسـول (بيروت : دار الفكر ، بدون تاريخ) .

٤ ــ سيد قطب ، فى ظلال القـرآن ، ط ٨ (بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٩) .

٥ ــ عباس محمود العقاد ، عمرو بن العاص (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٥٤) .

٦ ــ محمد أبو زهرة وخاتم النبيين (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٩) .

٧ ــ محمد رضا ، محمد رسول الله ، ط ٤ (القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦١).

٨ ــ **محمد عبد الملك بن هشـام ، السـيرة** النبوية (القاهرة : دار التراث العربى للطباعة والنشر ، ١٩٧٩) .

الدعوة

الشباب

الأمانة

سر الأمانة

الأستاذ عبد المنعم محمد راجح

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ (الأحزاب : ٧٢)

ان الحق تبارك وتعالى قد عرض مسئولية حمل الأمانة كأمر اختيارى أمام الانسان ولم يجعلها أمرا حتميا لعلمه جلت قدرته وعظمت ارادته بطبيعة البشر ومدى قدرتهم على تحمل المسئولية أمام أمر فرضه الحق على عباده .

والانسان بطبيعته متعجل للأمور ، يفكر دائما فيما يسعده دنيويا ، لاهثا خلف ماديته ، ونادرا ما يدرك ما ينفعه فى أخراه الا من عصمه الله وثبت قلبه على الايمان وهذه الأمانة التى حملها الانسان بمحض ارادته متعددة الجوانب ، فليست الصلاة وحدها هى الأمانة التى حملها الانسان ، أو الزكاة والصوم والحج ، ولكن الأمانة تحمل فى طياتها كل ما أؤتمن عليه الانسان من ودائع الناس .

والأمانة فى المحافظة على الصلاة هى سر بين الخلق والخالق ، ونتاجها نور يطفو على الوجوه ، وبشر ، وطمأنينة وسكينة تملأ القلوب ، والأمانة فى أداء الزكاة والصدقات انما هى برهان على صدق القلوب وصفاء النفوس ، والأمانة عند الصبر على المكاره وعدم الشكوى الا لله وحده والرضا بقضاء الله انما تثمر ضياء يعم القلوب وينير الطريق الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

والأمانة عند قراءة مانزل به الوحى على قلب خير الأنام من عند الملك الديان بفهم معانيه والعمل بما جاء به يصبح حجة ودليلا وأنيسا يوم لا انيس ولا جليس الا عفوه ورحمته جل علاه .

واذا كانت الأمانة قد حملها الانسان مخيرا وبارادته وهو يجهل مضمونها بينما السموات والأرض والجبال قد خفن من حملها ، فأصبح مسئولا عن أداء جميع التكاليف الشرعية حسبما

جاء بالدستور السماوى وما جاءت به كتب السنة المشرفة ، وما ذكر عن سلفنا الصالح مترسما طريق الحق والعدل والهداية .

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ

الانعام — ١٥٣

والأمانة فى أداء التكاليف الشرعية يتبعها أمانة أيضا فى أداء كل ما يهم الحياة الدنيوية ، وفى كل ما يتعلق بالمعاملات بين الناس بعضهم البعض ، سواء كانت هذه المعاملات ترتبط بالأمور النقدية أو العينية أو الأسرار ، ويعد ذلك عهدا بين الخلق والخالق وعنه تستقيم الأمور وتستقر النفوس فى زمن طغت فيه المادة واستشرت فيه الأنانية ، وانحدر البعض عن طريق الله .

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾

(الحشر : ١٩)

وما دام هناك من يعتصم بالله ، ويرجو رحمته ويخشى عذابه ، مجددا عهده مع الله فلن يضيع الأمل فى عفوه ورضاه .

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

(آل عمران : ٧٦)

ونحن أمام جانب مهم من جوانب الأمانة التى حملها الانسان وأصبح ملتزما بأدائها والله تعالى قد جعل الانسان خليفته فى الأرض ، مكلفا بأداء مهام للعباد بحسب ما جعله الله ميسرا لأداء هذه المهام .

فكل ميسر لما خلق له ، وهنا نقف أمام نوعين من البشر المكلفين بقضاء حاجات العباد فمنهم من نذر نفسه لخدمة الناس لا يبتغى سوى وجه الله ، ينفق ماله ووقته وجهده فى سبيل رضا الله مهما كلفهم ذلك من مشقة وتعب .

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

(التوبة : ١١١)

ومنهم من لا يحافظ على الأمانة التى كلف بها لخدمة الخلق ، ونسى العهد مع الله وهو جل علاه قد منحه التوفيق وجعله فى موضع وموقع يأوى اليه ذوى الحاجة من عباد الله ، ثم ينصرف الى أهوائه وشهواته الدنيوية ، وينغمس فى مادياته، فيجامل هذا على حساب ذاك يرضى بالظلم طريقا، فيمنح من لا يستحق ويمنع من يستحق ويغير خلق الله ، ويخالف شرعه ويزين له الشيطان أفعاله، ويزيد بغضا وبعدا عن الله بمناصرة أقرانه له فى الظلم فلم تعد له أذن تسمع دعاء المظلوم ، ولا عين تبصر ، ولا قلب يتحرك لنصرة من ضاقت به الدنيا ، يرفع يده الى السماء متجها لرب الأرباب أن يرفع الظلم ويكشف الغمة .

وهو يعلم أن دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول جلا علاه .

« وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

هؤلاء الناس قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وهؤلاء قد وقعوا فى الفخ ولا منجى لهم من عذاب الله .

هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

(يونس : ٣٠)

والأمانة بلا شك هى سر النجاح والفلاح فى اى تجارة أو معاملة وأصدق دليل على ذلك ما اتصف به رسول الانسانية صلوات الله وسلامه عليه من أمانة بين أهله وذويه ، فكان صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين يرعى الغنم ويتاجر بمال السيدة خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها ، ويستثمر لها كل ما أودعته لديه فكانت الزيادة وكانت البركة هما ثمرة أمانته ووفائه صلى الله عليه وسلم ، وكان الحب الالهى يغمر قلب هذه السيدة الفاضلة بنت الحسب

والنسب ، سبط الأشراف والنبلاء ، وكانت تكبر الرسول عليه الصلاة والسلام سنا ، لكنها تندفع بشوق المحب للمحب ، وتتقرب الى جلال الحق تبارك وتعالى تدعوه مخلصة أن يبارك هذا الحب وأن تكون لمحمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه الشريكة المخلصة والرفيقة له على طريق الكفاح تشد عضده وتؤازره فى الشدائد والمحن .

ويبارك المولى جل وعلا هذا الزواج الميمون وتبدأ المشاركة والمرافقة والمناصرة من هذه السيدة الفاضلة لهذا الزوج الذى اصطفاه رب العزة واختاره نبيا ورسولا لهذه الأمة .

ولم تقف أمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد كما يفعل غالبية الأزواج ولكن كانت الأمانة صفة من صفاته وخصلة من خصاله فكان دائم الأمانة مع كل فعل يفعله أو قول يقوله فكان صلوات الله وسلامه عليه دائم التحدث عن زوجته بما يزيد من قدرها ويعلى منزلتها ، وكان يرى فى السيدة خديجة رضوان الله عليها نعمة الخالق جل وعلا .

وكما نعلم ، ان الدنيا متاع وخير متاع الدنيا زوجة صالحة . ولقد كانت السيدة خديجة رضى الله عنها بحق خير متاع للنبى اليتيم ، الفقير ، المعتدى عليه من أهله والمضطهد لأنه يدعو لقول لا اله الا الله محمد رسول الله .

والأمانة التى هى صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن تأثيرها قاصرا على معاملاته مع الناس فقط لكنها امتدت الى كل ما تختص بمعاملات الناس وبعضهم ، فكان صلوات الله عليه وسلم وتسليماته لا يقبل مطلقا أن تغيب الأمانة عن أى مسلم يؤمن بالله وكتابه ورسوله .

وكان يعتبر ذلك ميثاقا وعهدا على كل مسلم أن يتمسك به فى كل معاملاته مع الناس .

وتحكى كتب الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم تجول يوما بالسوق فمر على بائع للحبوب فوضع صلى الله عليه وسلم يده فى صبرة قمح فاذا به يشعر ببلل فى هذا القمح قد أخفاه البائع عن نظر المستهلك فسأله الرسول عن مصدر هذا البلل فقال أصابته السماء يا رسول الله ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم تضع هذا القمح الذى أصابه البلل فى مكان يراه الناس .. من غشنا فليس منا .

وكان هذا القول على سبيل التغرير وكأنه صلى الله عليه وسلم يؤنب هذا البائع ويذكره بأن يلتزم بالأمانة والصدق .

وأين نحن الآن من هذا وكلنا يعانى أشد المعاناه من سيف البائعين الذى سلط على رقاب المستهلكين فلا مفر من ظلمهم وجشعهم وانعدام الأمانة والصدق فى تعاملهم مع الناس .

ومن العجيب فى عصرنا أننا نرى أن الأمانة قد نحيت جانبا ، وبعدت وتناثرت ، وحل الطمع واستشرى الجشع فى النفوس ، وأصبحنا فى خضم أمواجه العاتية ، وظلامه الدامس ، وعمقه المخيف ، القوى يبتلع الضعيف ، والسيادة كل السيادة للمادة ولا دونها يقدر على البقاء فى هذا العصر فلا قيمة لمؤهل ، ولا مكان لعاقل فالكل يلهث خلف مادة فانية تجرى مسرعة والناس من خلفها يتصارعون .

فلم يعد غريبا أن يقتل الابن أباه طمعا فى ميراث ، أو يصرع أمه أو أخاه جريا وراء شيطان مارد يزين له المال والجاه . ولم يعد مخيفا أن نرى الشريك فى التجارة قد دبر لقرينه نية الخلاص والفتك به بغية اقتناص حقه فى المشاركة والاستيلاء على حصته طمعا وجشعا ، ونسى ما تعاهدا عليه أمام الله وما تعاقدا عليه يوم أن كانوا اثنين والله ثالثهما .

لقد غابت الأمانة عن هذا الباغى لعدم صيانتها والمحافظة عليها . والأمانة فى المعاملات المالية عنصر واجب على كل مسلم ، وعليه أن يعض عليها بالنواجز ، ولقد أمرنا الحق تبارك وتعالى أن تقترن المعاملة بالأمانة والصدق ، ودرءا للشكوك أمرنا المولى جلت قدرته عند اجراء المعاملات المالية المؤجلة كالدين مثلا أن يكتب صكا يحفظ حق الدائن لدى المدين ، ربما يحدث للمدين مكروها فلا يضيع حق الدائن بانكار ورثة المدين .

كما أنه ينبغى أن يكون الأجل معلوما ، وأن يكون الكاتب عادلا فليكتب كما علمه ربه ما لم يكن يعلم ، وأمرنا المولى باستحضار شاهدين ذوى عدل ، أو رجل وامرأتين للشهادة اذا تعذر وجود رجلين .

وللأمانة جذور متأصلة فى أرض طيبة تسقى بماء نقى طاهر ، ولها فروع مثمرة يستظل بها كل من خشع قلبه لله ، واطمأنت نفسه ورضيت بقضاء الله وقدره ، وعملت بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسارت على الطريق القويم نرجو العفو والغفران ، والهدى والرحمة والرضوان .

العلاقات الإنسانية

فى نظر الإسلام !

الاستاذ / محمد ابراهيم الخطيب

من الممكن أن يتعب الناس بعضهم بعضا عن طريق المعاملة الملتوية ، ومن الممكن أيضا أن يسعد بعضهم بعضا عن طريق تبادل العلاقات الانسانية .. ولكن ما جوهر هذه العلاقات فى نظر الاسلام انه يتمثل فى مبدأ محاسنة الناس وملاطفتهم، وفى تكريم الانسان لأخيه الانسان ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » .

والانسان حين يتعامل بالعلاقات الانسانية يكون قد كرم نفسه وكرم غيره من الناس ، ولكن كيف يكون هذا التعامل؟

واقول : ان كل واحد منا مطلوب منه أن يقدم احسن ما عنده من قول أو فعل الى الآخرين ، ليؤكد بهذا تقديره واحترامه وتكريمه لهم ..

(ا) مطلوب منه اذا حدث غيره أن يختار أفضل القول واحسنه وأجمله مصداقا لقول الله تعالى:

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾

الاسراء — ٥٣

(ب) ومطلوب منه اذا اخطأ انسان فى حقه أو اغلظ له القول ان يرد بما هو احسن ، وان يكظم غيظه ، وفى هذا يقول تعالى : **« ادفع بالتى هى أحسن »** ويقول صلى الله عليه وسلم : « من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا » .

(جـ) ومطلوب منه أن يرد التحية بأحسن منها

واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها.

النساء — ٨٦

(د) ومطلوب منه وهو يستمع الى الوان الكلام أن يتبع الأحسن منه يقول عز وجل :

فَبَشِّرْ
عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾

الزمر ١٧ — ١٨

(هـ) ومطلوب منه أن يكون هينا لينا هاشا باشا سهلا طلقا ، لأن أهل الجنة كل هين لين سهل طلق .

(و) ومطلوب منه كذلك أن يبتعد عن الشعور بالتكبر والغرور مهما علت منزلته ، لأن التفاوت بين الناس انما هو بارادة الله دون غيره ، وفى هذا يقول تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ
ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

الحجرات — ١١

واذا كان هذا الذى ذكرناه مطلوبا من الانسان فى مجال القول فان المطلوب منه فى مجال العمل أن يحسنه وأن يتقنه وفى هذا يقول الله تعالى : **« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »** ، ويقول صلى الله عليه وسلم: « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

واذا كانت العلاقات الانسانية سلوكا جميلا مريحا للناس — كما ترى — فهى مطلوبة مع ضعفائهم بصورة اشد وأولى ، **لماذا ؟ لانهم مظنة** أن ينسوا فى زحمة الحياة ، فاليتيم مثلا والأرملة والمسكين أكثر الناس حاجة الى الأمن والرحمة **يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى** توجيهاته : « اتقوا ظلم من لا يملك له ناصرا عليك الا الله » ويقول : **« ان أحب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم » ويقول أيضا : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار » .**

واذا بحثنا عن منبع هذه العلاقات الانسانية التى تتمثل كما قلنا فى مبدأ « محاسنة الناس وملاطفتهم » وفى تكريم الانسان لأخيه الانسان وجدنا أهم منبع هو الحب ، ولا عجب فالحب نعمه والكراهية عذاب ، الحب مبذور فى قلوب البشر الطيبين الصالحين الراغبين فى تجميل الحياة وفى دفعها الى الأفضل والأحسن والأكمل، الحب رصيد من أرصدة الانسان الحميدة ، والكراهية بذرة من بذور الشر التى يشرف الانسان أن يرتفع فوقها وأن يهزمها ..

وتعالوا نقرأ سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو قدوتنا الحسنة ، لاشك أننا سنجد أنه مثال الانسان المحب المحبوب بما كان يملأ قلبه من رحمة وسماحة وعفو ، وبما كان يتمتع به من ذوق سليم وأدب كريم ، وتذكروا معى قصة مولاه « ثوبان » ذلك الذى ملأ الحزن قلبه فى بعض الأيام وأثر فى صحته ، فلما سأله صلى الله عليه وسلم عن سر هذا الحزن قال : « انى اذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك ، لأنى ان دخلت الجنة فأنت تكون فى درجات النبيين فلا أراك » ، فنزل قول الله تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ
وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

النساء — ٦٩

واذا كان الحب الغريزى موجودا بين الأب والابن والاخوة والأقارب بدرجات متفاوتة فان هدف الاسلام هو الانتقال بالحب من دائرته الضيقة الصغيرة هذه الى دائرة المجتمع الكبير، ولهذا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا** » ويقول أيضا : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » ولمعروف أنه قد قال هذا لشاب معتل الأخلاق طلب من الرسول أن يبيح له الزنا لأنه شاب ولا يستطيع السيطرة على نفسه فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم : أترضاه لأمك ؟ أترضاه لأختك الخ وكان فى كل مرة يقول : لا ، فقال عليه السلام هذا الحديث : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب نفسه** » .

وهؤلاء الذين يحبون الآخرين لوجه الله تعالى بعيدا عن الأغراض الدنيوية الزائلة هم عباد انسانيون قادرون على تجميل الحياة وعلى التقدم بها نحو الخير والجمال والسلام وفى هؤلاء المحبين الانسانيين يقول عليه الصلاة والسلام : « **ان لله تعالى عبادا توضع لهم المنابر يوم القيامة لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء** » **فقال الحاضرون : من هم يا رسول الله ؟ قال : « هم المتحابون فى الله والمتزاورون فى الله ، والمتجالسون فى الله** » .

ولا شك أن هذا الحب الروحى الطاهر يصنع الاخاء ، وبالاخاء يكون الناس كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، والحب فى جوهره رحمة والرحمة – كما نعلم – خلق الأقوياء حقا، وكم هى قادرة على أن تعطر آفاق الحياة وأن تقف حائلا دون رياحها العاصفة ، ان الله تعالى قد كتب على نفسه الرحمة ، وان الرسول – كما وصفه ربه – بالمؤمنين رءوف رحيم ،

وكان صلى الله عليه وسلم يحث عليها ويرغب فيها بقوله : « **ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** » وكان يحذر من القسوة فى مثل قوله : « **لاتنزع الرحمة الا من شقى** » .

والحب أيضا ايثار ، والايثار تضحية ومروءة وزهد وقناعة وبعد عن الأطماع تلك التى تقف وراء متاعب الناس فى هذه الحياة ، وكم كان الأولون يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ونذكر فيما نذكر أن « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه أصر أربعمائة دينار وقال لخادم : اذهب بها الى « أبى عبيدة ابن الجراح » ثم انتظر عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ، فذهب الخادم ، وقال لأبى عبيدة : يقول أمير المؤمنين : « اجعل هذه فى بعض حوائجك » فقال له: « وصله الله ورحمه»، ثم دعا أبو عبيدة بجارية وقال لها : « اذهبى بهذه الخمسة الى « فلان » ، وبهذه السبعة الى « فلان » حتى أنفذها ، فرجع الخادم وأخبر « عمر » بما رأى ، فوجده قد أعد مثلها الى « معاذ بن جبل » ، وفعل « معاذ » ما فعله أبو عبيدة رضى الله عنهما ، فلما أخبر الخادم عمر قال : « انهم اخوة بعضهم من بعض » رضى الله عنهم أجمعين .

وهكذا نجد الحب منبعا صافيا لتلك العلاقات الانسانية التى تخفف الحياة وتبعث فيها روح الانسانية التى هى أهم ما يدعو اليها الاسلام .

والآن تعالوا – أيها الأعزاء – نتابع نماذج من هذه العلاقات لنرى آثارها الطيبة وثمارها اليانعة حتى نزداد حرصا عليها وتعلقا بها .. تعالوا نتابعها وهى تدخل بيت الزوجية مثلا ،

ترى ماذا يمكن أن نرى فى هذا البيت ؟ اننا سوف نرى حسن المعاشرة وتنمية التفاهم والمحافظة على الحقوق والواجبات فى ضوء المتعارف من طبيعة الرجل والمرأة وفى ضوء الحق الذى تهدى اليه الفطرة فى شأن الزوجين وهذا هو ما قضى به النبى صلى الله عليه وسلم بين ابنته «فاطمة» وزوجها « على بن أبى طالب » لقد قضى على ابنته « فاطمة » **بخدمة البيت ورعاية شئونه** ، وعلى زوجها بما كان خارج البيت من عمل ، وبهذا التوزيع تتحقق الوسيلة التى تستهدف السعادة الزوجية التى لا تعتمد فقط على قضاء الواجبات وتوزيعها ، وقضاء مطالب العيش ولكنها تحتاج أكثر ما تحتاج الى أن يكون جو البيت مليئا بالرحمة والعطف والبشاشة ولطف الحديث وتقدير العواطف الخاصة وتبادل الاحترام حتى تمتلىء نفس كل من الزوجين بالآخر وتسكن اليه وبهذا تتحقق المودة والرحمة اللتين أشار الله تعالى اليهما فى قوله الكريم : **((وجعل بينكم مودة ورحمة))** .

هذا وكم كان صلى الله عليه وسلم مثال العلاقات الانسانية مع زوجاته : كان مثلا يشفق أن يرينه غير باسم فى وجوههن ، وكان يزورهن جميعا فى الصباح والمساء ، وكان ألين الناس ضحاكا بساما اذا خلا بهن ، وكان رفيقا بهن كل الرفق حيث كان يتولى خدمة البيت معهن ومن أقواله الحانية فى هذا المجال : **((خدمتك زوجتك صدقة))**

ولكم أن تتصوروا ماذا يحدث اذا دخلت هذه العلاقات الانسانية بين الجار وجاره . اننا سنجد أن الجار يزور جاره اذا مرض ، ويقرضه اذا افتقر ، ويهنئه اذا أصابه خير ، ويعزيه اذا نزلت به مصيبة ، ولا يضايقه بأية صورة من صور المضايقة ، ونجده يصبر عليه اذا آذاه ، ويشيعه اذا مات ، وفى هذا وغيره راحة وهدوء واطمئنان وسكينة وخير كثير ..

واذا دخلت هذه العلاقات الانسانية مجال العمل فحدث عن أثرها البالغ فى نفوس العاملين وأصحاب العمل سنجد حرصا على العمل واتقانا له ، وحرصا على الأمانة والصدق والتعاون المثمر الخلاق الذى يعود بالخير على الفرد والمجتمع .

واذا سادت هذه العلاقات فى شئون الحياة اليومية لمسنا أثرها واضحا فى التسامح وحسن المعاملة بين البائع والمشترى وبين الدائن والمدين وبين المتخاصمين مهما كان الدافع على الخصام وبين الأفراد ومن فى أيديهم زمام الخدمات الخاصة والعامة فى المجتمع ..

وهكذا نجد الناس فى رحاب هذه العلاقات الانسانية يتقاربون ولا يتباعدون ، يتجمعون ولا يتفرقون ، يبنون فى حماس صرح تقدمهم وسعادتهم فى الدنيا وفوزهم فى الآخرة ..

واذا سألتم : لماذا كل هذا الاهتمام بالآخرين عن طريق العلاقات الانسانية قلت : لأن الاسلام فى حقيقة ليس دين صور وأشكال يكتفى بها من المكلف ولكنه دين يستهدف خدمة الانسانية وتخفيف آلامها كما يستهدف أن تكون الروابط قوية وثيقة قائمة على المودة والتعاطف حتى تأتلف القلوب ، وتلتقى المشاعر على الصفاء ، وتتكون من أفراد المجتمع وحدة متماسكة قوية تصل به الى أكرم الأهداف ، والحمدلله على نعمة الاسلام الذى جعله الله دين الانسانية والسلام.

المبادئ والأشخاص

الدكتور السيد رزق الطويل

المبادىء قيم ثابتة ، وقوانين نافذة ، ييسر الله لها من يحملها من الأشخاص ، يستمسك بها ، ويدعو اليها ، حتى اذا جاءأجلهم مضوا للقاء ربهم ، تاركين المبادىء لمن يحملها من بعدهم ، وقد لا يتوافر من هو متأهل لحملها ، وأخذ الناس بها فتنزوى المبادىء فترة ، دون أن تضيع ريثما يتيسر الكفء الذى يحسن الاستخلاف عليها . تلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

على ضوء هذه الحقيقة نريد أن نقف وقفة تأمل وتدبر أمام قوله جل شانه :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

(آل عمران : ١٤٤)

تقدم لنا هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران جانبا من جوانب العقاب التى اتجهت بها الستون آية من هذه السورة الى مجتمع المسلمين بعد غزوة أحد ، لأن من المآخذ التى أخذتها الآيات على السلوك الاسلامى فى هذه الغزوة أنه قد غاب عنهم فى ليل المحنة قضية الانسان والموت ، وعزب عن العقول فى هول الكارثة أن الموت قانون الحياة ، وأنه كما قال جل شأنه :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الرحمن : ٢٦ ، ٢٧)

مع أنهم من قبل ذلك كانوا يسعون الى الشهادة ، ويرجون الموت فى سبيل الله ، اذ قال لهم رب العالمين فيما قال من آيات الكتاب :

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

(آل عمران : ١٤٣)

سبب الهزيمة فى أحد :

ولكنهم عندما تغير ميزان المعركة لغير صالحهم بعد أن نسى الرماة أمر القائد وتركوا مواقعهم

عم النفوس ألم وحزن ، وعصفت بهم موجات من الشائعات الضالة ، التى أطلقها المشركون ، وهم فى زهو النصر الذى كان مدبرا عنهم ، فسمعوا من يقول : ان محمدا قد قتل ، فاستبد الوهن ببعض النفوس ، حتى القوا السلاح ، وقالوا : لم القتال اذن وقد قتل رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ — واحتفظت بعض النفوس بقوتها — برغم الموقف العاصف — ولم تبال بما سمعت ، ووقفت دون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يذودون عنه ، وقد أحاط النوم به ، لكن ظهور المسلمين وصدورهم كانت دروعا ترد عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سهامهم(1) الباغية .

لكن هذا الموقف الذى وقفه بعض المسلمين لا ينبغى أن يمر هكذا دون درس حكيم ، وتوجيه سديد ، يظل نبراسا للمسلمين يستهدون به فى قتالهم ، وسلامهم ، وكان هذا الدرس .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

(آل عمران : ١٤٤)

ان هذا الدرس يكشف للمسلمين حقائق ذات بال .

ان محمدا — صلى الله عليه وسلم — رسول من عند الله ، شأنه شأن الرسل الذين خلوا من قبله ، ولابد أن يدركه الموت الذى أدركهم ، كما قال رب العالمين له :

((انك ميت وانهم ميتون))

(الزمر : ٣٠)

فماذا كان يتصور القوم ؟ يظنون أن الرسول عليه الصلاة والسلام مخلد فى هذه الحياة ؟ ! واذا كان قد ساورهم هذا الظن فى لحظة ذهلت فيها النفوس من هول المعركة التى تغير فيها الميزان سريعا أفلم يقفوا من قبل على قوله جل شانه لنبيه فى سورة الأنبياء وهى مكية :

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

(الأنبياء : ٣٤ — ٣٥)

واذا أدرك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الموت الذى يدرك غيره من البشر فهل يليق بالمؤمنين الصادقين أن يلقوا السلاح ، ويتركوا الجهاد ، جهاد الأعداء ، أو يرتدوا على أدبارهم؟! فلم يقاتلون اذن ؟ ومن أجل أى غاية يحاربون ؟ أيقاتلون فى سبيل الله أم فى سبيل محمد صلى الله عليه وسلم ؟

أتجاهدون فى سبيل مبدأ آمنتم به أم من أجل انسان عرفتموه ، وأحببتموه ؟ !

لقد هداكم الى الحق باذن الله ، لكن ليس معنى هذا أن تربطوا جهادكم بحياته .

ان دين الله الحق باق لايزول ، خالد فى هذه الدنيا لن تنال منه العوادى ، أما الأشخاص فهم بلا ريب زائلون .

ومن هنا اشتد عتاب الله على من القوا سلاحهم ، وألمت بهم هذه الحالة من الضعف حتى قال لهم : ((**ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين**) .

وهنا حقيقة اخرى :

بينت الآية أبعاد العلاقة بين القيم ومن يحملونها ، أو بعبارة أخرى بين المبادىء

---

(1) راجع أحداث الغزوة فى سيرة ابن هشام ج ١ ، واتحاف الورى بأخبار أم القرى ج ١ ص ٤٣

والأشخاص ، وبين الرسالات والرسل الذين جاءوا بها .

ان الايمان يجب أن يتعلق بالمبادىء ، ومن اجلها يكون الجهاد والفداء ، والبذل والعطاء ، واما الرسل فبهم يكون الاهتداء والاقتداء ، حتى اذا ذهب الرسل الى ربهم بقى التعلق بالمبادىء قويا وثيقا ، ليخرج من أصحاب هذا الايمان القوى من يحسن الخلافة على درب الدعوة .

وأمر آخر ألمحت اليه الآية ، وأدركته بلا ريب فطنة المسلمين المعاصرين لهذا الحدث المؤثر ، والدرس البليغ هو أن ربط الجهاد بالأشخاص انحراف عن سنن الجادة ، ولذا صورته الآية بأنه انقلاب على العقبين ، وأن من ينحو هذا المنحى لن يضر الا نفسه ، ولن يضر الله شيئا .

لقد ظلت هذه الآية تتلى عدة سنوات فى حياة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مؤكدة قيمة عظيمة من قيم الاسلام هى أن الاسلام مبادىء ، والجهاد فيه من أجل المبادىء التى جاء بها لا من أجل الأشخاص الذين يحملونها، ويدعون اليها ، وكل نفس ستموت متى جاء أجلها ، وأذن بذلك ربها :

« وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ، كتابا مؤجلا » .

(آل عمران : ١٤٥)

فالعمر مكتوب ، والأجل محدود ، والمبادىء يتعاقب عليها الأجيال .

موقف جليل للصديق :

وعندما توفى رسول الله — صلى الله عليه وسلم— وفزع جمهرة المسلمين لهذا النبأ ، وثار عمر رضى الله عنه فى وجه النعاة ، يقول لهم ان محمدا لم يمت ، انه رفع الى السماء . وهدى الله أبا بكر الى الحق ، واسترجع موقف أحد ، وطافت بذاكرته هذه الآية التى تثبت القلوب على مبادىء الدين وقيمه ، وقال كلاما عظيما ما كان يتصور أحد أن يقول الصديق والحبيب مثله فى موقف تغرب فيه عن الذاكرة بدهيات الأمور ، لكنه الايمان يربط القلب عند المحنة ، ويكشف لصاحبه جوانب الحق ، فيصدع به بالرغم من العاطفة المشتعلة ، والوجدان الأسيف واذا به يقف بين اخوته من الصحابة ، يقول لهم : أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله ، فان الله حى لا يموت .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

(آل عمران : ١٤٤)

واستمع الفاروق لكلمات الصديق، وقد انجابت عن فؤاده غاشية الحزن ، وعادت له ذاكرته الواعية ، وفطنته التى تجتاز بصبر أشد الأحداث ، وقال : لكأنى : أسمع هذه الآيات تتلى لأول مرة !!(١) .

ان موجة من الحزن والوهن طافت بقلوب المسلمين بعد أحد ، ومن أجل هذا عاتبهم الله على انصياعهم لمؤثرات الحزن ، وحذرهم منه ، وأكد لهم أن العاقبة لهم متى استبقوا قيم الايمان ، وحافظوا على مبادئه ، كما كشف عن حقيقة من حقائق الحياة ، وسنة من سنننا ، وأنها لا تسير على وتيرة واحدة ، بل لابد من تغير الأحوال بين فرح وحزن ، وهزيمة ونصر ، وغنى وفقر ، وبؤس ونعيم ليتم ما أراده الله من الابتلاء ، ولتتكشف حقائق من يدعون الايمان ، وينتسبون اليه .

وجاءت هذه الآيات الكريمات لتوضح للمسلمين هذه الحقائق والقوانين .

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ٤

قال تعالى :

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)

(آل عمران : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١)

وحتى تنحسر موجة الحزن من قلوب المؤمنين بعد أحد ، قدمت الآيات صورة من صور الجهاد فى القرون الخالية ، ليتخذ منها المسلمون قدوة طيبة ، وأسوة حسنة ، وليسلكوا ما سلكه القوم فى حروبهم فى سبيل الله ، وكيف كانوا يواجهون الهزيمة بصبر واحتساب ، فيقول جل شأنه :

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)

(آل عمران ١٤٦ — ١٤٨)

وهكذا قدم هؤلاء الربيون الذين جاهدوا مع الأنبياء مثلا فريدا لمواجهة المحنة بقوة لا تعرف الوهن ، واعتزاز لا يعرف الاستكانة ، وصبر جميل لا يشوبه جزع ، وما ارتفعت أصواتهم الا بالضراعة لرب العالمين ترجو مغفرة لما سلف من ذنب أو اسراف ، وثباتا فى مواقف النزال ، ونصرا عزيزا على الكافرين وقد استجاب الله لهم .

ولكن كيف تعود الثقة وتضمد الجراح ؟

ولقد رأينا الرسول عليه الصلاة والسلام بفطنة النبوة ، وبصيرتها النافذة ، وفطرتها الهادية يقود الجيش المسلم عمليا لجولة حربية تلتئم بها جراح نفوسهم ، كما تضرب الفزع فى قلوب أعدائهم برغم انتصارهم .

فدعا الجيش المسلم غداة أحد الى الخروج لمطاردة الجيش المنتصر ، واستجاب المسلمون الصادقون ، وضمدوا جراحهم ، وسمعوا من أهل النفاق من يثبط عزائمهم ، ويحذرهم من مغبة الخروج ، وأن ليس فيها الا تدميرهم ومع ذلك لم يهنوا ، وخرجوا حتى وصلوا مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى حمراء الأسد ، وما أحس بهم المشركون حتى ولوا سراعا الى مكة(١) .

وقد أثنى رب العالمين على ابطال أحد الذين تجاوزوا الهزيمة ، وخرجوا فى اعتزاز مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يبالوا بما قاله المثبطون ، فقال سبحانه :

* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)

(آل عمران ١٧١ — ١٧٣)

وانطلق الكفاح الاسلامى بعد ذلك قويا عزيزا ، مستضيئا بهذا الفهم الصادق، والبصيرة الواعية، يذود عن الدين الحق ، لا غاية للمجاهدين الا الله ، وابتغاء رضاه حتى حققوا على ضوء القيم التى فعلوها من أحد — عزة الدين ، وارتفاع منارات الحق فى كل مكان .

وما أحوج المسلمين فى ظروفهم الراهنة الى مزيد من التجرد من أهوائهم والاخلاص لربهم ، وأن يستذكروا دروس أحد وما أروعها !! — ليتحقق الأمل المنشود .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) راجع سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٩٨ ، وسبل الهدى والرشاد جـ٤ ص ٤٣٨ — ٤٤٣

قطوف

إعداد : حامد المرسى

من أسرار الفاتحة :

قال النيسابورى :

قولك « البسملة » يفتح لك باب الذكر .

وقولك « الحمد لله رب العالمين » يفتح لك باب الشكر .

وقولك « الرحمن الرحيم » يفتح لك باب الرجاء .

وقولك « مالك يوم الدين » يفتح لك باب الخوف .

وقولك « اياك نعبد واياك نستعين » يفتح لك باب الاخلاص .

وقولك « اهدنا الصراط المستقيم » يفتح لك باب الدعاء .

وقولك « صراط الذين انعمت عليهم » الى آخر السورة يفتح لك باب الاقتداء بالأرواح الطاهرة .

آخر من مات بالبصرة من الصحابة :

أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبلت به أمه على رسول الله وهو ابن ثمانى سنين ، فخدمه الى أن لحق الرسول بالرفيق الأعلى ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

« اللهم أرزقه مالا وولدا وبارك له » .

وقال أنس : فانى لمن أكثر الأنصار مالا وولدا .

فقد خرج من صلبه الى وقت قدوم الحجاج الثقفى البصرة ، بضعة وعشرون ومائة من الأولاد ، وقد عمر أنس طويلا ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .

لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر

يروى أن المهلب بن صفرة الأزدى ، مر على

مطرف بن عبد الله — الزاهد — وهو يتبختر فى جبة من الخز فقال له مطرف : يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله !!

فقال المهلب : أما تعرفنى ؟

فقال له مطرف : ومن أنت ؟

قال : أنا المهلب .

قال مطرف : نعم ، أعرفك ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين هذا وذاك تحمل العذرة .

وقد نظم أبو محمد عبد الله البسطامى الخوارزمى قصيدة منها :

عجبت من معجب بصورته
وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن صورته
يصير فى اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته
ما بين جنبيه يحمل العذرة

ماذا تعرف عن المروءة

المروءة : اسم جامع للمحاسن كلها ..

وقد عرفها بعض الحكماء بقوله : سجية جبلت عليها النفوس الزكية ، وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة .

وقد جمع الله سبحانه وتعالى متفرقاتها بقوله: « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

وجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« من عامل الناس فلم يظلمهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، فهو من كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت اخوته ، وحرمت غيبته » .

وجمعها صلى الله عليه وسلم جمعا آخر فى قوله :

« مروءة الرجل صدق لسانه ، واحتمال عثرات اخوانه ، وبذل المعروف لأهل زمانه ، وكف الأذى عن جيرانه » .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

التجمل عند لقاء الاخوان :

تروى السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم ، فرأيته يطلع فى لجب يسوى من رأسه ولحيته ، فقلت : أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : « نعم ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم » .

يقول الامام الغزالى فى احياء علوم الدين :

والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره ..وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة ، وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ، ويحسن صورته فى أعينهم لكيلا تسصغره أعينهم فينفرهم ذلك .. وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله عز وجل .

الراكب والماشى :

خرج ابراهيم بن أدهم فى بعض السنين الى الحج ماشيا ، فرآه رجل على ناقته فقال له : الى أين يا ابراهيم ؟

قال ابراهيم بن أدهم : أريد الحج .

قال الرجل : أين الراحلة فان الطريق بعيد ؟

قال ابراهيم : لى مراكب كثيرة ولكن لا تراها !!

قال الرجل : وما هى ؟

قال ابراهيم : اذا نزلت بى مصيبة ركبت مركب الصبر !!

واذا نزلت بى نعمة ركبت مركب الشكر !!

واذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء !!

واذا دعتنى نفسى الى شئ علمت أن ما بقى من الأجل أقل مما مضى !!

قال له الرجل : سر باذن الله ، فأنت الراكب ، وأنا الماشى !

مختارات

من الصحف والمجلات

إعداد : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

نشرت الأهرام فى السابع والعشرين من صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٧/١٠/٢٠ مقالة للاستاذ فهمى هويدى نختار منها ما جاء تحت عنوان « نسبة الاسلام أعلى » : يقول : ذلك أن المفتونين بالعروبة والمتعبدين بها ، وهم يتحدثون عن الأمة الواحدة ، ويغذون النزعة العرقية ماوجدوا الى ذلك سبيلا . يفوتهم أن وحدة الأمة تتحقق بالاسلام بأكثر من تحقيقها بالعروبة : ذلك أن الرابطة الاسلامية تستوعب باعتقاد العرب وغير العرب ، وتضم غير المسلمين من باب الثقافة والخلفية الحضارية المشتركة . أما الرابطة العربية فمحيطها لا يتسع الا لبعض المسلمين وقطاعات غير المسلمين ، فضلا عن أنها تشكل عنصرا طاردا لغير العرب الذين هم شركاؤنا فى الوطن الكبير .

ولكى نزيد الأمر وضوحا . فاننا نشير الى أن الأقليات العرقية — غير العربية — فى العالم العربى أكبر بكثير من الأقليات الدينية . مما دفع عالما مدققا ، عروبى النزعة . هو الدكتور جمال حمدان . لأن يقرر بوضوح : أن نسبة الاسلام فى العالم العربى أعلى من نسبة العروبة . وتلك حقيقة تثبتها مختلف المصادر العلمية . ومن أبرز تلك المصادر كتاب الدكتور السيد خالد المطرى الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية . وعنوانه : «دراسات فى سكان العالم الاسلامى» ومن الجداول الاحصائية التى تضمنها الكتاب نستدل على أن الأقليات العرقية التى تعيش داخل العالم العربى يصل مجموعها الى ستة عشر مليون نسمة . يمثل البربر نسبة كبيرة منهم . اذ يقدر عددهم فى دول المغرب العربى بعشرة ملايين ونصف مليون شخص ، يليهم الأكراد فى العراق وسوريا حوالى ٢ مليون ، والباقون أكثرهم من الزنوج والأعراف الافريقية الأخرى . وهم موزعون بين دول المغرب « موريتانيا خاصة » وبين السودان . وهناك قلة فى المشرق من الأرمن « ثمانية ملايين نسمة » أغلبيتهم العظمى من المسيحيين . بينما عدد اليهود لا يتجاوز عدة آلاف فى المغرب ومصر . وأكبر نسبة من المسيحيين فى مصر حيث تشير نتائج تعداد سنة ١٩٨٦ ، التى أصدرها الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء فى ابريل ١٩٨٧ الى أن عددهم مليونان وثمانمائة وثلاثون ألف نسمة . ولبنان تأتى بعد مصر فى حجم عدد المسيحيين . اذ يصل عددهم هناك الى مليون وأربعمائة ألف . وبعد الاثنين تأتى سوريا « مليون مسيحى » ثم العراق نصف مليون والباقون موزعون على السودان والدول العربية الأخرى . هذه المؤشرات لها دلالتها المهمة من

حيث أنها تكشف عن حقيقة التركيبة السكانية للعالم العربى . مما يدعونا الى معالجة القضية القومية بقدر من الاعتدال والحذر . وكما أننا من الداعين الى عدم تجاهل الأقليات الدينية واعتبارهم مواطنين لاذميين ، لهم حقوق المشاركة، والمساواة بالقسط والعدل . فاننا نلفت النظر أيضا الى ضرورة توجيه قدر مماثل من العناية والاهتمام الى الأقليات العرقية .

ومجلة « الاسلام اليوم » التى تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ابسيسكو» كل ستة أشهر بالعربية والانجليزية والفرنسية تنشر افتتاحية بالعدد الرابع تحت عنوان : سياسة الاعلام فى الاسلام . للأستاذ عبد الهادى بوطالب جاء فيها : الاعلام لغويا هو نقل الخبر من مكان الى آخر ، ومن شخص الى أشخاص ، الى درجة تجعل هذا النقل مترادفا مع النشر الذى يتضمن انتشار الخبر . ولكن مهما بلغت سعة الانتشار ، فالاعلام بهذا المعنى يبقى ضيقا لا يتجاوز حديث الناس ولغوهم .

والحقيقة أن الاعلام لا يقتصر على الخبر الخام، لأن صياغة الخبر تغيره وتعطيه بعدا جديدا ، بل انها تجعله اليوم صوتا اثيريا تتناقله الذبذبات عبر العالم ، أو صورة مرئية يبعث بها عبر المحيطات الهرتزية والأقمار الصناعية ، ومن المرتقب أن تكتسح العالم بأسره فى المستقبل القريب فتصبح احدى معطيات الحياة اليومية بالنسبة للأفراد والأسر والشعوب .

وفى هذا التغيير تكمن قوة الاعلام وبمعيتها محاسنه ،ومساوئه ، وأخطاؤه خاصة اذا ما أصبح هذا التغيير مقصودا ، وتطاولت عليه أيدى الدول والجماعات لخدمة مصالحها . وقد كان يقال فيما سبق أن الخبر مقدس والتعليق حر . لكن التجربة أظهرت أن هذا المعنى لا يتعدى أن يكون أملا أفلاطونيا ، لا عبرة به . لأن شكل الخبر وسرده كلا أو بعضا ، ووضعه فى سياقه ، وفى سياق الأحداث الأخرى ، كل ذلك تعليق فى حد ذاته . بل انه أخطر من التعليق لما يدعيه من موضوعية موهومة . يضاف الى ذلك انتقاء الخبر، والتركيز عليه أو اغفاله والتقليل من اهميته . ونظرا لهذا الوزن الذى يكتسبه الاعلام دينيا وسياسيا واقتصاديا ، فقد نبه الاسلام الى أهميته منذ أربعة عشر قرنا ، ونظمه هدفا ووسيلة ، وحث المسلمين على استعماله لما فيه خير دينهم ودنياهم .

وقد جاء فى سورة آل عمران « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » فالهدف المتوخى من الأعلام فى الاسلام هو الخير ، والدعوة الى الخير التى تحتلها الآية بوجهيها الايجابى : الأمر بالمعروف ، والسلبى : النهى عن المنكر . وكلاهما يتمم الآخر ويدعمه :

والاعلام فى الاسلام يهدف أساسا الى توخى الحقيقة ، فهو يلتزم الصدق ويرعى الأمانة ، والصدق صدق الخبر ، والأمانة : أمانة الخبر ونزاهته وابتعاده عن المحرمات من كذب ونميمة، وتشويه ، وتلفيق . لأن موضوعية الخبر تقتضى عدم التلاعب به وعدم استعماله فى الشبهات ، أو كسلاح نفسانى عصبى يضاف الى الأسلحة الأخرى ليزيدها قوة وفتكا .

ومجلة هدى الاسلام التى تصدرها وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الاسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية تنشر افتتاحية بقلم رئيس التحرير تحت عنوان : لماذا الاسلام ؟ جاء فيها: يلاحظ المراقبون فى الآونة الأخيرة ظاهرة انتشار الاسلام فى أوربا وأمريكا واليابان ، وهى وان كانت فى نطاق ضيق الا أنها تحمل فى طياتها دلائل بدء مسيرة تحول نحو القيادة الحضارية الاسلامية. ومن الملاحظ أن هذه الدول بوجه عام ، تعيش حياة مادية محضة ، تركز من خلالها على المادة، وتهمل الروح ، وتعمل للحياة الدنيا ، ولا تحسب حسابا لما وراء الموت ، وفى ظل هذه الحياة المادية الصاخبة التى تحول فيها الانسان الى آلة متحركة. أو ان شئت قل الى كومبيوتر آلى ظهرت حالات هستيرية ، وأمراض عصبية بنسب تتزايد يوما بعد يوم ، وتزايدت حالات الانتحار ، وتفشى القلق والاضطراب ، وتعاطى الحبوب المهدئة هروبا من هذا الواقع المر ، وهذه الحياة المادية.. وأخذ العقلاء يبحثون عن حل عملى يريح ضمائرهم ويلبى رغباتهم ، ويستجيب لأشواقهم ، ويمنح السكينة لأرواحهم والطمأنينة لقلوبهم . فكان الاسلام هو العلاج الناجع والدواء النافع ، فاستظلوا بظلاله ، وفاءوا الى رحابه . ذلك أن الاسلام يملك من مقومات البقاء والدوام والخلود، مالا يملكه غيره من الشرائع والأديان ففيه اجابات على التساؤلات الحائرة فى النفس الانسانية من أين والى أين ؟

وفيه اثراء للحياة البشرية بكل ما هو نافع ومفيد .

وفيه توازن فى تلبية متطلبات الجسد ، ومتطلبات الروح ، فلا يطغى جانب على الجانب الآخر .. فليس الاسلام دنيا فقط ، ولا آخرة فقط. انه مادة وروح ، انه دنيا ودين .

نادي

القصة والمسرحية

قصة

إسلام خالد بن الوليد رضى الله عنه

الدكتور محمد مبارك السيد

يسرنا أن نكتب قصة الرجل الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: ((انه سيف من سيوف الله صبه على الكفار)) . انه الرجل الذى هاجر الى المدينة المنورة ليعلن اسلامه فى شهر صفر، سنة ثمان من الهجرة ، فبعثه الرسول عليه الصلاة والسلام بعد اسلامه مع المقاتلين الذاهبين الى دولة الروم فى شهر جمادى الأولى من نفس العام فى غزوة مؤتة فأنقذ الله الجيش على يديه من فناء محقق ، بعد قتل الأمراء الثلاثة ، زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله ابن رواحة ، انه الصحابى الجليل الفارس المغوار البطل خالد بن الوليد بن المغيرة . من بنى مرة بن كعب ، يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ومع أبى بكر الصديق جميعا فى مرة بن كعب ، يكنى بأبى سليمان ، كان من فرسان الصحابة أسلم بين غزوة الحديبية وفتح مكة قبل غزوة مؤتة ، كان يوم الحديبية طليعة المشركين .

وكان يوم أحد مع جيش المشركين من أهل مكة وغير مجرى المعركة لصالحهم ، بعد أن كان النصر حليف المسلمين ، وانكشف المشركون أمام المسلمين منهزمين ، لا يلوون على شىء ونساؤهم يدعون بالويل والثبور ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويغنمون ، ونزل الرماة الذين كانوا يرابطون على الجبل يجمعون مع أصحابهم الغنائم ، ظنا منهم أن الحرب قد وضعت أوزارها ، فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة أهله فكر راجعا بالخيل وتبعه عكرمة ابن أبى جهل ، فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم وأميرهم ، واخذوا يهجمون على المسلمين من الخلف ، حتى انكشف المسلمون وداخلهم الرعب ، وقاتلوا على غير هدى ، وأوجع المشركون فى المسلمين قتالا ذريعا حتى خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى بالحجارة حتى شج وجهه الشريف وأصيبت رباعيته ، كل ذلك بسبب مهارة خالد بن الوليد وذكائه ، وطمع بعض الرماة فى الغنائم عرض الدنيا الزائل . وقد ذكر الامام ابن كثير فى كتابه

القيم « البداية والنهاية » سبب اسلامه رضى الله عنه ، فقال : روى الواقدى بسنده المتصل عن خالد بن الوليد أنه قال : لما أراد الله بى من الخير ، قذف فى قلبى الاسلام ، وحضرنى رشدى ، قلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس فى موطن أشهده الا أنصرف وأنا أرى فى نفسى انى موضع فى غير شىء ، وأن محمدا سيظهر ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية ، خرجت فى خيل المشركين ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه بعسفان ، فقمت بازائه ، وتعرضت له، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا — وكانت فيه خيرة — فاطلع على ما فى نفوسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر ، صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا ، وقلت:الرجل ممنوع ، فاعتزلنا وعدل عن سير خيلنا ، وأخذ ذات اليمين فلما صالح قريشا بالحديبية ودافعته قريش بالرواح، قلت فى نفسى : أى شىء بقى ؟ أين ذهب عقلى ؟ أين أذهب ؟ الى النجاشى وقد أتبع محمد أصحابه عنده ، فهم آمنون ؟ أم أذهب الى هرقل فأخرج من دينى الى نصرانية أو يهودية ؟ أم أذهب الى العجم فأقيم عندهم أو أظل فى دارى بمن بقى ؟ فبينما أنا فى ذلك ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القضية، فتغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد ابن المغيرة قد دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضية ، فطلبنى فلم يجدنى، فكتب الى كتابا فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام ، وعقلك ، ومثل الاسلام يجهله أحد ؟ ، وقد سألنى رسول الله عنك ، وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به ، فقال : « مثله جهل الاسلام » ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره » .

فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة ، قال : فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الاسلام ، وسرنى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى، وأرى فى النوم كأنى من بلاد ضيقة مجدبة ، فخرجت فى بلاد خضراء واسعة ، فقلت : ان هذه الرؤيا ، فلما قدمت المدينة قلت : لأذكرنها لأبى بكر ، فقال مخرجك الذى هداك الله للاسلام ، والضيق الذى كنت فيه من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب ، أما ترى ما نحن فيه ؟ انما نحن كأضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه ، فان شرف محمد شرف لنا ؟ فأبى أشد الاباء ، فقال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا ، فافترقنا ، وقلت: هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر ، فلقيت عكرمة ابن أبى جهل فقلت له ، مثل ماقلت لصفوان بن أمية ، فقال لى ، مثل ماقال صفوان بن أميه .

قلت : فاكتم عنى ، قال : لا أذكره . فخرجت الى منزلى فأمرت براحلتى فخرجت بها ، الى أن لقيت عثمان بن طلحة ، فقلت : ان هذا لصديق لى ، فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أن أذكر . ثم قلت : وما على وأنا راحل من ساعتى ، فذكرت له ما صار الأمر اليه ، فقلت : انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر ، لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبى فأسرع الاجابة . فأدلجنا سحرا ، حتى انتهينا الى مكان يسمى الهدة ، فنجد بها عمرو بن العاص. قال : مرحبا بالقوم فقلنا وبك فقال : الى أين مصيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟

فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا الدخول فى الاسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وذاك الذى أقدمنى ، فاصطحبنا جميعا ، حتى دخلنا المدينة ، فأنخنا بظهر الحرة ركابنا ، فأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابى ، ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقينى أخى فقال أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم . قد أخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم، فأسرعنا المشى ، فاطلعت عليه فمازال يبتسم الى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة

فرد على السلام بوجه طلق ، فقلت : أشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله ، فقال : الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لايسلمك الا الى خير ، قلت: يارسول الله انى قد رأيت ماكنت أشهد من تلك المواطن عليك معاندا للحق فادعو الله أن يغفرها لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الاسلام يجب ماكان قبله » قلت : يارسول الله على ذلك ، قال « اللهم أغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله » .

قال خالد : وتقدم عثمان وعمرو ، فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان ، والله ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بى أحدا من أصحابه فيما حزبه » .

وأخرج سعيد بن منصور بسنده فى مسنده عن خالد بن الوليد قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحلق رأسه ، فابتدر الناس شعره ، فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى قلنسوة لى فلم أشهد قتالا وهى معى الا رزقت النصر .

وقد ظهر أثر ذلك فى أولى معاركه خارج الجزيرة العربية مع دولة الروم فى غزوة مؤتة روى ابن عمر قال : أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤته زيد بن حارثة فقال « ان قتل زيد ، فجعفر بن أبى طالب ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة » .

وجهز اليهم النبى صلى الله عليه وسلم عسكرا من ثلاثة آلاف ، وسار الجيش حتى نزل « معانا » من أرض الشام فبلغهم أن هرقل قد نزل « مآب » من أرض البلقاء فى مائة الف من الروم ، وانضم اليهم مائة الف أخرى من نصارى العرب من القبائل التابعة لدولة الروم ودارت المعركة وبعد أن استشهد عبد الله ابن رواحة اصطلح الناس على امارة خالد بن الوليد ، فشرع خالد يقاتل ويحتال للخلوص بالجيش من هذا المأزق الصعب، فى الوقت الذى يريد فيه أن لا يعرف الروم بهذه الخطة الحربية التى بها يستطيع أن يحافظ على جيشه ، وفى الظلام أعاد خالد تنظيم القوات فجعل المقدمة ساقة ، والميمنة ميسرة ، وجعل هدفه مناوشة الرومان بحيث يلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يعرض جيشه لقتال قد يقضى على جنوده القليلة ، مع انقاذ سمعة المسلمين فى أول معركة لهم مع دولة كبرى من الدولتين الكبيرتين فى ذلك الوقت فسر منه الرسول عليه الصلاة والسلام — ودافع عنهم وقال : ليسو بالفرار ، ولكنهم الكرار ان شاء الله .

وشهد مع رسول الله عدة مشاهد ظهرت فيها نجابته ، ثم كان قتل أهل الردة على يديه، ثم فتوح البلاد الكبار ، ومات على فراشه سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر رضى الله عنه بحمص .

قال عمر رضى الله عنه لما احتضر خالد والنسوة تبكين عليه : دعهن يهرقن دموعهن على أبى سليمان ، فقد تأيمت النساء عن مثله .

وفى غزوة مؤته قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام بعد قتل الأمراء الثلاثة : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، وسمى من يومئذ سيف الله .

وأخرج الحاكم وابن حبان من حديث عبدالله ابن أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تؤذوا خالدا ، فانه سيف من سيوف الله صبه على الكفار .

وهكذا كان اسلام خالد وانشراح صدره للاسلام لينتفع به الاسلام فى معاركه ضد الشرك كما انتفع به الشرك فى معاركه ضد الاسلام وكذلك كان اسلام عمرو بن العاص ليفتح الله على يديه مع خالد وزملائه بلاد الفرس وبلاد الشام وبلاد مصر وشمال أفريقيا فجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، وسلام على خالد مع الصديقين والشهداء والصالحين ، كان رضى الله عنه يريد الشهادة فى سبيل الله وحرص عليها ولكنه مات على فراشه ، وكان يقول :

والله مافى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح وها انذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء. وندعو الله أن ينزله منازل الشهداء نظير بلائه فى سبيل الله وفى سبيل اعلاء كلمة الله . والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين . ولا عدوان الا على الظالمين .

أخبار ولقاءات

- الرئيس مبارك يؤكد اهتمام مصر بقدسية الحرمين الشريفين
- شيخ الأزهر ووزير الأوقاف فى افتتاح دورة الدعاة
- افتتاح مسجد بدر ببور توفيق .
- احتفال القوات المسلحة بالمولد النبوى الشريف .
- ٥ آلاف جنيه جوائز لـ ١٦٠ فائزا فى المسابقة الدينية بحى شمال القاهرة .
- دعم العلاقات الدينية بين مصر وسيريلانكا وبين مصر والفلبين .
- علماء الاسلام فى الندوة الدينية بمصانع المحلة الكبرى .
- كلمة الدكتور جمال الدين محمود .
- كلمة الدكتور عبد الصبور مرزوق .
- أسئلة واستفسارات .

الرئيس مبارك يؤكد

الرئيس حسنى مبارك عنداستقباله امس للدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطةالعالم الاسلامى بمكة المكرمة وحضر المقابلة الدكتور عبد اللهبن عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .

● اهتمام مصر بقدسية الحرمين الشريفين ودورها فى خدمة قضايا المسلمين .

أكد الرئيس محمد حسنى مبارك اهتمامه بقدسية الحرمين الشريفين والمحافظة على أمن الحجاج ، ودور مصر بين دول العالم الاسلامى بالمحافظة على مكتسبات المسلمين وخدمة قضاياهم .

جاء ذلك خلال استقبال الرئيس محمد حسنى مبارك للدكتور عبد الله عمر بن نصيف أمين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة و د. عبد الله عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض . وحضر المقابلة د. محمد على محجوب وزير الأوقاف .

وصرح أمين عام رابطة العالم الاسلامى بانه يشكر الرئيس على اهتمامه بقدسية الحرمين الشريفين والمحافظة على أمن الحجاج ، وتأكيده لدور مصر فى العالم الاسلامى بالحفاظ على مقدسات المسلمين وخدمة قضاياهم . وان علاقة السيد الرئيس بالملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين هى علاقة أخوة ومصلحة عليا للمسلمين والعرب . وهذه العلاقة تزداد قوة ومتانة ، بالاضافة الى اهتمام مصر بقضايا المسلمين فى جميع أنحاء العالم . والمساهمة الايجابية بارسال الدعاة والمدرسين ، والمساهمة فى المشاريع التى تخدم المسلمين فى كل بقاع الأرض . وشكر وزير الأوقاف على استضافته وتنظيم ندوة الحرمين الشريفين التى أقامتها جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة .

وصرح الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود بان اللقاء مع الرئيس كان فرصة ممتازة ، تحدث خلالها الرئيس عن قدسية الحرمين الشريفين .

واعرب عن تقديره لموقف الرئيس من الاحداث التى وقعت فى موسم الحج الماضى. وموقف مصر حكومة وشعبا ، وعلماء المسلمين الذين ابرزوا استنكارهم لما حدث ، وأعلنوا تأييدهم لما اتخذته المملكة العربية السعودية من اجراءات لحماية قدسية الحرمين الشريفين . وهذا هو الموقف الذى نعتز به فى بلادنا العربية والاسلامية.

وقال الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف أن مصر سعيدة بهذا اللقاء الأخوى الذى جمع بين الشعبين المصرى والسعودى فالعلاقة بينهما قديمة وطيدة ..

ولا شك أن تنظيم مصر لهذه الندوة على أرضها يأتى استجابة لتوجيهات السيد الرئيس محمد حسنى مبارك من ضرورة المحافظة والحفاظ الكامل على قدسية الحرمين الشريفين ، وان نبتعد بهما عن الخلافات السياسية والمذهبية ، وقد أكد الرئيس محمد حسنى مبارك أن العلاقة بينه وبين الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين علاقة أخوة وستظل باذن الله على أحسن ما يرام لصالح شعبى مصر والمملكة العربية السعودية الشقيقين .

ومن ناحية أخرى واصل مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين اجتماعاته ، وطالب بضرورة اقامة مركز لدراسات قضايا الاستشراق حيث توجد فى أمريكا والغرب أكثر من ١٠٠٠ مركز لدراسة الاسلام فى الوقت الذى لا يوجد فى العالم الاسلامى أى مركز من هذا النوع .

شيخ الأزهر ووزير الأوقاف فى افتتاح دورة الدعاة

- معالجة القضايا المعاصرة من منظور إسلامى
- العلماء مطالبون بتبصير مجتمعاتهم بالحقائق والعناية بالشباب .

كتب منير بيومى :

طالب فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر العلماء والأئمة بضرورة معالجة القضايا المعاصرة فى اطار اسلامى ووضع التصور الصحيح لها حتى تتوحد الجهود والآراء ويتمكن العلماء من مواجهة المشكلات والأفكار الوافدة التى لا تنتسب الى الاسلام .

وقال شيخ الأزهر ان لدينا الكثير من الأمور يتصارع فيها العلماء وخاصة فى مجال الفتوى وهذا ناتج عن قصور تصور وفهم أبعاد القضايا المعاصرة . وأكد على ضرورة التصور الصحيح للقضايا الوافدة حتى نستطيع ان نواجهها ليس كممارسين كما يفعل الأطباء ولكن كمتخصصين .

وأعلن الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف أن الوزارة أعدت خطة شاملة للنهوض بوسائل الدعوة والدعاة والاستفادة بالاسلوب الذى يتناسب وروح العصر فى أداء رسالتهم . وأن عطاء العلماء ووعيهم بأمور دينهم ودنياهم لن يتوقف ، ولذلك فهم مطالبون أكثر من غيرهم بتبصير مجتمعاتهم بكل الحقائق التى تغيب عنهم ، والاقتراب بدرجة كبيرة من الشباب والاستماع اليهم ومحاورتهم فى هدوء والعمل على حل مشاكلهم .

شيخ الأزهر ووزير الأوقاف فى أثناء افتتاح دورة التدريب الراقى للدعاة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وشهد الافتتاح الدكتور محمد سعيد طنطاوى مفتى الجمهورية والدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والدكتور صوفى أبو طالب والدكتور أحمد كمال أبو المجد

جاء هذا فى افتتاح الدورة الأولى لمعهد التدريب الراقى التى تعقد بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ويحضرها ٤٠ اماما وداعية من محافظات الفيوم وبنى سويف وأسيوط والمنيا وسوهاج وسوف تستمر الدورة شهرا كاملا يتم خلالها دراسة منهج مكثف لمختلف القضايا المعاصرة .

واضاف الوزير أن العالم تتغير ظروفه سريعا ، والقضايا الفكرية الجديدة تثار كل يوم ولذلك فان علماء المسلمين يواجهون الآن تحديات كبيرة ولابد أن يتسلحوا لها بفكر وأسلوب العصر .. لأن العالم والداعية كالطبيب يجب أن يعالج بعلاج وأسلوب العصر وبلغته وفكره .

شهد الافتتاح فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر، والدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية ، والدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، والدكتور صوفى أبو طالب والدكتور أحمد كمال أبو المجد ووكلاء وزارة الأوقاف ورجال الدعوة .

● الدعوة على بصيرة ..

وقال الدكتور أحمد كمال أبو المجد ان على علماء الأمة الاسلامية أن يعيشوا محنة يعرفها بعضهم ولا ينتبه اليها كثيرون ، وهى أن الأمانة المطلوبة منهم هائلة والزاد الذى زودوا به قليل وقد أحيطوا بضغوط اقتصادية ، واجتماعية وتعليمية وأريد لهم أن يخرجوا على هذا العالم الجديد بالأسلحة القليلة التى يملكونها وبالطاقة التى تركتها معهم ضغوط المعيشة وأحوال العصر ، ووقع الانتباه أخيرا الى هذه المفارقة بين ضخامة المسئولية وضآلة الزاد .

فاذا كان سبيل الدعوة هو الدعوة على بصيرة فانه يسبق ذلك كله أن نلتفت الى ضخامة المسئولية وجثامة الأمانة وحجم التحديات .

وأكد الدكتور صوفى أبو طالب أن معالجة المشكلات الجديدة التى جاء بها عالم الصناعة والتكنولوجيا بما لدينا من أدوات هى فى حقيقتها صالحة لمواجهة هذه المشكلات ، ولكن بعد امعان النظر فيها وردها الى أصولها . وقال ان علينا الحفاظ على أصالة الحضارة الاسلامية دون أن نغلق الأبواب فى وجه الحضارات والتيارات الأخرى ، وذلك بما يتفق والأصول الحضارية للاسلام .

افتتاح مسجد بدر ببورتوفيق

افتتح الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية مسجد بدر ببور توفيق وحضر الافتتاح اللواء أحمد تحسين شنن محافظ السويس والقيادات السياسية والشعبية والتنفيذية .. فى اطار احتفالات السويس بعيدها القومى وقد قرر الدكتور وزير الأوقاف اهداء هذا المسجد مكتبة دينية ثقافية متميزة من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

وجدير بالذكر ان هذا المسجد أقامته وزارة الأوقاف بتكاليف مليون جنيه يضم فصولا للتقوية ومركزا للتدريب وعيادة طبية ومكتبا لتحفيظ القرآن الكريم .

احتفال القوات المسلحة بالمولد النبوى الشريف

أقامت القوات المسلحة احتفالا بالمولد النبوى الشريف بالمقر العام للقوات المسلحة . حيث تحدث الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف عن مبدأ الرسالة المحمدية وعن العزيمة والاعتزاز بالنفس .

وقال الوزير ان الاسلام دين محبة وسلام ، ومن أجل ذلك صنع رجالا ، وهو أيضا يدعو دائما الى الحرص والتمسك بالقيم والمبادىء الدينية . شهد الاحتفال اللواء أركان حرب محفوظ حمدى مساعد وزير الدفاع نيابة عن المشير عبد الحليم أبو غزالة نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والانتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة ، والدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل اول وزارة الأوقاف .

□ لجنة لبحث متعلقات الأوقاف باليونان :

تقرر ايفاد لجنة من وزارة الأوقاف الى اليونان لبحث الأمور المتعلقة بالأوقاف المصرية هناك ، ووضع قصر محمد على .

صرح بذلك الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف عقب استقباله للسفير أحمد قدرى سفير مصر لدى اليونان .

يراس اللجنة المهندس اسماعيل مرعى وكيل الوزارة للشئون المالية والادارية وستقوم اللجنة فى البت فى التعويضات والقطع الأثرية المتنازع عليها وبحث مشكلة قصر محمد على هناك على الطبيعة .

الاعداد الفنى : محمود عبد العاطى ــ أحمد حسن

الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف فى حفل توزيع الجوائز فى المسابقة الدينية بحى شمال القاهرة الذى شهده نائب محافظ القاهرة ، ورئيس حى شمال

● ٥ آلاف جنيه جوائز لـ ١٦٠ فائزا فى المسابقة الدينية بحى شمال القاهرة .

شهد الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف حفل توزيع الجوائز على الفائزين فى المسابقة الدينية التى نظمتها لجنة الشئون الاجتماعية بالمجلس الشعبى المحلى لحى شمال القاهرة . تضمنت المسابقة حفظ أجزاء من القرآن الكريم وموضوعات فى السيرة والسنة النبوية الشريفة .

وتقدم للمسابقة ٥٠٠ متسابق فى مراحل سنيه مختلفة ٦ سنوات و ٨ سنوات و ١٢ سنة فاز منهم ١٦٠ ، وبلغت قيمة الجوائز ٥ آلاف جنيه . بالاضافة الى اهدائهم المصحف الشريف لكل فائز .

والقى وزير الأوقاف كلمة هنأ فيها الفائزين وأكد أن أبناء مصر بخير وأن الدولة حريصة على رعاية البراعم وتسليحهم بمبادىء الدين الاسلامى القويم ، وتحدث عن ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم الذى جاء هداية ورحمة للبشرية . ودعوة للايمان والنضال وحفظ كتاب الله وقال : لعل هذه المسابقات الدينية التى يتقدم لها أبناء مصر هى خير دليل على ذلك.

شهد الحفل الدكتور عبد الأحد جمال الدين رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة ، واللواء مصطفى صادق نائب محافظ القاهرة لحى شمال ، والسيد على الكتبى رئيس حى شمال .

● مصر تشترك فى مؤتمر إسلامى بغينيا .

تشترك مصر فى مؤتمر اسلامى يعقد بغينيا خلال شهر نوفمبر بوفد من علماء وزارة الأوقاف ، يقدم أبحاثا ودراسات الى المؤتمر عن الدعوة الاسلامية والسيرة والسنة .

وكان الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف قد استقبل السيد لانسانا كوايات سفير غينيا بالقاهرة . وأهدى الوزير مجموعة من المكتبات التى تضم مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية والوزارة الى مسلمى غينيا .

● المهرجان الإسلامى فى نيويورك :

نظمت لجنة المهرجان الاسلامى فى نيويورك وبترخيص من حاكم المدينة ، مسيرة للسلام للعام الثانى ، تستهدف اظهار وحدة المسلمين فى أمريكا والبرهنة على أن الاسلام دين سلام وأن المسلمين ليسو دعاة ارهاب .

اشترك فى المسيرة مجموعة كبيرة من الجاليتين العربية والاسلامية حاملين أعلام بلادهم ومرتدين الملابس الوطنية . كما شاركت فيها القيادات المحلية للديانتين اليهودية والمسيحية.

● احتفال وزارة الأوقاف بالمولد النبوى الشريف .

أقامت وزارة الأوقاف احتفالا بذكرى المولد النبوى الشريف بمسجد الامام الحسين ، وشهده السيد اللواء يوسف صبرى أبو طالب محافظ القاهرة والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وسفراء العالم الاسلامى ورجال الدين تضمن الاحتفال تلاوة القرآن الكريم للدكتور أحمد نعينع وكلمة وزارة الأوقاف عن الدروس المستفادة من الذكرى العطرة للرسول عليه الصلاة والسلام القاها الدكتور عبد الله عبد الشكور الوكيل الأول لوزارة الأوقاف .

● احتفال الطرق الصوفية بالمولد النبوى الشريف .

اناب الرئيس محمد حسنى مبارك الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف فى حضور احتفال الطرق الصوفية بذكرى المولد النبوى الشريف الذى أقيم بحديقة الخالدين بالدراسة . شهد الاحتفال كبار رجال الدولة وعلماء الأزهر والأوقاف والطرق الصوفية .

دعم العلاقات الدينية والثقافية بين مصر وسيريلانكا

● استقبل د. محمد على محجوب وزير الأوقاف السفير ديسا نايكا سفير سيريلانكا فى القاهرة .. حيث تم بحث دعم العلاقات الثقافية والدينية بين البلدين .. وزيادة المنح الدراسية لأبناء المسلمين للدراسة فى مصر ، وكذلك تزويد المسلمين فى سيريلانكا بالمكتبات الاسلامية ..

وقد وجه السفير الدعوة لوزير الأوقاف لزيارة سيريلانكا ، وقد وعد د. محجوب بتلبيتها فى الوقت المناسب .

● دعم العلاقات الدينية والثقافية بين مصر والفلبين .

استقبل المستشار الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية السيد .. على مصطفى طوبان قنصل الفلبين بالقاهرة — تناول اللقاء دعم العلاقات الثقافية والدينية بين مصر والفلبين . وتزويد المراكز الاسلامية والمساجد بالمطبوعات والكتب الدينية باللغتين العربية والانجليزية بالاضافة الى كتب الشريعة الاسلامية ، كما بحث سيادته زيادة المنح الدراسية لأبناء الفلبين للدراسة بالجامعات المصرية والأزهر الشريف وتناول اللقاء بحث انشاء مركز اسلامى بالفلبين يتبع مصر حتى يكون وسيلة لتجميع جهود الدعوة الاسلامية ، وكذلك ايفاد بعض القضاة أو المشتغلين بالقانون الى مصر للتزود بأحكام الشريعة الاسلامية .

وقد وعد الأمين العام بارسال ما تطلبه السفارة ، وكذلك ما تطلبه المراكز والجمعيات الدينية بالفلبين من المطبوعات والكتب الدينية . وأعرب أيضا عن استجابته لما يمكن عمله فى شان انشاء المركز الاسلامى أو تنمية الدراسات الشرعية لأبناء الفلبين فى مصر .

● قرر د. محمد على محجوب وزير الأوقاف اغلاق قاعة المناسبات بمسجد عمر مكرم لمدة شهر اعتبارا من ١٠ نوفمبر الحالى لاعادة تطويرها وتحسينها .

وانشاء معهد لاعداد الدعاة بمسجد عين الحياة ، وتاثيث قاعة للاجتماعات بمسجد النيل لمؤتمرات الدعوة الاسلامية .

كذلك اعداد قاعات المحاضرات للتدريب الراقى لأئمة المساجد ، والتى بدأت بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية يوم ١٥ نوفمبر الحالى ولمدة شهر ينتظم بها ٥٠ اماما وداعية من خمس محافظات .

جاء ذلك خلال زيارة ميدانية قام بها وزير الأوقاف لمساجد عين الحياة بدير الملاك ومسجد عمر مكرم ، ومسجد النيل بجاردن سيتى .

علماء الإسلام فى الندوة الدينية بمصانع المحلة الكبرى

- الإسلام ليس مجرد شعارات ترفع أو انفعالات عاطفية .

- الإسلام ليس مسئولا عن الفتنة والفرقة بين الشعوب وإنما المسئول المسلمون أنفسهم

- مرض فقدان المناعة عقاب من الله للبشر نتيجة فهمهم الخاطئ للحرية

أكد علماء الاسلام فى الندوة الدينية الكبرى التى أقامها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بشركة [redacted] للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى أن الأديان السماوية جاءت تدعو الى عبادة الله وحده وتحث على القيم والفضائل وتعلم البشر الأخلاق السوية والتسامح . وأن مفهوم العبادة فى الاسلام ليس مجرد اقامة الشعائر وأداء الفرائض وانما هى أيضا تكليف الهى للبشر بتعمير الأرض ونشر الحق والعدل بين شعوب العالم أجمع ، وان الاسلام ليس مسئولا عما يحدث من فتنة وفرقة بين المسلمين ، ولكن المسلمين هم المسئولون عن ذلك ، وأن الاسلام ليس مجرد شعارات ترفع أو انفعالات عاطفية بالتعلق بالاسلام دون فهم الأسس والأصول والمبادىء التى جاء بها الاسلام .

← شركة مصر

شهد الندوة المستشار الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية والدكتور عبد الصبور مرزوق الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى سابقا ، والشيخ منصور الرفاعى عبيد مدير عام المساجد بوزارة الأوقاف ، ومن قيادات شركة الغزل والنسيج بالمحلة رئيس مجلس ادارتها وعدد كبير من العاملين .

وفيما يلى نص الكلمات التى القاها السادة العلماء فى الندوة :

الإنسان خليفة الله فى أرضه

بدأ الدكتور/جمال الدين محمود كلمته بقوله :

ان مفهوم العبادة ينبغى أن يكون فى معناه الصحيح ، والله تعالى حين يقول فى كتابه العزيز انه خلق الانس والجن ليعبدوه ، فان كلمة العبادة هنا لا تنصرف الى مجرد اقامة الشعائر . والانسان فى علاقته بالله عز وجل مكلف بالفرائض ، والأمة الاسلامية ليس فيها من يجهل هذه الفرائض التى فرضها الله على عباده ، ولذلك كان من رحمة الله عز وجل أن جعلها فى التشريع ظاهرة واضحة لا يسع أحد أن ينكر منها شيئا ، ومن أنكر منها شيئا خرج من سعة الاسلام الى ضيق الضلال . والعبادات كما نعلم الشهادة بوحدانية الله وبالأنبياء وخاتمهم محمد — صلى الله عليه وسلم — وأقام الصلاة وايتاء الزكاة والصيام ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . وهذه الفرائض هى جانب من الرسالة التى ناط الله بها الانسان وهى عبادته .

• مفهوم العبادة فى الإسلام :

الدكتور جمال الدين محمود

والعبادة فى الاسلام لها مفهوم يختلف عن مفهوم العبادات قبل الاسلام • كان الانسان قبل الاسلام وكانت الرسالات تركز على وجود الله ووحدانيته ، وعلى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولكن حين تهيأت الانسانية لأن تكون مجتمعا قادرا تماما على حمل الرسالة ، وهى التكليف الالهى بتعمير الأرض ولنشر قيم الحق والخير والجمال فى الدنيا ، أرسل الله تعالى محمدا — صلى الله عليه وسلم — ليختتم به النبوات والرسالات • وحوالى سنة ٥٦٧ ميلادية كان هناك مجتمعات كبيرة فى العالم ، وكان هناك امبراطوريات • كانت الامبراطوريات تتصل ببعضها عن طريق التجارة ، وأحيانا عن طريق الحروب ، كان المجتمع مهيئا لأن تختتم كلمة الله الى البشر ، وأن تتم كلمة الله للانسان ، قبل ذلك كان مفهوم العبادة قاصرا على العلاقة بين الانسان وخالقه • واهتمت الرسالات والنبوات بهذا الجانب الى جانب شىء آخر هو الأخلاق لأن البناء الأخلاقى كله فى الأديان واحد • فالأديان جميعا هى التى بنت القيم الخلقية ، ونجد مصداق ذلك فى قول النبى — صلى الله عليه وسلم — (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) • واذا التفتنا الى كلمة « أتمم » وجدناها معبرة أدق تعبير عن الواقع ، والتمام معناه اتمام شىء قائم وموجود فعلا ، ولذلك كانت رسالة النبى صلى الله عليه وسلم تماما لهذا البناء الذى قام من قبل •

وأود أن أنبه الى معنى قد نجده فى كتب بعض المفاهيم غير الاسلامية فالناس تقول أن الأخلاق أساسها الضمير الانسانى ، هناك من يقولون ذلك ربما ممن لا يدينون بدين أو من الملحدين أو حتى بعض الناس المسلمين المتأثرين بثقافات غريبة عن الاسلام •

ولنسأل سؤالا يفرض نفسه ، ومن الذى أسس الضمير الانسانى ؟ ومن الذى جعل فطرة الانسان تعلم أن العدوان على النفس أو على المال أمر يأثم له الانسان ؟ وأن مساعدة الناس وتقديم الخير لهم أمر حسن ، من الذى ركز فى فطرة الانسان ذلك ، الا أن تكون الرسالات الالهية منذ فجر الانسانية ؟ لأن الله تعالى أرسل من الرسل ما قص علينا نبأهم فى القرآن الكريم ، وذكر فى القرآن أيضا أنه بعث برسل لم يقصص علينا نبأهم أو أنباءهم • كانت رسل الله وكانت أنبياء الله تتوارد فى كل جيل لتصحح ما يرد على العقيدة ، وتدعو لعبادة الله ووحدانيته ، وكانت هذه النبوات والرسالات تعطى من الشرائع بقدر الاحتياج • فنحن نجد فى التوراة وصايا عديدة هى محددة فى الوصايا العشر فى النهى عن السرقة والقتل والزنا وغيرها وهى وصايا كلها خلقية •

ايضا جاءت رسالة عيسى عليه السلام فى وقت كانت فيه النظم الاجتماعية متقدمة ولذلك بنيت هذه الرسالة على قيم الحب والرحمة والتسامح بين الناس ، ويقول العلماء أنه كان فى وقت نزول المسيح ، ظل اليهود — وبعد أن طال عليهم الأمد وقست قلوبهم — يحرفون فى التوراة ويضعون قواعد ورسوما الناس وكلها فى أشياء دقيقة وصغيرة ، ويهتمون بهذه الأشكال والرسوم أكثر من اهتمامهم بالعقيدة ذاتها ، وأيضا بالقيم الخلقية التى تفرضها العقيدة • ولذلك حين نقرا الأناجيل والكتب التى يؤلفها الغربيون أو غير المسلمين ، نجد حوار المسيح عليه السلام مع اهل الكتاب — وكانوا من اليهود فقط — كان يتلخص فى لفت نظرهم الى أن كل ما يضعونه من قواعد ورسوم وأشكال فى المعاملات وفى العبادات كان المقصود منه الهروب من جوهر الدين القائم على عبادة الله وحده ، وعلى اتباع القيم الخلقية التى جاء بها الدين •

• الإنسان اهتدى لوجود الله بفطرته

أما قضية الألوهية فى تاريخها فهى قضية يعرفها الانسان منذ الأزل ، والانسان الذى لا يعرف الله عز وجل لا يعرف نفسه أبدا ،ويعيش طوال حياته يبحث عن شىء مركوز فى فطرته ولكنه ينكره بلسانه ، لأنه كما قال احدعلماء المسلمين • كل انسان عبد لله ومجبر بخلقته على أن يعبد الله •

ذلك لأننا نجد عمليات تتم داخل جسد الانسان دون تحكم منه او قدرة على توجيهها • والانسان لا يحكم نفسه أثناء النوم ، ومن دلائل الاعجاز فى القرآن كما أشار بعض العلماء انه نبهنا الى هذه الحقيقة • والله تعالى فى محكم آياته سمى النوم « موت » والانسان فى التشريع لا يؤاخذ أثناء نومه • وحيثما اعتز الانسان بنفسه وحدها دون أن يعتز بخالقه يرى ضعفه وقت أن ينام ، ويرى ضعفه فى عجزه عن التحكم فيما يطيل حياته • وهذا يدل على عظمة الاسلام ، لأن عظمته كامنة فى الكلمة ، لأن الاسلام بمعنى التسليم • وكل عبد فى هذه الحياة يسلم أمره لله طوعا أو كرها ، وهذا من مبادىء الخلق ، لأن الله تعالى قال للسماوات والأرض : « ائتيا طوعا او كرها ، قالتا أتينا طائعين » •

ولأن الانسان كلف بالأمانة وكلف بالرسالة أتيح له الاختيار • لكنه فى هذا الاختيار يبدو عبدا ويبدو عاجزا ، عاجزا وهو نائم لا يدرى شيئا ،وتكاد روحه تفارقه أثناء النوم — كما قال بعض الفلاسفة : « فلا يملك أن يستبقيها ولا يشعر بكل العمليات الحيويه التى تحدث فى جسده ، ويغفل عما حوله » وفى هذا يبدو اعجاز القرآن الكريم •

• العمل الصالح عبادة كلفنا الله بها .

واختتم الدكتور / جمال الدين محمود كلمته بالحديث عن شق آخر من العبادة وهو العمل الصالح فقال :

وشق آخر من العبادة كلف الله الانسان به وهو العمل الصالح ونجد أن آيات القرآن التى ترد فى شأن الايمان جاءت مقرونة بالعمل الصالح فى معظمها •

العمل الصالح ليس مجرد عمل يتصل بفرائض الله ولكنه أيضا يتصل بحياة الناس فى المجتمع ، لأن العمل الصالح قد يكون بين العبد وبين الله تعالى • والعمل الصالح يكون فيما بين العبد للعبد ، وغاية الأمر أن حقوق الله تعالى على العبد مبناها المساهمة ، لأنه السيد الذى يملك المسامحة • لكن كما يقول العلماء علاقة الانسان بالانسان مبناها المشاحنة ، أو مبناها على غير المسامحة •

واذا أخطأ الانسان أو قصر فى علاقته بالله عز وجل فالله تعالى يغفر له أو يعذبه كما يشاء • لأن عذابه أو رحمته تتعلق بمجرد مشيئته • ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ !قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته » •

والحكمة هنا ليست فى اننا نتهاون فى حقوق الله عز وجل ولكن هذا يتمشى مع منطق الاسلام فى اصلاح النفوس ، فالاسلام يصلح النفس البشرية منذ أن تولد ولكن المسئولية على من يحيطون بها ، الأب مسئول عن تربية ابنه الصغير وبث القيم الخلقية والدينية فيه حتى يكلف ويصبح مسئولا عن نفسه ، وقد يصبح مسئولا عن غيره، هذا التكليف قائم ودائم طوال حياة الانسان •

يقول الحق تبارك وتعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا
وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣

سورة الحجرات — ١٣

● التفسير الخاطئ لمفهوم الحرية بعيد عن القيم والأخلاق والرسالات السماوية

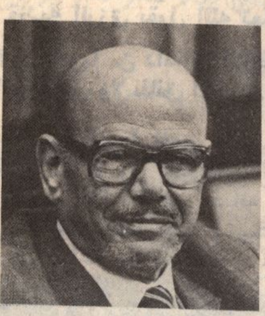
الدكتور عبد الصبور مرزوق

الدكتور عبد الصبور مرزوق

بدأ كلمته بقوله :

اذا تحدثنا عن قضية الحرية ، نجد أن الحضارة الغربية قامت على معايير معينة قوامها أن الانسان فى النظام الغربى حر بمقدار ما يملك ، وبمقدار ما يكون نصيبه من رأس المال، وفى الفلسفة الشيوعية أقيمت قضية الحرية على أساس وفرة رغيف الخبز لدى الانسان .

وكلتا النظريتين الغربية والشرقية مؤقتتان لا تصلحان كفلسفة مستمرة لقيادة حياة الناس . وبالتالى لابد أن تفشلا وقد فشلتا فعلا عندما اصطدمتا بمعيار التطبيق .

فى الحرية الغربية قيل ان الانسان حر يفعل ما يشاء كيف شاء ومتى شاء ، حر فى أن يسرق الآخرين لكى يحصل على المال ، حر فى أن يستعمر الآخرين ويستبد بشعوبهم ومصائرهم لكى يحقق لنفسه مساحة أكبر من السلطان فى الأرض ، حر فى أن يمارس شهواته ورغبات نفسه بكل سبيل من السبل ، حتى رأينا الجرائم تتم فى المعسكر الغربى اليوم باسم الحرية الى الحد الذى انتقصت فيه فطرة الانسان وشوهت بحيث أجازوا فى أعرق بلاد الغرب حرية أن يتزوج الرجال الرجال ، وأن يكون للرجل خليلة وعشيقة وليس لزوجته أى حق فى أن تعترض على ذلك . وقد ضرب الله هذه الحضارة وهذا الفكر غير السوى فى الوقت المناسب ، وأكد لهؤلاء البشر أن هذا الفهم السيء للحرية ضار بالمجتمع البشرى ولا يصلح لقيادة الحياة ، لذلك رماهم الله تبارك وتعالى بأمراض خطيرة عجزوا ولا يزالون عاجزين عن مواجهتها ، وكلنا نسمع عن مرض فقدان المناعة (الايدز) ، ويعتبر هذا المرض عقابا ربانيا ومصادرة ربانية لسوء فهم الآخرين للحرية.

وحرية الآخرين فى رأس المال ، صاحبتها مجموعة من الثورات ، لأن صاحب رأس المال كان هو الحر ، أما العمال الذين يعملون عنده فليس لهم حق الحرية ويمكن أن يستغنى عنهم فى أى وقت فنشبت مجموعة من الثورات .

والمعسكر الشرقى قال : ان الحرية تتحقق اذا كان لدينا رغيف الخبز .

ولكن الاسلام سبق كل هذا الفكر وقرر قضية الحرية ووضع لها تقنينا بديعا وواقعا قابلا للاستمرار الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

● مفهوم الحرية فى الإسلام قائم على أمن واستقرار الإنسان.

والحرية تتحقق للانسان عندما لا يخاف ،واذا خاف الانسان وأصبح غير آمن فحريته منتقصة ، فالذى يخيفك يأخذ من حريتك .

وهنا نقول : مم يخاف الانسان ؟ ! وعلى ما يخاف الانسان ؟ ! والخوف الحقيقى لأى انسان فى أن يخاف على عمره ، ولذلك يقبل الضيم ويحنى رأسه أمام الظلم لأنه يخاف على حياته ، أو يخاف الانسان على رزقه فيبيع حريته بنفس الشىء .

• أسئلة واستفسارات •

تقدم الحاضرون بالكثير من التساؤلات والاستفسارات وتولى السادة العلماء الرد عليها وكانت حول :

- الهجرة ومشكلات الشباب المسلم ..
- مدى مشروعية عمل المحاماة ..
- الحلف بالطلاق ..
- اقامة الموالد ..

• الهجرة ومشكلات الشباب المسلم ..

وحول هجرة الشباب المصرى وزواجهم من الكتابيات وقد أنجبوا أولادا وبنات ، وهذا الزواج كان شرطه أن تظل الزوجة على دينها ،ولكن الزوجات يأخذن أولادهن من حين لآخر فى غيبة الزوج الى الكنيسة فما رأى الدين فى هذا الموضوع ؟

أجاب الدكتور عبد الصبور مرزوق قائلا :هذه المشكلة موجودة فى دول عديدة ، ونقول ان الزواج بالكتابية ليس حراما : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن » ..

المائدة — ٥

فأصل فكرة الزواج من المسيحية أواليهودية جائز ، وسبب زواج المسلم من الكتابية يتلخص فى أنه يذهب الى اى بلد لغرض الدراسة ، ولكى يقيم فى تلك البلد لابد وأن يأخذ اقامة (تصريح اقامة) ولذلك يتزوج من نساء أو بنات البلد . وهنا نتعرض لمشكلة الأولاد ومصيرهم ، وفى الحقيقة أن المشكلة لا يمكن علاجها حتى سن المراهقة . وقد تم انشاء عدد من المعاهد والمدارس تتكفل بأولاد المسلمين فى المجتمعات الأخرى . ولكن المشكلة فى أنه حين يكبر الأبناء نجد أن المجتمع لا يسمح للأب فى أن يعاقب أبنه أو بنته بالضرب مثلا ، فالقانون يتدخل ويسمح للبنت أن يكون لها صديق وتذهب معه أينما شاءت ، وكذلك الولد يكون له صديقة .

ولكننا نجد عددا من المسلمين الذين عاشوا فى مجتمعات غير اسلامية حين يحسون بالخطر فانهم يؤثرون العودة الى بلادهم ويصحبون أولادهم معهم مهما كانت الخسارة المادية التى ستترتب على ذلك حفاظا على الدين والقيم الاسلامية وهذا ما يجب أن يختاره كل انسان مؤمن . وهناك رجال يؤثرون ارسال أبنائهم الى بلادهم حتى يضمن لهم الايمان والصلاح .

• مدى مشروعية عمل المحاماة ..

وحول رأى الدين فى المحامى الذى يتقاضى مالا نظير الدفاع عن القاتل وهو يعلم انه يدافع عن الباطل . أجاب الدكتور جمال الدين محمود قائلا : فى الحقيقة ينبغى أن نفهم عمل المحامى .. المحامى وكيل عن صاحب الحق للدفاع عنه أو وكيل عن شخص وقع فى اتهام طبقا للقانون للدفاع عن حقه أيضا فى حريته أو فى البعد عن العقوبة ، والوكالة فى الخصومة جائزة طبقا للشرع . لكن الشرع لا يبيح أبدا بأى حال من الأحوال قول الزور وشهادة الزور ، فشهادة الزور من الكبائر ، وقول الزور لا يباح أبدا فى الاسلام . والمحامى اذا أخذ أجرا عن الوكالة فى الخصوم وكان يدافع عن حق مال أغتصب ، أو اذا تعدى أحد على عرض احد ، واذا أراد شخص أن يتحايل ويشكك فى ملكية شخص لأملاكه ، واذا كان انسان غائب عن البلد فيوكل

أحد المحامين لحماية أملاكه ، وكل هـذا جائـزوالأجر عليه حلال مادام لا يتعدى الى قول الباطل او ظلم أى شخص فاذا اتهم شخص بتهمة وهولا يعرف القانون ، وقد لا يعرف أو يسىء الدفاع عن نفسه ، هذا الشخص اذا وكل محاميا ، وكان المحامى يدافع عنه باعتباره مظلوما ويدافع عن حقه فى حريته وفى عدم تعرضه للظلم هنـا يكون العمل حلالا .

ونحن نعلم أنه فى عهد الصحابة ، وقع أن امرأة زنت ، ورفع الأمر الى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وأراد أن يقيم عليها الحد ، وكان الامام على بن أبى طالب موجودا فقال له : أراها تستهل به كأنها لا تعرفه . فحين رآها اعترفت ببساطة وبسرعة .. فقال راها تستهل به .. كأنها تأخذ الأمر ببساطة كأنها لا تعرفه ، لا تعرف عقوبة الزنا ولا خطورته ولا تعرف أن نتيجة الاعتراف هى الرجم أو الجلد ، وثبت بعد ذلك أنها مختلة العقل الى حد ما أو لا تسأل على أفعالها .. فلم يقم عمر بن الخطاب عليها الحد . وهنا الاسلام لا يعجز أمام أى نظام قانونى .

فاذا كان المحامى يتولى أمر من وكله ويأخذ أجره حلالا لأنه يدافع عن حقه وعن مصالحه ضد من يعتدى عليها ، أو يدافع عن حريته وعرضه وكرامته من أتهام ظالم فأهـلا وسـهلا به . أما قول الزور وشهادة الزور أو الدفاع عن الباطل فأيا كان القانون فان الله تعالى لا يقبـل هذا العمل والأجر عليه حرام حتى ولو تستر باسم المحاماة أو القانون أو بأى شىء آخر .

• الحلف بالطلاق ..

وحول الحلف بالطلاق الذى يستغله البعض ويردده فى كل وقت وأثنـاء البيع والشراء حتى يعزز به صدق كلامه أجاب الدكتور جمال الدين محمود فقال : ان الطلاق أبغض الحلال الى الله، والطلاق ليس كلمة تقال . وانمـا لها شروط ،وأيضا يدخل فيها النية ، ولم يجعل الفقهاء الحلف بالطلاق يمينا ، واليمين بالطلاق هذا لا يقع طلاق به ، ولفظ الطلاق اذا كان للتخويف أو لمجـرد الضغط لعمل شىء ففى الفقه من يذهب الى أنه لا يقع حتى لو صاحبته النيـة ، والبعض قال أنه يقع بالنية . والقانون المصرى الآن لا يجعل الحلف بالطـلاق طلاقا ، ولا يجعـله للضـغط والاكراه ، فمن يخشى الله تعالى يجب أن يبتعد عن كل لفظ فيه طلاق سواء كان من أجل تزكية تجارته أو يغرر به الناس لتحقيق مصلحة معينة، أو ليجبر شخصا على فعل معين .

وهذا الشخص ما دامت النية تدخل فى هذا العمل والنية لا يعلمها الا الله تعالى ، فيجب على الانسان أن يبتعد عن كل لفظ للطلاق فى غير موضعه . والقانون المصرى اختار من المذاهب الاسلامية ما يحقق المصلحة ، فالحلف ليس طلاقا، والطلاق بقصد الحمل على شىء لا يقع الا بالنية، والطلاق مادام يقترن بالنية ، فمن الأوثق أن يبتعد الانسـان عن هذه الكلمة مطلقا حتى لا يعرض نفسه لارتكاب أبغض الحلال عند الله .

• إقامة الموالد .

وحـول رأى الدين فى اقامة المـوالد التى يقيمها المسـلمون وما يحدث فيها من سلوكيات مختلفة يقول الدكتور عبد الصبور مرزوق :

قضية اقامة الموالد تلقى اعتراضا من بعض أصحاب الفكر السلفى ، ويعتبرونها كفرا ، وهى قضية كبرى يشغل بها العالم الاسلامى .

ومن الناحية الشرعية لم يحدث ايام الرسول عليه الصلاة والسـلام اقامة مثل هذه الموالد . ولا بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لم يحدث هذا لانه وقتها كان يعيش فى قلوب الناس

وفى سلوكهم . وأحيانا قد يضعف الوازع الدينى فى فترة من الفترات فى تاريخ الأمم نتيجة غـزو الحضارة والهزيمة السياسية، أو بسبب مشكلات اجتماعية ، ويلجأ بعض الحكام الى أشياء توقظ الناس ، أو اصطناع مناسبات لتذكير الناس بحقيقة الدين والعقيدة ، ولم تعرف هذه المسائل الا فى فترات الضعف السياسى لأمة المسلمين ، وبدأت الأمة تتوقف عن التقدم والسير وتراجعت، وبدأ الحاكم يشغل الناس ويوقظهم بهذه الأمور ــ ذلك فى نهاية العقد العباسى ، الى أن وضحت فى عهد العثمانيين .

وأضاف الدكتور عبد الصبور مرزوق بقوله:

واذا كان الاحتفال بمولد النبى فى اطار ذكر الله وعبادته والخشوع له ، مع التوعية الدينية فهنا لا مانع من اقامته ، ولكن اذا تحول المولد الى حلقات من الاختلاط والفوضى فهذا يتنافى مع الاسلام ، لأن الاحتفال بميلاد الرسول الغرض منه أن نتأسى بالرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى قوله وفى فعله ، بعيدا عن البدع والخرافات .

ومما هو جدير بالذكر :

أن شركة مصر [redacted] للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى تعتبر أكبر قلعة لصناعة الغزل والمنسوجات والملابس القطنية والصوفية بالشرق الأوسط .

● تأسست الشركة ــ عام ١٩٢٧ وبدأ الانتاج بها عام ١٩٣١ برأس مال ٣٠٠ ألف جنيه أخذ يتزايد الى أن وصل الى ٥ر٢٦ مليون جنيه .تشغل المصانع ٣٤٠ فدانا والمساكن والمرافق ٢٦٠ فدانـــا .

● تستهلك المصانع ٤٧ ألف طن من القطن الخام فى السنة بنسبة ٢٠٪ من الاستهلاك المحلى لمحصول القطن فى مصر . ويبلغ انتاج مصانع غزل القطن (الثمانية ٤٦ ألف طن غزل سنويا ــ ويبلغ انتاج مصانع نسيج القطن (١٦ مصنعا) ١٧٥ مليون مترا سنويا بنوعيات مختلفة .

● يبلغ انتاج الملابس الجاهزة الحريمى والرجالى من أحدث الموديلات العالمية ١ر٨ مليون قطعة سنويا .

● اجمالى قيمة المبيعات فى السوقين المحلى والأجنبى ٣٠٠ مليون جنيه سنويا منها صادرات قيمتها ٧٥ مليون دولار .

توفر سياسة الاكتفاء الذاتى التى تتبعهـا الشركة للكهرباء والمياه والصيانة وقطع الغيار .

● يعمل بالشركة حوالى ٣٤ ألف عـامل أجورهم السنوية ٧٤ مليون جنيه . دأبت الشركة على توفير الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية والرياضية لجميع العاملين بها وأسرهم ايمانا منها بأن هذه الخدمات لها آثارها الايجابية على الانتاج . وفى ميدان التعاونيات بشتى أنواعها (الانتاجى والاستهلاكى والغذائى والاسكانى) تواصل الجمعيات التعاونية الملحقة بالشركة نجاحها حتى أصبحت رائدة بما تحققه لمجتمع الشركة والمنطقة من خدمات ولأبنائهم من رعاية وعمل شريف . وهكذا تبدو الشركة مدينة متكاملة ومنارة للاقتصاد المصرى فى مصانعها ومرافقها وتعاونياتها .

● تهتم اللجنـة الدينية بالشركة باقامة الاحتفالات فى كل المناسبات الاسلامية ، كمـا تحرص كل الحرص على اقامة الندوات والمحاضرات التى يحضرها جمع كبير من العـاملين بالشركة وقيادتها .

اعداد
دكتور / محمد بهى الدين سالم
● منير بيومى ● جلال فتح الله

الشعر

الإسلامي

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ

«صدق الله العظيم»

للأستاذ كامل أمين

العلم ما شحذ العقول وبيننا ... ما تطلق الأقلام فيه الألسنا
بين التأمل فى الوجود وبينه ... صلة الضحى بالشمس تنتظم الدنى
نور يرينا قدرة الله الذى ... من قوله « كن للوجود تكونا
حتى نرى بالفكر فى ملكوته ... ما أبدع الخلاق فيه وأتقنا

* * *

فاتاح من فكر العقول عيونها ... وأتاح للفكر التأمل أعينا
والشمس يعلونا شواظ اتونها ... والأرض يغلى جوفها من تحتنا
والسحب أنهار معلقة على ... متن الرياح من الفضاء تظلنا
سل منكر الخلاق منهم قل لنا ... أخلقت نفسك أم خلقت كخلقنا

* * *

مهما يطل عمر امرىء فى ملكه ... ما نام (عزرائيل) عنه وما ونى
أفبعد من خاق الورى سواك انسا ... نا بعقل كى تفكر مؤمنا
نلقاك تنكره بالحاد وعلما ... نية زورا لتفرى بعضنا
والكفر علمانية والمركسية صنو ... ها الألحاد فيها استوطنا

* * *

وغواية الشيطان للانسان كالانسا ... ن للانسان حين تشيطنا
فاذا سئلت عن الفساد فدعك من ... ابليس وابحث عنه فيما بيننا
ابليس لم يقتل ولم يسرق ولم ... يؤخذ بحد الخمر أو حد الزنا
لكن أناب لفعل كل خطيئة ... عنه امرءا أغواه فيها مذعنا

***

ولقد يضلل من يشاء منافق ... ليظنه من غرهم متدينا
حتى يغير كالأفاعى جلده ... ليعيش كالحرباء فيه ملونا
الا قلوب المؤمنين بربهم ... لن يخدع المرتد منهم مؤمنا
تبقى المآذن والمؤذن فوقها ... الا المجدف لن يكون مؤذنا

***

واليوم فى الأهرام نسمع ضجة ... حول العقيدة من هناك ومن هنا
وكأنما الأهرام منبر كل من ... ظن الهجوم على العقيدة هينا
فتحت له باب التطاول مرة ... حتى اذا استهواه أصبح ديدنا
زعم النبى الى (قريش) مرسلا ... والعرب لا للعالمين وللدنى

***

وبأن لفظ الناس يعنى أنهم ... عرب وليس العالمين لنفتننا
ماذا أقول لمن يحرف فى الكتا ... ب اذا الكتاب قضى به أن يلعننا
فرسالة الهادى لكل الناس ... س فى القرآن ثابتة به لنبيننا
من كان فى القرآن أرسل رحمة ... للعالمين قضى له قرآننا

***

لو كان فى القرآن أدرك آيه ... ما كان فسرها على جهل لنا
فعلى الذى جهل الكتاب قراءة ... أن يحفظ القرآن كى يتبينا

يا أمة الإسلام

الأستاذ رشاد محمد يوسف

أيظل يهتك سترك الأول … وتضج بين ربوعك الأحقاد ؟
أتظل تنبثق الدماء سخينة … من راحتيك وتسحل الأجساد ؟
يا أمة الاسلام أى بلية … غشتيك فانفطرت لك الأكباد ؟
ودهى الوجوم المشرقين وصوحت … فى المغربين كآبة وحداد
قد كنت قائدة الحياة فما الذى … أزرى بقائدة وكيف تقاد ؟
فى كل شبر من ربوعك أشعلوا … فتنا يزيد أوارها الأمداد
أنا اتجهنا فالدسائس جمة … عادت أساليب العداة وعادوا
يتقاسمون على الموائد خيرنا … وعلى عقيدتنا يقام مزاد
الغرب والشرق البغيض تآمروا … وتجمع التبشير والالحاد
أفريقيا تشكو وفى أرجائها … بالمسلمين تآمر الأوغاد
والهند والشرق القصى وفوقه … للمسلمين أقيمت الأعواد
والأخوة الأفغان طال صمودهم … زاد العداة وزاد الاستشهاد
يقفون فى وجه التآمر وحدهم … لبنات قلعتهم هى الأجساد
والعرب فى الوطن السليب تفرقوا … سكنوا الى الدنيا وطال رقاد
سكن اليهود جلودهم فاستسلموا … ملك اليهود زمامهم فانقادوا
والقدس فى الأسر المهين حزينة … مأساة أندلس هناك تعاد
وعلى الخليج تمزقت أوصالنا … والكل يفخر أنه الجلاد
طهران تفتك بالعراق فخورة … وتعود تقصف بعدها بغداد
والنار تأكل خيرهم وديارهم … والقوم لا وعى ولا استرشاد
لبنان تسبح فى الدماء وفى الردى … ويعيث فى أرجائها الأضداد
وتبيت تنعى من بنيها عصابة … خلعوا هوية قومهم أو كادوا
وتظل تجتاح الخطوب ربوعنا … وتظل ظالمة ليالنا تزداد
وتعاد قصة دنشواى وغيرها … ويظل يمرح بيننا الصياد
يا أمة الاسلام صيحة شاعر … قد ملها التكرار والترداد
المسلمون لديه وحى قصيدة … وهم الهوى والأهل والانشاد
يا يوم مولد أحمد علمتنا … « ان الحياة عقيدة وجهاد »
فعسى قدومك أن يكون لأمتى … عيدا فكم عزت بها الأعياد
ويعود للأرض السلام وتنمحى … عن أرضنا الأحقاد والأصفاد
وتعود رائدة الحياة عزيزة … وتعود تشرق فوقها الأمجاد

حنين

إلى مهبط الرحمات

الأستاذ عمر موسى البرعي

يارب اشهدنى ضيا عرفات   كرما ووجه نحوها خطواتى
لجلالها يصبو فؤادى لهفة   ويحن أشواقا الى الخيرات
والقلب يلهج بالدعاء تيمنا   وبه أناجى الله فى خلواتى
يا موقفا يصبو الفؤاد لنوره   حبا وتسعد فى الأنام حياتى
لسنائك الوضاء سار محمد   وتتوجت قدماه بالبركات
وبفضله حلت عليك مكارم   أهدت الينا حكمة وعظات
فاليك ياتى العابدون ببهجة   وخواطر تشتاق للرحمات
وهناك يبتهج الحجيج بموقف   يضفى عليهم أطيب النفحات
تلك المواقف بالضياء تلألأت   فيها الملائك تكتب الصفحات
هو مشهد أرنو الى تحقيقه   وله أحن على مدى السنوات
لأرتل القرآن فى أركانه   وأحس بالأنوار فى السورات
فيه تهل عوارف ومعارف   ولطائف تسمو بها نظراتى
فيه الكريم يفيض من آلائه   نعما تحس بنبضها خطراتى
والبيت ينشده الفؤاد تشوقا   فالبيت فيه وسائل القربات
من حوله طاف الخليل مهللا   ومكبرا لله بالآيات
لما بناه تباركت أركانه   لما دعا بالرزق والثمرات
رفع القواعد بالدعاء تضرعا   والله ثبته بكل ثبات
ان الذى يغشاه فى ترحاله   فالله ينقذه من الويلات
شد الرحال اليه فى اشراقة   واقصد اليه اليوم قبل ممات
فالله يمنح بالرجاء عطاءه   من يبتغيه ويخلص الدعوات
فاسأله يبسط من خزائن رزقه   فالفضل منه بالضراعة آت
يا مبدع الأكوان فى انشائها   ضاعف بفضلك منة حسناتى
مالى سواك اليوم فى أمنية   فلك الدعاء يطول فى صلواتى
فخواطرى اللهفى تفيض تشوقا   نحو الهدى والنور فى عرفات
فامنن على بزورة لرحابها   فرحابها ركن من الجنات
ان الدعاء وسيلة أرجو بها   وبه أعبر دائما عن ذاتى
انت الكريم يصيب فضلك دائما   من يرتجيك بصادق الدعوات

التوبة

شعر : عمر عمران أحمد

على باب المليك حملت وزرى ... وبى قلق وروع وارتياب
فذنبى ما يزال يقض نومى ... ويسلمنى عذاب واكتئاب
وكم أسرفت فى فكر وظن ... فجللنى التمزق والضباب
وكم قدمت فى الأعذار غيا ... فأرهقنى الشتات والاغتراب
وكم ناءت بى الأثقال حتى ... هويت ولا ظلال أو رحاب
أغالب موجة الأحزان يأسا ... وقلبى راح يرديه العباب
بقايا من فتى لم يبق الا ... صدى جسد وشريان مصاب
ونبض لم يزل يدمى هشيما ... بجسم غاله سقم وصاب
ويستلب الدجى أوصال روحى ... ولا ومض هناك ولا سراب
وسؤلى ما يزال أليس مأوى ... وهل ينجيك يا نفس المآب ؟
لقد أمعنت فى شكواك حتى ... جفاك الأفق وانتبذ التراب

***

اذا ضلت خطاى فأى أرض ... تهادننى وأى رؤى تجاب ؟
وان أفلت من هذى فماذا ... باخراى الجزاء أو الحساب ؟
لقد أضحى الوجود يرد وجها ... ولا أمل يرجى أو عتاب
وذى الأنفاس قد ثقلت بصدرى ... تحاصر رقدتى الهوج الذئاب

***

تسلل فى الضلوع سنا شعاع ... وجاء النسم وانقشع السحاب
فليس سواى يغتفر الخطايا ... وبين يديه يغتنم المتاب
برحمته يئوب فتى عصى ... ويغمر صدره النور المذاب
الى ساح العلى تركت نفسى ... وحل الأمن واقترب الصحاب
قصدت بتوبتى رب البرايا ... فعدت مظفرا وحلا الاياب

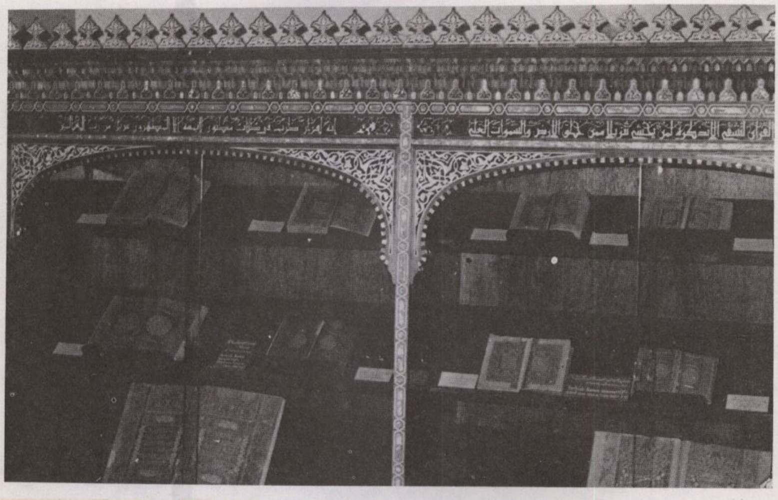

كتاب الشهر

المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء

عرض وتقديم

الدكتور محمد بهى الدين سالم

عزيزى القارىء :

ليس أفضل من وقت تقضيه مع مبحث من مباحث كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

لم تترك كلمات الحق تبارك وتعالى شيئا أو أمرا صغر أو كبر من أمور ديننا ودنيانا الا وحددت معالمه تحديدا يعجز البشر عنه جميعا الى قيام الساعة ، فعلم الله أكبر ، وذاته أعظم ، وقدرته فوق كل القدرات ، فهو الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى .

((تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا)) .

صدق رسول الله ﷺ

واليوم عزيزى القارىء .. مع نفحة من نفحات الرحمن مع : ((المجتمع الاسلامى كما تصوره سورة النساء)) .

كتاب شيق لعالم اسلامى جليل هو المرحوم الشيخ/ محمد محمد المدنى طيب الله ثراه .

دعنا **أولا** نوجز ما جاء بين دفتى الكتاب قبل أن نعرض مباحثه : سورة النساء هى السورة الرابعة فى ترتيب المصحف ، أما فى ترتيب النزول فأصح ما ذكر أنها سادسة السور التى نزلت بالمدينة المنورة ، وقد انعقد الاجماع على هذا الترتيب العثمانى المتلقى عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولكن هذا لا يمنع الباحثين من أن يسترشدوا بتاريخ النزول وأسبابه توصلا الى ما يفيد الحقيقة فى مختلف بحوثهم فان فى معرفة هذا علما كثيرا ، وفوائد جمة ، وعلى هذا فلابد من معرفة البيئة المعنوية التى نزلت فيها السورة الكريمة حتى ندرك الرابطة بين موضوعاتها وموضوعات البيئة التى نزلت فيها .

وقد سميت السورة بسورة النساء وقد يطلق عليها ((سورة النساء الكبرى)) أو سورة ((النساء الطولى)) تمييزا لها عن سورة أخرى من سور القرآن الكريم هى سورة ((الطلاق)) انها تسمى أيضا ((سورة النساء الصغرى)) .

وهذه السورة الكريمة مدنية تتجلى فيها كل الخصائص التى اختصت بها السورة المدنية ، وقد اهتمت كثيرا بما يتعلق بتنظيم جماعة

المسلمين داخل بلادهم ، وفى علاقتهم الاجتماعية بعضهم مع بعض ، وفى وضع اسس الحكم الصالح الذى يجب ان تقوم عليه دولتهم ، وفى وجوب الحذر من الذين يريدون أن يزلزلوا عليهم هذه الدولة اما عن طريق تشكيكهم فى مبادىء الدين ومثله وتشريعاته ، واما عن طريق القوة المادية واثارة الحرب بنوعيها اللذين عرفناهما فى زماننا الحاضر بالحرب الحاميه ، والحرب البارده .

وتبدأ السورة بتقرير المبدأ الأول الذى يجب أن تقوم عليه المجتمعات أيا كانت ، وهو ان الناس جميعا متساوون فى الخلق من نفس واحده خلقها الله تعالى ، وبعد ان قررت السوره هذا المبدأ الأول ، اخذت تتحدث عن العناصر واللبنات المكونة لبناء المجتمع ، وبدات فى ذلك باضعف هذه العناصر ، واحوج هذه اللبنات الى الرعاية والتقوية وهم اليتامى والسفهاء والنساء .

وبعد ذلك اهتمت السورة بتشريع واضح مفصل فى شأن هام من شئون المجتمع هو نظام المواريث ، وعرضت السورة بعد ذلك لجريمتين من الجرائم الخلقية من شانهما أن تفسدا المجتمع افسادا شديدا ، وذلك فى قوله تعالى : **« واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم »** وهذه ناحية ، والناحية الثانية هى « التوبة » .

بعد ذلك عرضت السورة لبعض أحكام الأسرة ، ونظمت بعض العلائق بين الأزواج والزوجات .

وفى ربع كامل عرضت السورة بعد ذلك الى الأسس التى أقامت عليها أول مجتمع اسلامى تحت ظلال الدولة الاسلامية ، فوضعت له أسس الايمان والخلق والتعاون الجماعى ، وحذرته من مفسدات الأمم ، وما يطيح بها ، ثم وصفت السورة أساس الحكم الاسلامى فبينت أن ذلك يقوم على أمرين عظيمين هما أداء الأمانات الى أهلها والعدل بين الناس .

ثم بدأت السورة بعد ذلك تتجه الى جانب المحافظة على هذا المجتمع الاسلامى وتحذيره من كيد أعدائه المتربصين به .

ثم عرضت السورة للشرك وأوهام المشركين ، واضلال الشيطان لهم وعاقبتهم من الخسران المبين ، وعذاب الجحيم ، ووازنت فى هذا الجزاء وتلك العاقبة بينهم وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ثم تحدثت عن تقوى الله ، وأنها من الوصايا التى أجمعت عليها جميع الكتب وانها مما يقضى به المنطق وفهم الأمر على وجهه الصحيح .

بعد هذا أخذت السورة فى حديث عن اهل الكتاب « اليهود » فذكرت حمقهم فى مطالبتهم محمدا صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، وأن لهم فى هذا الحمق ماضيا ، ثم جاءت السورة بعد ذلك بحديث عن الوحى والرسالة فبينت أن رسالة **محمد ليست أول** الرسالات ، كما بينت **أن الحكمة من** ارسال الرسل هى اقامة الحجة على الناس ، وأن الكفر بالرسالات والاعراض عنها لابد أن يوصل الناس الى جهنم ، ثم ختمت السورة بآية فى شأن الميراث أفردتها عن الموضع الذى ذكرت فيه أحكام المواريث لحكمة مقصودة .. هذا عرض اجمالى لما تضمنته سورة النساء من الأحكام والمبادىء والوصايا وكلها ذات صلة وثيقة بشأن المجتمع ووضع الأسس التى يجب أن يقوم عليها .

(المبادىء والتوجيهات التى أقامت عليها السورة نظام المجتمع)

١ ــ المساواة بين الناس :

مما هو ثابت فى تاريخ الأمم والشعوب أن الملوك وأصحاب السلطة قد قسموا العالم الى طبقات ، وقد استمر هذا النظام الطبقى فى أوروبا ، وكانت فرنسا قبل ثورتها مظهرا من أشنع مظاهره ففيها طائفة النبلاء ، وطائفة الأجراء ، أضف الى ذلك نظرة الأروبين الى غير الأوربين ، فقد كانت ومازالت الى اليوم نظرة ازدراء وتعصب ، وكان من آثار هذا المبدأ أن كانوا يحاربون الشرق بأسلحة وثنية لا يحاربون بها فى الغرب ، وفى جانب آخر من جوانب هذه الطبقة أو هذه العصبية نرى موقف هذه المدنيات والحضارات المخالفة للاسلام من المرأة يصور لونا من ألوان الظلم والاساءة من الانسان الى أخيه الانسان ، ويحدثنا التاريخ أن المرأة كانت تلاقى من العنت وألوان الشقاء حتى فى المجتمعات المتمدينة والبلاد المتحضرة ما لا يلاقى الرجل بعضه .

هذا بلا شك مبدأ منافر للطبيعة مخالف لمقتضى أصل الخلق ولهذا كان الاسلام طبيعيا فطريا حين قرر مبدأ المساواة بين الناس واهدار الجنس ، والغاء الطبقات وعدم الاعتراف بالتفرقة الظالمة بين « الذكورة » و « الأنوثة » فى معنى الانسانية المشترك .

وفاتحة سورة النساء تقرر المبدأ الأول الذى لابد من قيام مجتمع صالح على أساسه ، وهو مبدأ المساواة امام الله ، وفى هذا :

- الغاء الفوارق الطبقية .
- الغاء الفوارق الدينية والعنصرية .
- الغاء التفاوت فى الوزن الاجتماعى بين الرجل والمرأة .
- غرس للوازع النفسى فى المجتمع .
- احياء لعاطفة الرحمة .

ولا ينبغى أن يفهم من هذا أن المرأة والرجل قد اصبحا بهذا مستويين حتى فيما تفرض الطبيعة اختلافهما ، وانما الفطرة أكسبت كلا من الجنسين أوضاعا خاصة .

٢ — الايمان بالله وحده :

الحق تبارك وتعالى اله معبود ، ومشرع رحيم عليم حكيم ، والقرآن الكريم يتحدث عن وحدانية الله كمبدأ يجب ان يستقر فى المجتمع عملا بعد أن قامت عليه الأدلة حجة ونظرا ، فالذى يضع الحدود هو الله تعالى ، والذى يجب له الطاعة هو الله تعالى الذى وضع هذه الحدود ، ورسوله الذى بلغ عنه ، والناس اما طائع ملتزم هذه الحدود فله الجنة والفوز العظيم ، واما عاص متحد هذه الحدود فله النار والعذاب المهين ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ومباينته واتباع غير سبيل المؤمنين .. وسورة النساء تثبت صفات الله تعالى التى تغرس الهيبة والمحبة والرضا فى نفوس المؤمنين ، والقرآن الكريم لا يحشد المبادىء والتشريعات حشدا ، ولا يعنى بأن يجمعها فى نطاق واحد ولا بأن يضم الشبيه منها الى شبيهه والموضوع فى بعض تفاصيله الى بعض ولكنه يراوح ويغادى بالموعظة حينا والقصة حينا ويذكر طرفا من الشىء ثم يتركه ثم يعود الى اتمامه ، وهكذا حتى لا تسأم النفوس هديه ولا تستثقل حديثه ، وكان هذا سرا من أسرار اعجازه .

٣ — العدل فى الحكم والقضاء والشهادة :

العدل من أهم الأركان التى يقوم عليها المجتمع الصالح ، وقد عنيت سورة النساء كما عنى القرآن الكريم فى كثير من السور بأن يقيم المجتمع الاسلامى على أساس العدل القويم الذى لا يعرف الالتواء ولا يتأثر بالأهواء ، وقد جاءت جميع تعاليم الاسلام متمشية مع العدل ، فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات ، وقواعد السلوك الاجتماعى ، وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض ، كل ذلك قام على العدل ، ورمى الى تحقيقه ، وسورة النساء أسهمت بنصيب واضح فى تقرير مبدأ العدل فى الحكم ، وفى القضاء والشهادة وكل المبادىء والأحكام التى أتت بها يمكن ارجاعها الى مبدأ العدل ، وسورة النساء تنهى عن ملاحظة عوامل التعصب للنفس أو التحيز للقرابة مما يبعث على تلوين العدل بغير لونه واعطاء المشهود له ما لا يستحق ، وذلك هو الاخلال بالعدل عن طريق محاباة النفس أو من تميل اليه النفس .

٤ — التضامن الاجتماعى العام :

فى سورة النساء يأمر الله جل جلاله عباده أن يقيموا مجتمعه على أساسين **الأول** عبادته وحده لا شريك له فى التوجه والدعاء لا فى التشريع بالتحليل أو التحريم **الثانى** أن يكونوا متضامنين متكافلين .

وقد أجملت الآيات ما أمرت به فى شأن هذا التضامن والتراحم فى كلمة جامعة شاملة هى كلمة الاحسان فقالت : **« وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى واليتامى »** والاحسان مرتبة فوق العدل ، وقد حذرت السورة المجتمع من مظاهر الأرستقراطية ، وهى الاختيال والفخر والتعالى على الناس ، وفى القرآن الكريم ثناء على الجود والايثار يقابل هذا الذم للشح والأثرة ، وتذكر الآيات صنفا آخر من المختالين وهم اللذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

وعلى هذا الأساس ، وهذا المبدأ الذى هو التضامن والتكافل بين الفرد وشركائه فى المجتمع أمر المؤمنين بالقتال فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

وجاءت آيات فى سورة النساء تبين مشروعية القتال وأهدافه ، وتقرر أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله لأن الرسول فى الحقيقة لا يأتى بشىء من عنده ، وانما هو مبلغ عن الله سبحانه ، وقررت الآيات مبدأ الهجرة اذا كانت سبيلا الى العزة والتخلص من الاستضعاف والظلم مع القدرة عليها .

٥ — الآيات المحذرة :

كان للمجتمع الاسلامى بالمدينة اتصال بأنواع من المنافقين ، كانوا يختلفون فى أساليب حربهم للمؤمنين واقلاقهم ، وان اتفقوا فى الغرض وهو القضاء على الاسلام .. فكان بالمدينة جماعة يتظاهرون بالاسلام ، ويبطنون الكفر ، وكان بها اليهود وناهيك بهم وبتاريخهم فى الافساد والدس .

تحدثت سورة النساء عن كل هـذه الأنواع ، وبينت للمسلمين حقيقة كل نـوع ، وارشدتهم الى ما يجب عليهم أن يسلكوه معهم من الحذر والاعراض والتجنب فتحدثث عن المخذلين والحرب بالشبه والاضاليل ، وتزلزل أهـل النفاق ، وبواعث النفاق ، وأكدت ان من مظاهر النفاق الاستهزاء بالدين وأوجبت مقـاطعة المستهزئين بآيات الله ، وقررت أن من صـفات المنافقين الانتهازية والمخـادعة والمراءاة ، وكما تحدثث سوره النساء عن هـذا النـوع من المنافقين بالمدينة تحدثت عن نـوع آخر هم المنافقون من اليهود ، رمن المعروف أن المدينة كانت تضم كثيرا من اليهود ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لاقوا منهم كثيرا من العنت ، وطاولوهم كثيرا لعلهم يفيئون الى ما هو أجدر بهم كأهل كتاب سـماوى من مؤازرة النبى وتقبل دعـوة الاسلام ، ولكنهم ما كانوا يزدادون الا غرورا وعصيانا حتى حكم الله بحكمه فيهم فأجلوا عن المدينة صاغرين .

والتاريخ يدلنا على تمرد هـؤلاء وألـوان نفاقهم وعتوهم ومحـاربتهم للدعوة الاسلامية وارجافهم عليها وعلى رسـول الله بألوان باطلهم وقد جاهد المسلمون هـذا العدو المداخل لهم المتغلغل فى أعماقهم وما كان القـرآن يقابل به ترهاتهم ، وشبههم ويفضح به نواياهم السيئة ، ولولا أن الله تعالى أيد رسوله بنصره ، وحمى دعوة الحق بفضـله ورحمته لكان من الجائز أن يتغير وجه التاريخ عما هو عليه الآن لكن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾

سورة التوبة ٣٢

٦ ــ الآيات الموجهة :

وتشترك هـذه الآيات كلها فى ان لها رسالة فى المجتمع واحدة وفى أن لها أسلوبا معينا من شأنه أن يؤثر تأثيرا قويا متجددا منطبقا على آلاف الحـالات فى كل مجتمع ، فأما الرسـالة الواحدة المشتركة بين هـذه الآيات فهى وضع دوائر ومناهج كلية يرجع اليها الناس فى أهم النواحى التى يدور حولها نشاط المجتمع ، وان شئت فقل ان هذه الآيات بمثابة منارات تنبعث منها اضـواء كاشفة متجددة متحركة تهدى كل من توجه اليها ، وأما أسلوبها الواحد المعين فهو أنها أخرجت كلها مخرج الأمثال التى تعتمد على اللفظ الوجيز والمعنى الوسيع ، والصلاحية للانطباق على كثير من السور .

هذه الآيات قد تجاوزت الستين آية ، وتتناول كل المبادىء والتوجيهات التى تحدثنا عنها من قبل .

٧ ــ الآيات المبشرة :

تعد رسالة الاسلام فى بناء المجتمع رسالة رحيمة وتبشير وتخفيف وتيسير ، لا رسالة قوة ولا تشديد ، ولا تحجير ، ولا تزمت ، وفى سـورة النساء نجـد آيات تصـور أهـداف التشريع الاسلامى للمجتمع تصويرا واضـحا رائعا مثل قوله سبحانه وتعالى :

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

سورة النساء ٢٦ ــ ٢٨

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

سورة يونس ٢٥

يتجلى من هـذا أن القرآن الكريم يريد للمجتمع أن يكون متمسكا بأهداب الأمل دائما لا ييأس من روح الله .

والآيات المبشرات فهى تفتح سـبعة أبواب للرجاء :

١ ــ الاعتراف بالحقيقـة الواقعة فى شأن الانسان ، وأنه خلق على هيأة وطبيعة تجعله يصيب ويخطىء ، ويأتى بالخير والشر ، ويصدر منه الصلاح والفساد ، وبأنه مخلوق ضعيف لا يمكن أن يحتمل فوق طاقته .

٢ ــ أنه تعالى قد شرع أحكامه على أساس ملاحظة ذلك فجاءت تكاليفه وشرائعه لمعاونة الانسان والبيان له لا للتحكم فيه ، ولا للاثقال

عليه ، وجاءت تكاليفه ميسرة مخففة بريئة من التشديد والاعنات والارهاق ، وجاءت معاملته للناس متمشية مع العدل والرحمة والفضل والاحسان .

٣ — ان الله تعالى لا ينقص أجر عامل ولا يبخس أحدا حقه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

٤ — أن الله تعالى يغفر الصغائر والهنات بمجرد البعد عن الكبائر اى عظام الذنوب .

٥ — ان العبد اذا ارتكب الكبيرة لم يقنطه الله من رحمته ، ولم يتركه يحتمل فى نفسه مرارة الشعور بأنه مطرود يائس ، ولكنه يدعوه الى توبة ، ويطلب منه أن يطرق بابها . ويعده بأن يتقبل توبته الصادقة ولو تكرر منه الذنب ، وتكررت منه التوبة .

٦ — وأنه جل شأنه يرجى عباده ترجية أخرى ، اذ ينبئهم أنه هو الغفور الرحيم ، وأنه من حقه أن يغفر لأهل الكبائر ولو ماتوا دون أن يتوبوا ماداموا غير مشركين .

٧ — أنه تعالى يضاعف الحسنة فيجعلها عشرة أمثالها ، ثم يضاعف الجزاء لمن يشاء أضعافا كثيرة لا تقف عند حد .

كل ذلك يحيى الآمال ، ويفتح أمام المؤمنين آفاق الرجاء ، ويدفعهم الى العمل خفافا غير مثقلين بشعور الاثم ، ولا مكبلين بأغلال اليأس .

كان هذا عزيزى القارىء .. هو المبحث الأول من كتابنا الشيق والذى شمل المبادىء والتوجيهات التى أقامت عليها سورة النساء نظام المجتمع الاسلامى .

ومن المبحث الأول الى المبحث الثانى الذى تناول أهم الأحكام التى تضمنتها السورة الكريمة .

١ — أحكام اليتامى :

عنى القرآن الكريم فى مكيه ومدنيه باليتامى ، ولكننا نستطيع أن نقول أن سورة النساء كانت هى أبرز سور القرآن الكريم فى هذا الشأن ، فقد عنيت بالتشريع لليتامى ، وجعلت المجتمع متكافلا فى القيام بأموالهم ورعاية شئونهم ، والتشريع الذى جاءت به السورة فى شأن اليتامى يرجع الى ما يلى :

١ — حفظ أموال اليتامى :

٢ — اصلاح هذه الأموال بالقيام عليها وحسن التدبير لها .

٣ — الانفاق على اليتامى من أموالهم ، والعمل على أن يكون الانفاق من ربحها وثمراتها لا من أصلها ورأسها .

٤ — اصلاح اليتامى من أنفسهم بتربيتهم تربية صالحة قائمة على تكريمهم والاعتداد بشخصيتهم وتعليمهم كل ما به يكونون مواطنين صالحين واعضاء فى المجتمع نافعين .

٥ — ارتسام النوايا الصالحة فى جميع شئون اليتامى ، أى الاخلاص لهم فى رعاية أموالهم وأخلاقهم ومصالحهم بحيث لا تنطوى النفوس على نية اغتيال أموالهم .

٦ — الاشهاد عند دفع الأموال الى اليتامى بعد بلوغهم سن الرشد .

٢ — تعدد الزوجات :

شرع تعدد الزوجات للرغبة فى القيام لليتامى بالقسط ، وتحقيقا لأمر الله ، ورعاية لمصلحة اليتامى أنفسهم ، وأنه ليس مشرعا لمجرد أرضاء النفس ، وتحقيق الرغبة فى النساء ، وأنه بهذا التفسير ليس غريبا عن موضوع اليتامى ، ولا دخيلا فى أحكامهم ، فانه ذكر حلا لمشكلة من مشكلاتهم فى المجتمع حين تقضى المصلحة بأن يقوم علهيم وصى بالقسط ، وتقضى الآداب الاسلاميةبأن يتحرج الرجل بمن‌هم أجنبيات عنه، وأنه يمكن القياس على هذا الفرض بأن يباح التعدد اذا دعا داع اليه ، وأن يقيد التعدد اذا لم يكن له داع يشبه ما ذكره القرآن الكريم من اقامة القسط فى شأن اليتامى ، وأن هذا كله مشروط — مع توخى الغاية الشريفة — بأن يأمر الزوج عدم الجور فاذا خاف الجور وجب عليه الا يعدد .

٣ — أحكام المواريث :

نظام المواريث عامة وما اتصل بها من مبادىء استنبطها الفقهاء ومن دلالات على الحجب بالحرمان أو بالنقص ، وعلى درجات القرابة ، أغلب ذلك مأخوذ من سورة النساء .

ان مبدأ تنظيم أحكام الميراث مبنى على مبدأ الاعتراف بحق الانسان فى أن يملك واختصاص قرابة معينة له فى أن ينتقل اليها ما يملك بعد موته ، وكلا المبدأين طبيعى ملائم للفطرة ، ولذلك قررها الاسلام ، وبنى على أساسهما أحكامه فى الملكية والاختصاص والكسب والميراث وما يتصل بذلك كله .

ومن الشرائع الوضعية ما يخالف الاسلام فى التفصيل مع موافقته فى مبدأ الملك والتوريث ،

وترى فروع هذه المخالفة فى الشريعة اليهودية ، وفى الشرائع القديمة للعرب وفى القانون الرومانى والفرنسى .

وللاسلام فيما شرع حكمته وفلسفته وكلها مستندة الى حكم الطبيعة متمشية مع دواعى الفطرة .

ولو ذهبنا نتتبع كل حكم من أحكام الميراث لوجدناه على أساس من الموازنة العادلة بين كل عضو فى الأسرة ، وما يؤديه للمجتمع من نفع ، وهذا هو المعنى الذى يشير اليه قوله تعالى فى آخر الآية الأولى من آيتى المواريث الأساسيتين :

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

سورة النساء ١١

٤ ـ جريمتان فاحشتان :

عرضت سورة النساء لجريمتين من أشنع الجرائم الخلقية التى من شأنها أن تؤدى بالمجتمع الى فساده ، وأن تسلب أعضاءه رجالا ونساء ما لكل منهما من خصائص ، وذلك ما جاء فى قوله تعالى :

وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

سورة النساء ١٥ ، ١٦

اى ان الآية الأولى تقول : ((**واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم**)) وتقول الآية الثانية ((**واللذان يأتيانها منكم**)) وضعت كل من الآيتين العقوبة المناسبة للجريمة التى تتحدث عنها ، فعقوبة النساء اللاتى يرتكبن هذه الفعلة المنكرة أن يمسكن ويحبسن فى البيوت كى يبتعدن عن الجو الذى يتمكن فيه من الاتصال بنساء غيرهن الى ان يتوفاهن الموت فينتهى بذلك امرهن ، اما الرجال ((اللذان يأتيانها منكم)) فعقوبتهم هى الايذاء ، وهى عقوبة فوضها الشارع لولى الأمر فله اذا ثبتت الجريمة المنكرة على رجلين أن يؤذيهما ، والأذى درجات وللقانون المستمد من هذا التفويض أن ينظمه ويحدده كما تقضى بذلك المصلحة ، وكما يتناسب مع شيوع الجريمة فى المجتمع .

٥ ـ أحكام التوبة :

التوبة فى الأصل : الرجوع ، فاذا رجع الانسان الى نفسه وندم على فعل القبيح ، وعزم على الا يعود كان تائبا الى الله راجعا اليه ، وذلك لأنه حين كان مرتكبا للذنب كان **منصرفا عن الله آبقا** ، والتوبة من العبد الى الرب جل جلاله انما هى ارتباط متبادل على الرحمة والحلم من الله ، والترجى والاسترحام من العبد ، ومادامت هذه الرابطة بين العبد وربه قائمة فان الأفراد بخير والى خير ، والمجتمع بخير والى خير .

وينقسم التائبون الى أصناف :

(أ) المبادرون من قريب .

(ب) الموفون حتى يحضرهم الموت .

(ج) الذين يموتون متلبسين .

(د) المؤملون الى حين .

٦ ـ أحكام الأسرة :

الأسرة هى المجتمع الصغير الذى يتربى فيه الانسان ، وينشأ من أول عهده فى الحياة فى أحضانه ينطبع بطابعه ، ويرى الأشياء بعينه ، وهذا المعنى يقرره القرآن الكريم حيث يقول :

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا

الأعراف ـ ٥٨

لم تقتصر سورة النساء على معالجة شئون الأسرة من ناحية الزوجية ولكنها بدأت من الأساس فأمرت بانصاف اليتامى والنساء باعتبارهم أضعف أفراد الأسرة .

اما احكام الأسرة من ناحية الزوجية فاننا نجد أول ما عنيت به السورة من ذلك هو وجوب اعطاء النساء مهرهن ، كما عنيت سورة النساء بحماية الأسرة من الرذيلة ، وعنيت بحماية المرأة من أن تتعرض بعد موت زوجها الى ظلم ذوى قرباه ، وعنيت السورة بحماية الزوجات من أن يفضلن أزواجهن بغير مبرر ، وعنيت السورة

بالحياة الزوجية من حيث حسن المعاشرة فأوجب الله معاشرة النساء بالمعروف وبين ان عاطفة الحب أو الكره ليستا دائما امارة على المستقبل السعيد أو الشقى ، وتتلخص الأحكام التى جاءت بها هــذه الآيات فيما يلى :

١ ــ على الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف .

٢ ــ على المرأة أن تطيع زوجهــا وتخضع لرياسته ، وأن تحفظ كل ما أمر الله بحفظه فى نفسها وبيت زوجهــا فقد جعلها اللــه أمينة على ذلك .

٣ ــ على الرجال والنساء كليهما أن يرضخا لحكم الله فى تهيئة كل منهما على الوضع المناسب للمقصود منه فــلا يتطلع النساء الى ما خص الله به الرجال وجعلهم مفضلين فيه ، ولا يتطلع الرجال الى ما خص اللــه به النساء وجعلهن مفضلات فيه .

وقد عالجت الســورة أحــوال الخلاف بين الزوجين مثل نشــوز المــرأة وكيف أنه يعالج بالموعظة أولا والهجر فى المضاجع ثانيا والضرب ثالثا كما عالجت السورة أيضا حالة الشقاق بين الزوجين .

وبينت السورة المحرمات من النساء ، وبيان الحكمة فى تحريمهن ، ويرشدنا الله الى أن نختار الزوجات من البيئات الصالحة التى تغلب فيها العفة والحصانة ولا ننسى الاحتياط والحذر اذا اضطررنا الى أن نتزوج من بيئات يغلب عليها التحلل وعدم التحفظ حتى لا نندفع دون تبصر ، وفى هــذا أيضا توجيه للنساء أن يتكملن وأن يعتصمن بأخــلاق الشرف والتقوى والعفة .

٧ ــ قاعدة التعامل المــالى :

يقول الله تعالى فى سورة النساء :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾

سورة النساء ٢٩

ان الله تعالى يجعل قاعدة التعامل العامة فى المجتمع هى التبادل الــذى يقوم على التعادل والتقابل ، وأن يستثنى من هــذا العموم حالة التعامل على وجه التجارة ــ التى هى من مال وعمل ــ فيبيح أن يكون هناك ربح لا مقابل له من عمل أو مال ، وأنه لا يقيد الاباحة فى هذا الا بقيد واحد فهو أن يكون التعاملعن تراض من المتعاملين ، وأن ما وراء ذلك من القيود والشروط يجب أن يكون موضع النظر والدرس .

٨ ــ أركان الايمان والعقيدة الصحيحة :

لا يمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات مؤلف من صنف واحد من الناس هم جميعا على شاكلة واحدة فى التفكير ، وعلى مبدأ واحد فى العقيدة الدينية ، ولكن المجتمعات الطبيعية هى التى تكون موطنا متسعا لكل منهج من مناهج التفكير ، والمجتمع الاسلامى فى المدينة فى عهد الرسول كان مجتمعا طابعه العام هو العقائد والمبادىء والأفكار التى جاء بها الاسلام ، لكنه كان مع ذلك مجتمعا مشتركا يضم فريقا كبيرا من اليهود لهم دينهم وتقاليدهم ويضم أفرادا من النصارى وكان على الاسلام أن يضــع السياسة التوجيهية لهــذا المجتمع ، لذلك نرى سورة النساء فى هذا الجانب تبين موقف الاسلام بيانا واضحا يجد فيه كل فرد من أفراد المجتمع دعوة موجهة اليه يتدبرها فى نفسه وعقله ويحدد أمامها موقفه حرا مختارا .

جاء فى السورة الكريمة أصول الايمان فى كل دين هى :

١ ــ الايمان بالله .
٢ ــ الايمان بالرسول .
٣ ــ الايمان بجميع الكتب المنزلة .
٤ ــ الايمان بعالم الغيب .
٥ ــ الايمان باليوم الآخر .

وهكذا ــ عزيزى القارىء ــ نأتى الى نهاية جولتنا مع معلم من معالم مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية التى تزخر بالعديد من الدراسات فى كل المجالات ، وخير ختام قول الحق تبارك وتعالى فى سورة النساء :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

سورة النساء ١٧٤ ، ١٧٥

والى لقاء جديد باذن الله

شخصيات اسلامية

ابن الهيثم

○ برع في البصريات وعلوم الضوء، فكان اول من رسم العين وفصل ظاهرة الامتداد على السموت المستقيمة، وشرح ظاهرة الانعكاس والامتداد في كتابه «المناظر» وله بحوث رائدة في انكسار الضوء وتشريح العين وتكوين الصور على شبكتيها وفي مبدا تجمع الاشعة وفي تكبير الصور وانقلابها وارتكامها وحدوث الالوان.
توفي سنة 431 هـ / 1039 م

أهم معارك الدفاع عن الإسلام فى القرن الماضى

محمد فريد وجدى

وتصحيح أفكار الأوربيين عن الإسلام

الدكتور سامى عبد العزيز الكومى

محمد فريد وجدى :

صاحب مجلة « الحياة » (١٨٧٥ – ١٩٥٤) ولد بالاسكندرية لأحد كبار موظفى الحكومة هو « مصطفى بك وجدى » ، وتعلم فى مدارسها الابتدائية ثم نقل والده الى القاهرة سنة ١٨٨٢ فأدخله المدرسة التوفيقية ولكنه كان ميالا الى دراسة المواد الفلسفية ، مالت اليها نفسه دون غيرها، فأحضر له والده مدرسين بالبيت يساعدونه على هذه الدراسة ، ثم انتقل والده الى دمياط فانتقل معه وهناك بدأت تظهر أفكاره واتجاهه الثقافى ، وشغله موضوع العلاقة بين العلم والدين ، وهل هناك تناقض بينهما ، وملأ عليه هذا الموضوع فكره ومشاعره وأراد أن يقف على كل ما يتعلق به ، فترك الدراسة النظامية وعكف على مطالعة العلوم الاجتماعية والنفسية وأخذ يدرس الفلسفة وحده ليصل الى حل ما أشكل عليه لعدم وجود من يرشده فى هذا الطريق العصرى .

واكب على هذه الدراسة واعطاها جهده ونفسه حتى الف وهو لم يزل فى بداية الشباب كتابا باللغة الفرنسية ترجمه وأصدره بالعربية ١٨٩٨ م بعنوان : « المدنية والاسلام » . ثم نقل والده الى السويس فانتقل معه واصدر مجلة (الحياة) شهرية فى غرة صفر سنة ١٣١٧ هـ الموافق ٩ يونيه سنة ١٨٩٩ م والتى ظلت تصدر حتى سنة ١٩١٥ م

وكتابه الأول الذى أصدره قبل أن يصدر مجلة (الحياة) يلقى الضوء على اتجاهه الفكرى وهدفه من صحافته الاسلامية ومؤلفاته التى استمر يصدرها أكثر من نصف قرن .

قال محمد فريد وجدى فى مقدمة هذا الكتاب أن السبب الأول الذى دفعه الى تأليفه هو « تفهيم الأوروبيين حقيقة الدين الاسلامى وماهيته واثبات أنه ضامن للانسان نيل السعادتين وكافل له الراحتين » ، وهو يؤكد على أهمية هذا السبب لأن الأوروبيين أصبحوا بجدهم و نشاطهم أصحاب السلطان على معظم العالم الاسلامى ، وماداموا جاهلين بحقيقة

الاسلام ، ومعتقدين بما يهذى به بعض كتابهم ضده ، فانهم لا يستطيعون ان يروا فى ديانة محكوميهم الا عبئا ثقيلا على عقولهم وحملا مضنيا لمداركهم فلا يقرونهم عليه الا احتراما لعواطفهم فقط راجين من العلوم العصرية والمعارف الطبيعية ان تقوم بتهذيبه فى المستقبل حسب ظنهم .

ثم يقول أن الاوربين معذورون فى تصديق التهم الموجهة ضد الاسلام والمسلمين ، ولهم الحق فى العمل ضده ماداموا لا يرون أمام أعينهم من مظاهر الدين الا البدع التى اخترعها صغار العقول ونقلها منهم العامة ، ويعدد كثيرا من اشكال هذه البدع مثل الصياح فى الطرقات خلف الطبول وتحت الرايات ، واقتراف اشد المنكرات المنافية للادب والعقل فى الموالد ، والاجتماع فى حلقات كبيرة على مرأى ومسمع من الوف المتفرجين والصياح الشديد بالذكر مع التمايل يمينا ويسارا الى غير ذلك .

والاوربيون معذورون أيضا لأنهم يرون كثيرا من عقلاء الأمة يرون هذه المنكرات دون أن يجدوا من أنفسهم ميلا الى ابطالها مع انها تجر عوامنا الى كثير من الآثام بل تخل أيضا بعقيدة التوحيد النقية ، وان انتشار هذا النوع من البدع وترك السنة الصحيحة هو السبب فى تردى هذه الأمة وهبوطها ، وهو يرى أن على كل شرقى متنور واجبان :

الأول : بيان حقيقة الاسلام للعالم أجمع ، وأنه فضلا عن كونه بريئا من الأضاليل التى ينسبها اليه بعض الكتبة ومنزها عما يفعله العامة على مرآى من المتفرجين ، فانه ناموس السعادة الحقيقة وملاك المدنية الصادقة .

الثانى : أن يسعى عقلاء هذه الأمة فى محو البدع التى غص بها العالم الاسلامى وصارت نقطة سوداء فى جبين الشرق وموضوع استهزاء كل من عنده مسكة من العقل ، وهذا الواجب اشد ضرورة فى صلاح الأمة من الواجب **الأول وضرورى لتحقيقه أيضا** .

ويقول ان هذه الأفكار كانت تجيش فى صدرى منذ بضعة سنوات وانا اذ ذاك فى سن البدء فى العمل للوطن فلم أر أفضل لخدمته من هذه الوجهة فثابرت من حينها بهمة لا تعرف الملل على درس ما يؤهلنى الى فهم حقيقة الاسلام حتى آنست من نفسى بعض القوة على القيام ببعض هذا الواجب الأقدس ، وابتدأت أعمالى بتأليف كتاب باللغة الفرنسية ، نفيت فيه عن الاسلام كل تهمة ألصقها به المفترون ، واثبت بالادلة الحسية وبالاستناد على البداءة العلمية أنه روح المدنية الحقيقية وعين أمنية النفس البشرية ونهاية ما ترمى به القوة العقلية . ولم أكد انتهى من تأليفه حتى بعثتنى الى ترجمته الى لغتنا العربية الشرقية لكى أكون قد قمت ببعض الواجبين المطلوبين .

واستكمالا لهذه الجهود الاسلامية التى بداها منذ بداية شبابه الباكر أصدر محمد فريد وجدى صحيفة « الحياة » سائرا على نفس المنهج مع مزيد من الوضوح .

ونستطيع أن نرى معالم هذا المنهج الذى سارت عليه الصحيفة من مقدمة العدد الأول منها والاعداد التالية **وأهم هذه المعالم ما يلى :**

١ — ان العصر الحاضر كثر فيه اختلاط المجتمعات ولم تعد معزولة بعضها عن بعض وبالتالى كان من الواجب تعريف الاوربيين بحقيقة الاسلام وتوعية المسلمين بمحاسن الحضارة الغربية ومساوئها .

٢ — الوقوف فى وجه تقليد الشرقيين للاوربيين ، هذا التقليد الذى بدأ بما لأوربا من تقدم فى الفنون والصناعات والزخارف المدنية ، ثم امتد الى الأخلاق والعادات ثم الى العقائد حتى أصبح الكثيرون ممن يزعمون المدنية زورا يفتخرون بالتظاهر بالالحاد على رؤوس الأشهاد ظنا منهم أن ذلك غاية غايات التقدم .

— ثم يقول « الا ان هذا النوع من التقليد الكاذب هو الذى هد ركن الفضائل الشرقية العليا من أفئدة شبان المشرق وانتزع روح الكمالات الاسلامية من قلوبهم الا أن هذا هو السل الاجتماعى الذى أخذ يسرى فى جسم هيئتنا الاجتماعية حتى يخشى ان يتغلب على سائر الأعضاء ولو بعد حين فيكون سببا رئيسيا فى انقراضنا وتلاشينا ، وليس تلاشى الأمم الضالة عن الفضائل بالامر البعيد » .

وعلى هذا فان مقصد **(الحياة)** هو الوقوف فى وجه هذا التقليد الأعمى ، والحيلولة بين مكاريب الالحاد واذهان أبناء الشرق « فان أجل خدمة تؤدى للاسلام هى وقوف بعض بنيه على مآرب ذلك التيار الأوربى المندفع بمصفاة من العلم لتحجز ما يحمله من قذر وتترك السبيل لسلسبيله الصافى ليرده من يريد بدون خوف ولا تحرج(١) .

---

(١) مقدمة العدد الأول من السنة الأولى ، ٩ يونيو ١٨٩٩

٣ ــ **أن الحيلولة بين مكاريب الالحاد وأذهان** أبناء الشرق يتطلب اقامة أقوى الأدلة العلمية على **أن الديانة الاسلامية هى روح العمران وقوام** سعادة الانسان واثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة المعتمدة على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان مع تأييد أقاويلهم بالأدلة الفلسفية الحسية(١) .

وجريا على هذا الطابع الذى اتخذته مجلة الحياة ، أخذت تنشر ابتداء من عددها الثالث(٢) بابا ثابتا بعنوان **« الشبهات العصرية على الأديان ونفيها عن الاسلام »** وكان سبب نشر هذا الباب الثابت كما قالت الصحيفة **« ان مناظرات عنيفة جرت بين بعض علماء أوربا بخصوص الأديان فمنهم من كان ينتصر لها ومنهم من كان يتحامل عليها .** فكتب **« برتلو »** أكبر علماء الكيمياء فى هذا العصر مقالة فى مجلة **« ريفيو دى بارى »** حمل بها على الأديان حملة منكرة اهتزت لها جوانح أوربا قاطبة وتناقلتها أكثر الجرائد العلمية لتحفظها بين صفحاتها كنموذج لأحكام العلوم الرسمية على الأديان فى العصر الحاضر ، وقد طالعنا هذه المقالة بدقة وامعان فلم نر فيها الا تحاملا مشينا لايليق بأبناء هذا القرن ، ولما كنا متحققين بأن كل هذه الشبهات هى كل ما يمكن أن يقال « ضد التعاليم الدينية رأينا أن نلخصها تلخيصا مناسبا ثم نفرد لكل شبهة منها مقالا خاصا ليرى **« برتلو »** وأحزابه ، أن العلم الصحيح لا يناقض الدين الصحيح « ثم أوفى بما تعهد به فى الاعداد التالية .

وعلى هذا المنهج سارت الصحيفة فى تقديم موضوعاتها ، فكتبت عن « اثبات وجود الله تعالى » « وما وراء المادة »(٣) و « اثبات وجود الروح بالبراهين الحديثة »(٤) ونظريات الملاحدة ووجه بطلانها »(٥) « وما يقوله علماء العمران عن الاسلام »(٦) .

وفى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٠٠ أعلن محمد فريد وجدى فى مجلة **« الحياة » عن طبع كتابه الثانى** الذى يسير على نفس النهج فى الدعوة الاسلامية وعنوانه **« الحديقة الفكرية فى اثبات وجود الحضرة** الالهية الطبيعية » لمنشىء المجلة .

---

(١) المصدر السابق
(٢) ١٨ أغسطس ١٨٩٩
(٣) العدد الأول ٩ يونيو ١٨٩٩
(٤) العدد السادس ٥ نوفمبر ١٨٩٩
(٥) العدد السابع ٤ ديسمبر ١٨٩٩
(٦) العدد الحادى عشر « ١ » ابريل ١٩٠٠

ومحمد فريد وجدى صاحب رسالة وليس طالب مال أو شهرة فهو يقول تحت عنوان **« استلفات مهم لحضرات القراء »**(٧) ، « اننا وأن كنا لا نود فائدة مادية من هذه المجلة الا اننا لا نود أن نخسر فيها كثيرا ..... » ويقول: ان عددا كبيرا ممن ترسل اليهم المجلة تأخروا عن دفع الاشتراك رغم مطالبتهم أكثر من مرة ويطلب من القراء » الا يلجئوا هذه البراعة لأن تتنزل من الكتابة فى تلك المباحث الجليلة الى تحرير هذه الطلبات التافهة » أى طلب قيمة الاشتراك من القراء .

وكانت صحيفة **« الحياة » هى بداية جهود محمد فريد وجدى فى الصحافة الاسلامية واتضح فيها منهجه الذى سار عليه فى هذه الصحافة بعد ذلك والتى استمرت ما يزيد على نصف قرن ، فقد أصدر صحيفة الدستور ١٩٠٧ وتولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر سنة ١٩٣٥ حتى قبيل وفاته سنة ١٩٥٤ .**

يقول عباس محمود العقاد حين بدأ العمل معه فى صحيفة الدستور(٨) :

« ولم يكن اسم فريد وجدى غريبا عنى ولا عن قراء ذلك الجيل من طلاب الثقافة الاسلامية الفلسفية . فقد كانت له كتابات اضافية يرد بها على كتاب الغرب وفلاسفته المنكرين لحقوق المسلمين وفضائل الاسلام ، وكانت له شهرة بالاطلاع على ثقافة الدين وثقافة العصر الحديث ، فلما لقيته وحادثته لم يكن أيسر من الاتفاق على العمل معه فى صحيفته ، وخرجت أقول لنفسى « ان أكبر خلاف بينى وبين كاتب كهذا لن يعوقنى عن العمل معه ، لأننى عجبت لحرية فكره ، مع اشتهاره بالتعصب والمحافظة، بل التزمت والحرج فى شئون الدين والدنيا ، فما من فكرة قط الا وكان يرى أنها قضية مسلمة وانها لا تقبل المناقشة .

وأظن اليوم أن فرط الثقة بقوة والحجة والقدرة على الاقناع هو الذى كان يسوغ له أن يسمع كل رأى ، ويقبل كل تحد ، ويجيب على كل سؤال ودام عملى فى صحيفة « الدستور » من عددها الأول الى عددها الأخير الا شهورا قليلة فارقتها فيها ثم عدت اليها ، فأكاد أقول ان ماخالفته فيه أثناء هذه المدة أكثر مما وافقته عليه ، ولكنه لم يغير كلمة واحدة كتبتها لمخالفة رأيه » .

---

(٧) العدد الخامس ، السنة الثانية ٢٥ سبتمبر ١٩٠٠
(٨) عباس محمود العقاد ــ حياة قلم ــ ط ، القاهرة د . ت ص ٤٨

حفنى ناصف

« أول من قام بكتابة وطبع المصحف الشريف، على طريقة سيدنا عثمان ، بحسب قواعد الاملاء الحديثة » .

الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

أحد أوتاد النهضة الأدبية المعاصرين فى مصر ، ودعامة من دعائمها الراسخة صال وجال فى شتى مناحى الحياة الفكرية ، فكان من الشعراء المبرزين ، الذين يحتلون مكانة سامقة ، أمثال : البارودى وصبرى ، وشوقى وحافظ .

وحسبنا أن نعلم أن من تلاميذه بمدرسة الحقوق ، الذين تلقوا العلم على يديه ، أثناء تدريسه بها لمادة الانشاء القضائى ، والبلاغة والمنطق ، وآداب المناظرة — لمدة خمس سنوات — أصحاب هذه الأسماء الامعة : الزعيم مصطفى كامل ، وشوقى أمير الشعراء ، وأحمد لطفى السيد وعبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى وطلعت حرب ، وعبد العزيز فهمى ، وأحمد زكى (شيخ العروبة) .. كما تخرج على يديه — أثناء تدريسه فى الجامعة المصرية القديمة ، غداة انشائها لأول مرة — الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى ، وغيره .

ومما يؤثر عن الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، قوله مناجيا (حفنى ناصف) ، عندما نقل حفنى من وظيفة التدريس بمدرسة الحقوق ، الى القضاء ، مع منحه لقب (البكوية) :

يا مصدر الأمجاد ، يا من فى المما	لك لا يضارع ما حواه جليل
بشرى برتبة سؤدد قد نلتها	بكمال مجد .. لست عنه تحول
والصفو عم ، وانما ببعادكم	عنا .. عرانا فى الأنام ذهول
فيمن تسود حقوقنا من بعدكم	وبمن بها .. خير النجاح يجول ؟
.. لكن حبى للترقى غالب	ولذاك صبرى ، يا جليل ، جميل

مولده ونشأته :

ولد حفنى ناصف باحدى ضواحى القاهرة ، ببلدة (بركة الحج) ، بمنطقة المرج ، فى الخامس من المحرم سنة ١٢٧٢ هـ ، الموافق ١٦ من سبتمبر سنة ١٨٥٥ ، وحفظ القرآن الكريم بكتابها ، حتى سن الثانية عشرة ، ثم ترك الكتاب ، والتحق بالأزهر .. وظل به عشر سنوات ، جود فيها القرآن الكريم ، وحفظ المتون ، ودرس فقه الشافعى وسائر العلوم المقررة بالأزهر فى ذلك الحين ، وحصل على اجازة برواية الحديث ، من الشيخ الأشمونى..

وقد جاء بها قول الشيخ الأشمونى : « ان ممن نصبت له ساق العلوم ، وحملت اليه تجارها وسوقها ، الأجل الفاضل ، اللوذعى الكامل ، الشيخ محمد حفنى ناصف .. الى أن يقول : « واجزته بما رويته من المنقول ، وتلقيته من المعقول ، والصقته بأسانيدى فى العلوم والفنون ، ووصلته بنسب مشايخى الأعلام(١) .

ويقول حفنى ناصف ، مبينا هذه المدة الزمنية، التى قضاها فى تحصيل العلم بالأزهر — وكان فى الثانية والعشرين من عمره حينئذ — مخاطبا شيخ الجامع الأزهر (الشيخ المهدى العباسى):

لقد تم لى فى الأزهر الآن عشرة
أزاول فيه العلم فى غاية الجد

ولكن طلاب الرزق ، عنه .. يصدنى
ولا جائز أن يلتقى الضد بالضد

وغالب أمثالى ، عن العلم ، أعرضوا
وقالوا رأينا السعد خيرا من السعد

وكم قد دعونى نحوهم ، فاجبتهم —
دعونى .. فباب الرزق ليس بمنسد

أأخشى صروف الدهر
فى عصر ذى الندى

وكيف أخاف الجور فى زمن (المهدى)

ولم يقتصر ، فى تحصيل العلم ، على ما درسه من العلوم فى الأزهر ، فقام بدراسة بعض العلوم الأخرى ، كعلم الميقات والفلسفة .. وتبحر فى الشعر والأدب ، معتمدا فى ذلك على الاطلاع الشخصى ، والتثقيف الذاتى .

---

(١) انظر مقدمة كتاب (شعر حفنى ناصف) لجامعة مجد الدين حفنى ناصف ، نجل الشاعر .. وعلى هذه المقدمة اعتمدنا فى استقاء المعلومات عن حياة حفنى ناصف .

(٢) (السعد) الثانية جناس للسعد الاولى ، وهى عنوان مصنف مشهور فى علم البلاغة ، كان الطلبة يعانون من صعوبة مادته .

وقام — بطريقة غير رسمية — بتدريس شرح ابن عقيل على الألفية ، لطلبة الأزهر ، بعد ذيوع شهرته فى الشعر والنحو .

ويروى نجله وجامع شعره ، الأستاذ مجد الدين حفنى ناصف ، أن الأزهريين كانوا يستكثرون عليه نظمه للقصائد الجياد ، التى كان يلقيها فى بعض أروقة الأزهر ، فى المناسبات العامة ، والحفلات الأدبية .. فاقترح أشعرهم فى ذلك الوقت — الشيخ عبد الرحمن قراعة — أن يساجله حفنى فى شعر ينظم على البديهة ، ارتجالا .. حدد هو موضوعه ، واختار بحره وقافيته .. فساجله حفنى على مشهد من الطلبة ، حتى صنعا معا أكثر من مائة بيت ، فى أقل من .. ساعة ! ومنذ ذلك الحين ، سلم الجميع بشاعريته .. وطفق شداة الشعر بالأزهر يلتفون من حوله ، ويعرضون عليه قصائدهم ، للاسترشاد بتوجيهاته ..

وبمناسبة ارتجال حفنى ناصف للشعر ، يروى صديقنا المرحوم الشاعر محمد مصطفى حمام أن احد الشعراء البائسين — ولعله عبد الحميد الديب — قام بكتابة البيتين التاليين على ورقة ، قدمها اليه ساعى مكتبه — وهو يومئذ المفتش الأول للغة العربية ، وقال ان صاحبها منتظر بالباب .. وكانت الورقة تحمل هذين البيتين :

جارت على الليالى فى تصرفها
وأغرقتنى فى لج من المحن
فيا عميد القوافى ، أنت معتصمى
أقل عثارى .. وأنصفنى من الزمن

فما كان من حفنى ناصف ، الا أن سارع بنظم البيتين التاليين ردا على الشاعر المستجدى، من نفس البحر والقافية :

يكاد شعرك يبكينى ويضحكنى
ولم أزل ساخرا .. من ظنك الحسن
فاقبل عطائى بلا شكر ولا غضب
فليس والله ، فى جيبى سوى : « شلن»(١) .

ورغم ان المجموعة الشعرية ، التى تيسر لنجله جمعها ، لا تمثل شعره كله — اذ فقد الكثير منه فى غمار أحداث ثورة سنة ١٩١٩ ، نتيجة لتفتيش السلطات لمنزله تفتيشا مطردا ،

---

(١) مجلة الموظفين ، عدد ديسمبر سنة ١٩٥٦ ص ٥٣،٥٢

بدد أكثر مخلفاته الأدبية والعلمية .. وأكثر ما تيسر جمعه من شعره يعد ، فى جملته ، من بواكيره — ورغم ذلك كله — بالاضافة الى اشتمال المجموعة الشعرية على الكثير من شعر المدائح والتهانى والبديعيات — الا أن أشعاره عامة تحمل فى طياتها اشعاعات روحه العذبة ، واشراقات أسلوبه الطلى ، وخفة ظله ..

ونسوق مثلا على ذلك قوله (مرتجلا أيضا) لحسين رشدى باشا ، رئيس الوزراء ، عند وصوله الى (رأس البر) :

نسمات رأس البر ما أشهاك
وأرق بين الموجتين سراك

أحييت أنفسنا — وأنت عليله
أبدا ، ويا أمواج ما أقواك

(رأس الوزارة) ها هنا .. فتلطفى
أدبا .. وأخفى فى المسير خطاك

والناس محتشدون تسمع حكمة
من فيه .. فاستحى وسدى فاك !

وكان لانشاء مدرسة (دار العلوم) ، فى ذلك الحين ، ما حفزه على الالتحاق بها ، لتحصيل علومها الحديثة .. ونظرا لارتفاع مستوى التعليم بها ، فقد عقد امتحان للراغبين فى الالتحاق بها ، تقدم له مائة وخمسون طالبا من أنبه الأزهريين ، قبل منهم أربعة عشر فقط ، وكان ترتيب حفنى (الأول) فى المقبولين ، وظل محتفظا بهذه الأولوية ، طوال سنوات الدراسة، حتى تخرج فيها ، وأتقن فقه أبى حنيفه ، ومواد الحساب والهندسة، والتاريخ والجغرافيا، والطبيعة والكيمياء ، ووظائف الأعضاء ، ومبادىء اللغة الفرنسية .

وحينما اندلعت الثورة العرابية ، خاض غمارها ، مشاركا فيها بالخطابة والعمل السياسى ، وبقى شهرا فى ثكنة عسكرية ، تدرب فيها على الرماية ، وبعض فنون الجندية ..

وبعد تخرجه من دار العلوم ، قام بالتدريس بمدرسة للصم والخرس والعميان ، فتيسر له فى ثلاث سنوات ، أن يجعل الخرس يكتبون ، كل ما يريدون من المعانى ، ويفهمون ما يكتبه الناس لهم .. وتيسر له تعليم الكبار من العميان ، الألفية كلها ، ورسالة الفضالى فى التوحيد ، ومنظومة الشيخ أحمد قاسم فى علم الميقات ..

ولعل حفنى ناصف كان يشير الى هذه الحقيقة من حياته العملية ، حين قال :

رويدك يا دهر حتى أجتنى ثمرا
فان عمرى انقضى فى الفرس أكثره

الى أن يقول :

وكم سرى لى ما بين الورى أدب
سناه يلحظه الأعمى وينظره

والصم تصغى لقولى حين أنطقه
وتفهم القصد منه ، حين أذكره

ولعله — رغم مطابقة قوله لواقع الحال — ينظر فى هذين البيتين ، الى قول المتنبى :

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صمم

وبعد ما أبداه حفنى ناصف من براعة وصبر، فى هذه المدرسة ، حاول أن ينتقل منها الى مدرسة أخرى ، بعد أن أدى (ضريبته) .. الا أن رئيسه فى العمل رفض اجابته الى طلبه الأمر الذى حدا به أن يقول ، متوجها بالخطاب الى خيرى باشا ناظر المعارف ، راجيا نقله من هذه المدرسة :

مولاى ، دعوة ثاوبين ذى بصر
بغير سمع ، وسمع غير ذى بصر

أشكو الى عدلكم نفيا أصبت به
وما أتيت بذنب غير مغتفر

وارحمتا لفنون ما بلغت بها
نفعا ، وقد ضاع فيها أطيب العمر

أقضى بياض نهارى فى الدروس وسل
ياأيها الشمس نجم الليل عن سهرى

ثم تبدو لنا عزة نفسه ، حين يستتلى قائلا :

ولا أرى نظرائى كنه منقلبى
وأوهم الناس أنى لست ضجر

ولا أريد نظرائى كنه منقلبى
ولا الحوادث أنى .. غير مصطبر

ويذكرنا قوله هذا ، بقوله من قصيدة أخرى :

ان لم أملك مقاليد الزمان ، فما
تملكت يده ، يوما مقاليدى

ولا ملكت المنى ، ان كان فى عمرى
غير الفضيلة ، حلى جيدها جيدى

وتنقل حفنى بعد ذلك فى كثير من مناصب وزارتى (المعارف) و (الحقانية) المختلفة ، وفى أثناء عمله بمدرسة الحقوق ، أشترك فى ترجمة القوانين المصرية ، مع طائفة من علماء القانون ، كما قام فى ذات الوقت ، مع آخرين بتأليف كتب ميسرة لتعليم قواعد النحو والصرف والبلاغة . الى أن انتقل الى العمل فى القضاء الأهلى ، وظل فيه مدة عشرين عاما ..

وفى ساحة العدالة ، كان مثالا للوطنية والأباء ، ومن ذلك ، رفضه أن يدين طلبة الجامع الأحمدى ، بعد تظاهرهم ضد الخديوى والانجليز لأنهم على حد تعبيره انما كانوا يعبرون بتظاهرهم عن شعورهم الوطنى .

وخلال عمله بالقضاء ، فكر مع غيره من أقطاب الفكر والأدب ، فى انشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ ، وبالفعل .. خرجت الفكرة الى حيز الوجود ، وتم انتخابه أول رئيس لها ، كما رأس لجنة الاكتتاب ، التى تكونت لجمع النفقات اللازمة ، وتتلمذ عليه فيها — فيمن تتلمذ — الدكتور طه حسين ، كما تقدم ..

ويقول الدكتور طه حسين ، مؤرخا لتلك الفترة من حياة حفنى ناصف : « عرفته من بعيد ، حين كانت أنباؤه ، وفكاهاته ونوادره ، تساقط الينا ، أيام كنا طلابا فى الأزهر .. فنازعتنى نفسى الى لقائه أشد النزاع ، وتقطعت بينى وبين ذلك الأسباب .. وأين كنت منه ، وأين كان منى كان من هذه الطبقة التى نتحدث عنها ، ولا نرقى اليها .. ثم أتيح لى لقاؤه فى الجامعة المصرية القديمة ، ذات مساء ، مع أحمد زكى رحمه الله ، فقدمنى اليه .. وكان أحمد زكى قد درس لنا تاريخ الحضارة الاسلامية حينا فى الجامعة ، ثم انقطع عن هذا الدرس ، فقال مداعبا : — لا تحزنوا ، فقد عوضكم الله من الدرهم دينارا .. فسيحاضركم هذا اليوم ، أستاذنا حفنى ناصف » ..

يقول طه حسين : « ولم أر كذلك اليوم حياء وتواضعا ، حين سمعت حفنى ناصف يقول بصوت متهدج ، ولسان متلعثم : أستغفر الله ، بل عوضكم عن الدينار .. مليما !(١) » .

وضرب حفنى المثل الأعلى بنفسه ، فى الاكتتاب للجامعة ، فبدأ بتبرعه بمكافأته عن كتبه التى طبعها ، مشتملة على محاضراته بها ، فى تاريخ الأدب العربى ، فى ثلاثة أجزاء ، بالاضافة الى تبرعات شهرية ، بلغت فى مجموعها ٧٨٠ جنيها ، رغم قلة ماله ، وكثرة عياله .

وحينما لاحظ المستشار الانجليزى بالحقانية، هذا النشاط الثقافى العارم لحفنى ناصف ، وتفانيه فى جمع المال والاكتتابات للجامعة ، قام بنقله للعمل بطنطا .. ولكن ذلك لم يفت فى عضد حفنى ناصف ، اذ ظل يتردد على الجامعة ، لالقاء الدروس فيها ، قادما اليها من طنطا ، التى كان يعمل قاضيا بها ، مساء الخميس من كل أسبوع .. وحينما علم المستشار الانجليزى بـ (مسلكه) هذا ، — أى اصراره على عدم قطع صلته بالجامعة — نقله الى قنا ، أى الى مسافة أبعد .. ولم تكن (قنا) بالمدينة الغريبة عليه ، فقد سبق أن نقل اليها من قبل عام ١٩٠٠ ، بعد ترقيته ، وقال فيها قصيدة من روائعه ، اعتز بها أهل قنا كثيرا ، حتى انهم علقوها فى جامع سيدى عبد الرحيم القنائى ، أعواما طويلة ..

وفى مستهلها يقول شاكرا لوزير العدل :

رقيتنى حسا ومعنى
فلصنعك الشكر المثنى

وجعلت رأس الحاسدين
بمصر من قدمى أدنى

الى أن يقول هذه الأبيات الطريفة ، التى حفظها أكثرنا أثناء فترة الدراسة وتحصيل العلم :

ألقى الهواء فلا أهاب
لقاءه .. ظهرا وبطنا

وأنام غير مدثر
شيئا ، اذا ما الليل جنا

قد خفت النفقات اذ
لا أشترى صوفا وقطنا

وفرت من ثمن الوقود
النصف .. أو نصفا وثمنا

فالشمس تكفل راحتى
فكأنها أمى .. وأحنى

---

(١) انظر كلمة الدكتور طه حسين بصدر ديوان حفنى ناصف . وقد أعاد سرد هذه الواقعة فى حين سعدت بلقاء خاص معه ، رحمه الله .

فاذا بـــدت لـــى حـــاجة
فى الغسل .. ألقى الماء سخنا
أو رمت طبخـــا أو عـــلاج
الخبز .. ألقى الجو .. فرنا !

ولعل (قنا) ، فى عهد محافظها الحالى ، صديقنا الشاعر والأديب الضليع اللواء عبد الحليم الصعيدى ، مازالت ، كما قال شاعرنا حفنى ناصف :

فيرى الغـــريب الســـعر أيسر
حـــالة ، وأخف غبنـــا
يجـــد الحـــليب بعينـــه
لبنـــا .. ويلقى السمن ســـمنا

ومن طريف ما يرويه نجل الشاعر ، أن رئيس الوزراء حسين رشدى ، أرسل لحفنى يبشره بأنه سينعم عليه برتبة الباشوية تتويجا لحياته الحافلة ، ومن قبيل الترضية ، بعد أن عارض المستشار الانجليزى (دنلوب) فى مد خدمة حفنى ناصف ، ريثما ينتهى من رسم المصحف .. الا أن حفنى ناصف ، هو الذى عارض فى هذه المرة ، واعتذر عن قبول هـــذه الرتبـــة ، لأن تكاليفها باهظة ، وتخرجه عن جوه .. وأكبر السلطان حسين منه ذلك ، واتفق السلطان مع رشدى باشا ، على أن يسند الى حفنى وظيفة ادارية كبرى ، لمدة سنة واحدة فى الأزهر ، ريثما تتخذ الاجراءات ، لتوليه شيخا للأزهر .. ولكن الأجل كان أقرب الى السلطان حسين ، فتغيرت الظروف ، وأصبح كل هـــذا فى بطن التاريخ .

وكانت كتابة المصحف الشريف ، على طريقة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه ، بحسب قواعد الاملاء الحديثة ، هى آخر الأعمال المجيدة ، التى ختم بهـــا حفنى ناصف حياته ، واستمر فى هذا العمل سبع سنوات ، واختار حفنى لمعاونته الشيخين : أحمد السكندرى ، ومصطفى العنانى ، اللذين كانا يقطنان (حلوان) مثله .. وقد كان حفنى يشتغل وحده أكثر الوقت ، ولاسيما فى السنوات الأخيرة ، التى كان فيها بالمعاش .. وشاء الله أن يصحح آخر مسودة ، ويوافق على الطبع النهائى للبروفة ، قبل أن يختاره الله الى جـــواره بزمن قليل(١)

وهذا هو المصحف الذى بين أيدينا الآن ، والذى يتوالى طبعه سنة بعد سنة ، وتوزيعه فى جميع الأقطار الاسلامية .. فكان أعظم عمل قامت بـه دولة اسلامية ، منذ ستمائة عام .. وقد عرضت على حفنى فكرة المكافأة عن هـــذا العمل الجليل ، فاعتذر عنها ، قائلا انه انمـــا قام بهذا العمل ، حسبة لله .. وأبى قبول أية مكافأة عن عمله هذا ..

وقد أثر عن حفنى ناصف ، أنه ــ قبيل لقاء المنون ــ أطلق الزفرة الحارة التالية ، التى تتمثل فى أبياته التى تعيها ذواكر الـــكثيرين من رواة الشعر البليغ :

أتقضى معى أن حان حينى تجـــاربى
وما نلتهـــا الا بطـــول عنـــاء !
وأبذل جهدى فى اكتساب معـــارف
ويفنى الذى حصـــلته بفنـــائى
ويحـــزننى أن لا أرى لى حيلـــة
لاعطـــائها .. من يستحق عطائى
اذا ورث المثرون أبنـــاءهم غنى
وجاها .. فما أشقى بنى الحكماء !

هذا وان كانت كبرى أبنائه ، الشـــاعرة ملك حفنى ناصف ، قد أجادت وأبدعت فى فن القريض ، وعرفت بلقب (باحثة البادية) .. الا أنها لحقت بالرفيق الأعلى قبل والدها ، اذ توفيت فى السابع عشر من أكتوبر سنة ١٩١٨ .

ومن طريف ما يروى ، أن حفنى ناصف بعث لـــكريمته تلك ، يصف لها ما عاناه من جـــراء عملية جراحية ، أجريت له فى عينيـــه ، بدون مخدر ، فقال بدقة وصف واقتدار :

ولقـــد ذكـــرت والطبيب بجـــانبى
والجســـم فوق فراشـــه مطـــروح
وجفـــون عينى بالمـــلاقط فتحت
وبها المباضـــع .. تغتـــدى وتروح
والخيط يجـــذب فى الجفـــون بابرة
جذبا .. تـــكاد تغيض منـــه الروح
فطربت من وخـــز الحـــديد ، كأنه
قول .. برفض العذل فيـــك صريح

فأجـــابته بقولهـــا :

من مبـــلغ عنى طبيبـــك أنـــه
يفرى بمبضعه حشـــاى وأضلعى
.. فاسلم أبى ، وانظـــر الى برأفة
عينى فـــداؤك ، كى أقر ومسمعى

وقد اتفق أن قام برثاء الامام محمد عبده ،

---

(١) انتقل الى رحمة الله تعالى فى ٢٥ فبراير سنة ١٩١٩ ، ومشى خلف نعشه أربعون ألفا حسب تقدير الجرائد ، وكان فى مقدمة المشيعين الزعيم سعد زغلول .

على قبره ستة من البلغاء فى ذكرى مرور أربعين يوما على وفاته ، هم على الترتيب : الشيخ أبو خطوة عضو المحكمة الشرعية العليا ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبدالرازق باشا ، وقاسم أمين ، وحفنى ناصف ، وحافظ ابراهيم شاعر النيل ..

وبنفس الترتيب ، كان انتقالهم ، الواحد بعد الآخر ، الى الرفيق الأعلى .. كما لاحظ ذلك شاعرنا حفنى ناصف .. وهو على فراش المرض ، فكتب لصديقه حافظ ابراهيم يقول منوها بما تقدم :

أتذكر اذ كنا على القبر ستة
نعدد آثار الامام وننـدب ؟
وقفنا بترتيب ، وقد دب بيننا
ممات ، على وفق الرثاء مرتب !
.. أبو خطوة ولى ، وقفاه عاصم
وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى .. وغابت بعده شمس قاسم
وعما قليل نجم محياى يغرب
فلا تخشى هلكا ما حييت وان أمت
فما أنت الا خائف .. تترقب

ثم يداعب صديقه حافظا بهذين البيتين الطريفين ، اللذين ينمان عن خفة ظله ، وطلاوة دعابته :

فخاطر وقع تحت الترام ولا تخف
ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا
فان المنايا منك .. تعدو وتهرب !

اى انه طالما أن حفنى ناصف لايزال على قيد الحياة ، فلا بأس على حافظ من العوادى والمهلكات !

وهناك واقعة أخرى لحفنى ناصف ، مع أديب العربية الكبير ، المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، تظهر بجلاء ووضوح مدى انسانيته وتقديره لأهل الأدب ، ومحاولته رفع الضير عنهم . فقد اتفق أن وصلت الى حفنى ناصف شكوى من رئيس المحكمة ، التى كان الرافعى يعمل بها بوظيفة متواضعة (تقدير رسوم القضايا) .. تفيد — اى الشكوى — أن الرافعى مطلوب فصله من العمل ، لأنه أصم ، وغير موفق فى عمله ، ولا يراعى مواعيد العمل الرسمية ، بالدقة المطلوبة .

وكان الدافع الى هذه الشكوى — كما يذكر تلميذ الرافعى ، الأستاذ الكبير محمد سعيد العريان رحمه الله ، بكتابه (حياة الرافعى) — أن الرافعى لم يكن موجودا على مكتبه أثناء مرور الرئيس الجديد ، ولم يشترك مع زملائه فى السلام والترحيب بالرئيس المذكور ، كعادته .. التى عرفت عنه ، بأن يسعى الى التحية منفردا — أو أن .. يأتى اليه القادم الجديد بنفسه !

وانتدبت الوزارة حفنى ناصف (مفتش التحقيقات يومئذ) ، ليحقق فيما جاء بالشكوى .. وحينما جابه حفنى ناصف الرافعى (موظف الدرجة السادسة الكتابية ، بعد طول مدة خدمته بالحكومة) بما جاء بالشكوى .. أجابه الرافعى محتدا : « قل لهم فى الوزارة ، ان كانت وظيفتى هنا للعمل ، فليؤاخذونى بالتقصير والخطأ ، فيما يسند الى من عمل ، وان كانت الوظيفة : — تعال فى الساعة الثامنة ، واجلس على الكرسى ، كأنك مشدود اليه بحبل ، حتى يحين موعد الانصراف ، فلا على ان تمردت على هذا التعبد .. قل لهم فى الوزارة ، انكم لاتملكون من الرافعى الا هاتين الأصبعين ، ساعات من النهار .. »

وبعد انتهاء التحقيق ، وعدم التوصل الى خطأ واحد يمكن أن ينسب الى الرافعى ، تقدم حفنى ناصف ، منصفا الرافعى بكل جلاء ووضوح ، بالرأى التالى لوزارة العدل : « ان الرافعى ليس من طبقة الموظفين الذين تعنيهم الوزارة بهذه القيود ، ان للرافعى حقا على الأمة .. أن يعيش فى أمن ودعة وحرية ، ان فيه قناعة ورضى ، وما كان هذا مكانه ولا موضعه .. لو لم يسكن اليه .. دعوه يعيش كما يشتهى أن يعيش ، واتركوه يعمل ويفتن ويبدع لهذه الأمة فى آدابها ما شاء أن يبدع ، والا .. فاكفلوا له العيش الرضى ، فى غير هذا المكان .. »

وهكذا مضت حياة حفنى ناصف ، فى كفاح مستمر ، وجهاد متواصل ، فى شتى مناحى الحياة الثقافية المتنوعة . وكانت خيرا وبركة للأدب والأدباء .. وكان ختامها المسك : انكبابه فى خواتيم حياته على كتابة المصحف الشريف ، كما تقدم ، على طريقة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . وهو العمل الباقى له ، وسيظل حفنى ناصف مثلا حيا من أمثلة التفانى والاخلاص ، ونبراسا يضىء الطريق أمام المتنافسين ، فى أداء رسالة الحق والخير والكمال .

رحمه الله رحمة واسعة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

«صدق الله العظيم»

سورة الروم آية ٢١

الأسرة المسلمة

القوامة معناها.. والغرض منها..

● الدكتور طه الدسوقي جبيش

بعد الحديث عن ميزان الاعتدال فى الأسرة واتضاح حقيقته ومعناه ووظيفته التى لا تنكر يجدر بنا أن نتحدث عن القوامة، نتحدث عنها فى حقيقتها ومعناها ونتحدث عنها فى ضرورتها الوظيفية للأسرة ولاستقامتها فى أحوالها المعتادة وغير المعتادة على السواء .

والحديث عن موضوع القوامة يتعرض الى كثير من اللجاجة ، ويتعرض الى كثير من المراء والجدل ، فمن الناس من يأخذه — أى موضوع القوامة — بتفهم وانشراح صدر ، ومنهم من يقبله على مضض محتجا بأنه لا يجوز للمرأة التى تخضع لنظام الاسلام أن تقبل بقوامة الرجل الا على هون أو ضعف يبرز فى شخصيتها ولا يكاد يخفى .

ومن الناس من يأخذ بفكرة القوامة ولكنه لا يدرى لها حقيقة ولا يعرف لها وظيفة ، فهو يمرها على ذهنه مرورا عابرا من غير تريث أو تأمل .

موضوع القوامة اذن يطرح نفسه على الساحة الفكرية وماكان له أن يطرح لأن الذى شرعه هو الحكيم الخبير .

ولا بأس عندنا أن يطرح مثل هذا الموضوع، ولا ضرر على قضايا التشريع عن أن تناقشها العقول . لكن يشترط لكل عقل مناقش أن يكون مفكرا بالفعل قادرا على الموازنة والتقدير .

وسنحاول هنا أن نعرض مسألة القوامة وما يترتب عليها بموضوعية كما عرضتها نصوص الشريعة ، من غير احتياج الى أن نستنطق النص بأمر لم يحتوه أو نستدل به على قضية لم يرد النص نفسه لكى يدل عليها .

والشيء والذى يلفت النظر لأول وهلة أن النص القرآنى أو التشريعى على العموم لم يقل انى منحت الرجل السلطة على المرأة ولم يقل انى أطلقت يد الرجل اطلاقا فى البيت من غير حدود ولا قيود . لم يستعمل القرآن أو النص التشريعى وهو يشرع لهذه المسألة لفظة السلطان أو القهر ولم ينوه بالقدرة أو الاقتدار وانما استعمل لفظ — قوامون — .

وليست المسألة كلها منحصرة فى استبدال لفظ بلفظ أو كلمة بأخرى تساويها فى المعنى وتخالفها فى المبنى من باب التلاعب بالألفاظ أو

ستر ما يعاب المنهج بابرازه — كلا .... وانما هو استعمال لفظ لكى يدل على معنى مرادللمشرع على أكمل ماتكون الارادة وأفضل ما يكون التقدير.

ان لفظة — قوامون — جمع مفرده قـوام . صيغة مبالغة من قائم **(وهو الناظر على الشىء الحـافظ له)** .

فالمسألة هنا ليست مسألة سلطان وقهر وانما هى مسألة تعهد ورعاية وحفظ واصلاح وتقويم.

وهذه الوظيفة بهذا المعنى لا تعنى أنهـا ميزة للرجل بقدر ما هى مسئولية على عاتقه . انه مسئول ومبررات المسئولية أمران :

— **أحدهما** : يتصل بقضية التكوين التى لا دخل له فيهـا . والتى يرمز اليها الشارع بقوله — **« بما فضل الله بعضهم على بعض »** .

— **وثانيهما** : يتعلق بأمر تكليفى لا يملك له ردا مادام قد اختار بارادته أن يقدم على الزواج وهو قول الحق **« وبما أنفقوا من أموالهم »** .

انهما أمران يتعانقان معا وبهذا التكامل الواضح يبرران مسئولية الرجـل عن اسـتقامة الأسرة وصلاح حالها .

وأقرب مثل للرجل فى أسرته هو الحاكم فى ولايته أو القاضى فى دائرة اختصاصه .

ان أحدا لا يستطيع أن يمارى فى مسـئولية الوالى والتبعة الملقاة على عاتقه تجاه اصلاح الرعيــة .

اننا فى نظامنا الاجتماعى مختارون غاية الاختيار حين نريد أن نعطى البيعــة للوالى أو القـائد المسئول عن الجماعة ونحن حين نعطى هــذه البيعة باختيارنا أصبح فى أعناقنا التزام كامل لا نملك الفكاك منه باطاعة هذا الــوالى الذى نصبناه باختيارنا . مادام يلتزم بالميثاق والشرح الذى نصبناه على أساس منه .

ولا يستطيع أحد بحال من الأحوال أن يعطى لأفراد الرعية حق الخروج على الراعى فى كل مسألة دقت أو عظمت حين يريد الراعى أن ينفذ الشرع علىأفراد رعيته بقصد اصلاحهموالمحافظة على البناء الاجتماعى فيما بينهم .

لا يستطيع أحد أن يقول بذلك أو يسلم به لأن القول والتسـليم بمثل هـذا تحت أى تعلة من التعلات يحدث فى المجتمع نوعا من الفوضى ويجعل الأمة بغير قيادة حقيقية اذ لا يستطيع الوالى أو الحاكم أن يحمل الأفراد على ما يرقى بالأمة أو الجماعة فى ظل دستورها وفى ظل شريعتها التى ترقى بالأمة والجماعة .

وما يقال هنا فى الوالى العام أو فى القاضى فى دائرة اختصاصه يقال بالنسبة لقـائد الأسرة والقائم عليهـا .

وبغير أن نكون قاصدين الى المقـارنة أو المعارضة نقول ان الأسرة فى ظل الحكم الرومانى كان لها قائم أو معتمد هذا القائم أو هذا المعتمد يضم تحت رياسته وتوجيهه أسرة يتسع نطاقها أو يضيق ولكنه فى جميع الحالات مسئول مسئولية مباشرة عن الولاية الخاصة للأسرة فهو يحاسب أفرادها حين يعوج بعـض الأفراد وهو يحمـل أفراد الأسرة على الآداب والأخلاق وهو يأخذ بحجزهم عن التردى فى مهاوى الرذيلة وهو يحملهم على التعـليم والتربية وهو يفصل بين الأفراد حين يقع التنازع أو الخصام . انه يفعل هذا كله من غير أن يكون هناك تدخل من الدولة أو تدخل من السلطان .

والقوامة فى الاسلام لم تطلق يد القائم على الأسرة هذا الاطلاق وانما نصبته فى منصبه فى ظل قانون عام يحد من سلطانه ان أراد أن يكون له سلطان جائر ويوقفه عند حدود الشريعة ان جمح به هواه .

بل ما هو أغرب من ذلك ان هناك مجموعــة من الفقهاء وقفوا أمام النص .

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا
فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ

النساء — ٣٤

وتسـاءلوا عن حقيقة القوامة ومبرراتهــا واتفقوا على أن حيثيات القوامة أمران : من جهة أخـرى .

١ — الاستعداد الخلقى أو التكوينى من جهة .

٢ — ومسئولية الاتفاق أو رعاية الأسرة ماليا من جهة أخـرى .

وبعد الاتفاق على حيثيات القوامة تساءلوا فيما بينهم فى حال غياب هذه الحيثيات أو بعضها هل تسقط قوامة الرجل وينفسخ عقد النكاح أم لا ؟

ويصور الشيخ الألوسى شهاب الدين هـذا الموقف بعبارة جلية ننقلها بنصها هنا :

« واستدل بها أيضا من أجاز فسخ النـكاح عند الاعسار عن النفقة والكسوة وهو مذهبمالك

والشافعى لأنه اذا خرج عن كونه قواما عليها فقد خرج عن الغرض المقصود بالنكاح وعندنا(١) لا فسخ لقوله تعالى :

« وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » ،

ولسنا هنا فى مجال تقييم هذا الاستنتاج والموازنة بين المذاهب ولكنا فقط أردنا أن نلفت النظر الى أهمية الحيثيات فى استمرار القوامة وما يتعلق منها بالجانب المالى بالذات لا يسقطه الاعسار وانما قصارى ما قيل فيه ـ « فنظرة الى ميسرة » .

هكذا يتضح لنا معنى القوامة وحقيقتها .

وفيما يتعلق بأهميتها لا نجد منازعا ينازع فى هذه الأهمية الا اذا كان متبعا لهواه أو مجافيا للمنطق .

فالأسرة كما قلنا نظام بل هى أهم الأنظمة فى البناء الاجتماعى على الاطلاق لأنها النواة أو الأساس الذى يرتكز عليه المجتمع بتمامه .

وكل نظام لابد له من قائم بالمعنى الذى بينا والقائم على الأسرة هنا إما أن يكون الزوج أو الرجل على العموم واما أن يكون القاضى الذى تقع الأسرة فى دائرة اختصاصه أو الوالى العام أو تبقى الأسرة بغير قائم على الاطلاق ، أو ننتقل بالقوامة للمرأة .

هذه بدائل يمكن أن يتصورها العقل ويمكن أن يبحثها بحيدة وموضوعية وليس بجائز أن يكون قاضى الاختصاص أو الوالى العام كلاهما أو أحدهما مسئولا مباشرة عن القوامة فى الأسرة بحيث يتدخل فى كل خلاف دق أو عظم سواء كان هذا الخلاف فكريا يتعلق بوجهات النظر المتعارضة أو كان سلوكيا يتعلق بالاجراء على أرض الواقع والممارسة فى عالم الحياة وظنى أنه ليس هناك عقل انسان يتسع للقول ينقل قوامة الأسرة الى القاضى أو الوالى العام الا أن يكون هذا الرجل من الشانئين على المجتمع الذين لا يريدون له استقرارا ولا يحتفظون لنظامه بود .

وليس بجائز كذلك أن تبقى الأسرة بغير قائم أو قوام يقول كلمة الفصل حين يختلف أفراد الأسرة فى الرأى ويصدر القرار المناسب حين تحتاج الأسرة الى قرار مناسب ويحمل بعض الأفراد على حد الاعتدال حين يشذ البعض أو ينشز أو حين يجور أو يظلم ، ولم نسمع فى طول التاريخ وعرضه أن انسانا اتسع عقله فقبل

---

(١) أى الحنفية

جماعة بغير نظام ، أو قبل أسرة بغير قائم لم يبق اذن أمامنا الا أن تكون المرأة هى القائم بدلا من الرجل .

والمرأة لم تعطى بحال من الأحوال مبررات القوامة ولا حيثياتها ونحن حين نسند أمرا الى انسان ما من غير أن يكون هناك حيثيات لهذا الاسناد نكون بذلك قد ظلمنا التشريع الذى نستظل بمظلته ونكون كذلك قد ظلمنا فاقد الحيثيه حين أسندنا اليه أمرا لا يتمكن من القيام به على وجهه الصحيح . اذ أبسط ما يقال والحالة هذه أننا قد كلفناه بما لا يطيق وأسندنا اليه أمرا لم تعده العناية الالهية له تماما كما لو أسندنا الى الرجل رعاية الأطفال والقيام بوظائف الأمومة اذ لا فرق بين أن نسند الى الرجل مهام ووظائف الأمومة وبين أن نسند الى المرأة مهام ووظائف القوامة ومن ينكر هذا يستطيع أن ينكر ذاك ومن يتسع عقله لقبول هذا يتسع عقله كذلك لقبول ذاك اذ لا فرق بين هذا وذاك الا فى عقل المكابر الذى يميل الى المماراة أو اللجاجة .

ويتصل بمعنى القوامة ووظيفتها تساؤل مهم مؤداه هل يعنى ذلك أن المرأة تكون غير مسئولة من ناحية عن فعالها وملغية الشخصية من ناحية أخرى بحيث يذوب كيانها فى كيان الرجل ومسئولياتها فى مسئولياته ؟

وهذا نوع من التساؤل الوجيه يحتاج الى وقفة متأنية لبسط القول نوعا من البسط كل جزئية من هاتين الجزئيتين .

مسئولية المرأة :

وفيما يتعلق بمسئولية المرأة فاننا نرى الاسلام قد وضع لها من التشريع ما يناسبها انه لا يعترف بضياع مسئولية المرأة فى مسئولية الرجل وذوبانها فيها ولكنه يفرق بين المسئوليتين ، أن مسئولية الرجل فى الأغلب مسئولية القوامة والتوجيه مسئولة الحرص على الترقى فى الخلق والفكر مسئولية الحرص على الترقى فى الخلق والفكر مسئولية العين الساهرة على فعاله وفعال غيره مسئولية الراعى فى رعيته والحاكم فى ولايته والقاضى فى دائرة اختصاصه فهى مسئولية ذاتية من ناحية بحيث يسأل الرجل عن فعله الشخصى ومسئولية متعدية من ناحية أخرى بحيث يسأل الرجل عن من هم فى دائرة اختصاصه ، والمرأة كذلك مسئولة لكنها دائرة فى الأسرة مسئوليتها فى الأغلب حفظ وائتمان ، انها مؤتمنة على قرار زوجها وتوجيهاته ، تقبل على تنفيذها بحب ورضا مادامت توجيهات الزوج فى اطار العقل والتشريع

وهى مؤتمنة بمسئولية متجردة شخصية على بيت الزوج وما فيه من أولاد وهى مؤتمنة على مال الزوج وما يمتلك وهى مؤتمنة على أسرار زوجها ومقتضيات عقد الزوجية .

أخرج البخارى فى صحيحه عن سالم عن ابن عمر يقول : (**سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ـ قال : فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ـ قال : وحسبت أن قد قال : والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته .**

وأخرجه مسلم (عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** ») .

ورواية أحمد لهذا الحديث قريبة من رواية مسلم فى موضعين ومن طريقين أحدهما ... عن نافع عن ابن عمر والثانى عن ... عن ابن دينار عن ابن عمر .

والمتأمل فى الحديث برواياته المتعددة يستشعر تحديد المسئونية لكل من الرجل والمرأة ويتضح له حقيقة المسئولية بالنسبة للرجل ووظيفتها وحقيقة المسئولية بالنسبة للمرأة كذلك .

وهكذا يبدو الاسلام حريصا فى جوانبه التشريعية على أن لا يخلى المرأة والرجل جميعا من المسئولية الاجتماعية فى نطاق الأسرة فكلاهما يلتقى عند هذه المسئولية ويشترك فيها مع الآخر بقدر ما تمكنه طبيعته من التحمل وقدرته من الأداء .

وفيما عدا ذلك نجد مسئوليات لكل من الرجل والمرأة ينفرد كل واحد عن الآخر بقسطه الخاص به ونريد أن نضرب أمثلة من واقع التشريع تتصل بمسئولية المرأة على الخصوص فيما يتعلق بجانبها الشخصى الذى لا يؤثر على مقتضيات عقد الزوجية أو البناء الاجتماعى للأسرة ومن هذه الأمثلة التى نريد أن نتناولها هنا خاصة بالمرأة شخصية المرأة الحقوقية .

ان المرأة لها شخصيتها الحقوقية التى أعطاها لها الاسلام أو أعادها اليها بعد ما سلبت منها ردحا طويلا من الزمن . ففى شريعة الاسلام نجد أن للمرأة ذمة مالية ولها حق التملك والبيع والشراء ومباشرة العقود ولها الحق أيضا فى التقاضى ورفع أمرها للقضاء لدفع الظلم عنها واسترداد حق يكون لها . كل هذه الحقوق ومايشابهها للمرأة بحكم التشريع الاسلامى ولم يبق لمشاغب أن يشاغب على الاسلام فى هذا المجال الا بما قاله الاسلام فى الشهادة بالنسبة للمرأة ، ان المرأة حين تدعى الى الشهادة تكون على النصف من الرجل بمقتضى قول الحق جل وعز

شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ

سورة البقرة ـ ٢٨٢

والمعروف أن الشهادة تكون فى ساحة القضاء الرسمى أو العرفى لاحقاق حق ورد مظالم ويترتب على هذا عقوبات تنزل بالجانى ويسبقه رؤية تورث العلم اليقينى كما يرى الانسان الشمس ساطعة فى كبد السماء . ان هذه العملية عملية معقدة لأنها تصطدم مع العاطفة من ناحية وتتطلب خبرة واعية من ناحية أخرى وخلاصة القول أن المحور الذى تدور فيه الشهادة الصحيحة لابد له من صيانة الخبرة وحزم العقل والمنطق وهما أمران يصعب تحقيقهما فى المرأة .

أما الخبرة فانها تحتاج الى مخالطة وممارسة خارج البيت وتكرار مباشرة العقود وابرامها ومعرفة ما يترتب على كل عقد من أثر وخبرة النساء بذلك قليلة جدا وتحتاج أيضا المسألة الى خبرة اجتماعية فى مجال العلاقات الخاصة بالأسر والأفراد ومعرفة طبائع الرجال وكيفية تصرفاتهم أمام المواقف المختلفة والمرأة عن هذا المجال أشد بعدا .

ثم المرأة من ناحية ثانية قد منحها الله من رجاحة العاطفة وكمالها ما يناسب وظيفتها فى البيت وتعاملها مع الأطفال وامتصاصها لسرعة غضب الزوج المدفوع بهموم الحياة ولأوائها ميزها الله عز وجل برجاحة العاطفة لكى تعبر بها آلام الحمل والوضع وتعبر بها آلام الاحتقان المتكرر فى كل شهر مرة . هذه العاطفة الكاملة لو لم تكن بذلك الكمال عند المرأة لتكدرت عليها حياتها ومرت بأزمات نفسية لا يعلم الا الله وحده مداها ولكنها تستطيع بكمال العاطفة عندها أن تعبر كل مجال صعب وأن تتخطى كل موقف يعز على أكبر الرجال أن يتخطوه أو يتناسوه ، للمرأة عقل اذن وعاطفة ولكنها تمتاز عن الرجال بكمال العاطفة وسرعة الاستجاشة فى الوجدان وتنفعها هذه العاطفة فى ظروفها ووظيفتها واستكمال شخصيتها ولكنها أى العاطفة عند المرأة تؤثر عليها فى الحكم على الأشياء حكما موضوعيا وكلما كان الموضوع الذى تريد الحكم عليه أشد قسوة كان حكمها عليه بعيدا كل البعد عن الصواب ، ولنضرب مثلا يوضح هذه المسألة ويجليها : هب أن امرأة تمر فى الطريق العام واذ بها ترى رجلا يذبح الآخر كما تذبح الشاة حين ترى المرأة هذا المشهد ستأخذها الدهشة الى أعلى حد ممكن وتمنعها هذه الدهشة المستغرقة من عمل العقل وحكم المنطق اننى أتصورها فى هذا المنظر مفتوحة العينين صفراء الوجه فاغرة الفاه منهارة الأعصاب، وقد تمر الأيام وتزول عنها الدهشة التى منعتها من تصور الموقف تصورا كاملا بحيث لايمكن القول بأن مثل هذه المرأة فى حالتها تلك قد تحملت الشهادة تحملا كاملا كما يرى المرء الشمس ساطعة ، تمر الأيام ويأتى دور أداء الشهادة فى ساحة القضاء ويقال للمرأة التى انتدبت للشهادة ان الذى مات قد مات وان شهادتك ستوصل هذا الحى الى المنصلة فيموت شنقا أو الى ساحة القصاص فيموت ضربا بالسيف أو رميا بالرصاص وان له أطفالا تعلقت أعينهم به وزوجة توشك أن تترمل وأم يقطر قلبها دما لفراق وليدها الى غير ذلك مما يقال ولا تحتاج المرأة الى الكثير منه لكى تعدل عن أداء الشهادة التى منعتها الدهشة من تحملها تحملا كاملا .

ويكفى هذا المثل لبيان تأثير هذه العاطفة على الموقف فى التحمل والأداء .

واقل من هذا يقال فى الخبرة .

فكان الشرع الحكيم يقبل من المرأة الشهادة فى كل موقف يمكن لعدالة أن تتحقق فيه ويقصرها على جنس النساء فى كل موقف لا يعرفه فيه غيرهن ويمنعهن من الشهادة فى كل موقف تمنعهن العاطفة أو الخبرة من تحقيق العدالة فيه ولا سبيل الى جبر النقص أو الانتقاص من قيمة العدالة .

وفى اطار هذا التحليل العام نسوق هذه العبارة المجتزأة على لسان بعض المفسرين يحكى فيها آراء الفقهاء المختلفة فى كل مجال يجوز للمرأة أن تشهد فيه أو يحجر عليها أن تدخل ساحة القضاء شاهدة فيه .

(وكفاية الرجل والمرأتين فى الشهادة فيما عدا الحدود والقصاص عندنا ، أى الحنفية) وعند الشافعى فى الأموال خاصة لا فى غيرها كعقد النكاح ، وقال مالك : لا تجوز شهادة أولئك فى الحدود ولا القصاص ولا الولاء ولا الاحصان وتجوز فى الوكالة والوصية اذا لم يمكن فيها عتق، وأما قبول شهادة النساء مفردات فقد قالوا به فى الولادة والبكارة والاستهلال وما يجرى مجرى ذلك مما بين فى الكتب الفقهية) .

وحين نتأمل هذا النص وغيره من النصوص نجد أن الفقهاء أداروا المسألة كلها على أمرين هما :

الخبرة وانضباط العاطفة أو الخبرة وتحكيم العقل وكلما كان للمرأة نصيب من هذين الشرطين فى تحقيق العدالة كانت شهادتها مقبولة على أنه ينبغى أن يكون واضحا أننا لا نلجأ الى شهادة المرأة القضائية حتى يقول قائل ما . ان شخصية المرأة القضائية فى الاسلام ناقصة وانما أننا نلجأ اليها مع توافر عنصر الرجال أحيانا مختارين واللجوء الى المرأة بالاختيار فى الشهادة يقول ان لها من استقلال الذات والقدرة على ممارسة حقها القضائى على ماهو هنا بحرية كاملة لنا ولها ما دام قد توافر لها من الحيثيات ما يمكنها من أداء الشهادة .

ويثير بعض المفسرين قضية اللجوء الى المرأة لأخذ شهادتها بالاختيار ويؤكدونه على أنه مفهوم من النص ولا يقول بغير ذلك — أى لايقول بأننا نلجأ الى المرأة فى الشهادة مضطرين — الا كل انسان أبعد النجعة وجافى الحقيقة وحمل النص مالم يحتمل .

يقول الشيخ الالوسى (« فان لم يكونا رجلين » أى لم يقصد اشهادهما ولو كانا موجودين والحكم من قبيل نفى العموم لا عموم النفى والا لم يصح قوله تعالى : **« فرجل وامرأتان »** اى فان لم يكونا رجلين مجتمعين فليشهد رجل وامرأتان أو

فرجل وامرأتان يشهدون أو يكفون أو فالشاهد رجل وامرأتان أو فليستشهد رجل وامرأتان أو فليكن رجل وامرأتان شهودا وان جعلت — يكن — تامة استغنى عن تقدير شهود) الألوسى ج ٣ ص ٥٨ .

ويتبين من هذا التفصيل أن المرأة قد أعطيت كمال حقوقها على النحو الذى لا يضيرها ولا يظلم المجتمع بها .

وحتى فى المجال الذى أخذت فيه كمال الحق رأى الشرع أن يعضدها بأخرى من جنسها وعلل ذلك التعضد بكمال العاطفة عندها التى تطغى على العقل أو بنقص الخبرة كما نوهنا .

واذا كان كمال العاطفة ميزة لها فهو فى القضاء يضر بأصحاب الحقوق اذا استقلت المرأة بالشهادة مع تناسى انحسار العقل عندها أمام العاطفة فى مسائل الحكم والتقييم « أن تضل احداها فتذكر احداهما الأخرى » وفى الحديث اشارة الى نقصان العقل وكمال العاطفة عند المرأة والمرأة كما سنرى فى الحديث تستطيع أن تفعل بشخصيتها التى كملت بالعاطفة مالا يستطيع أن يفعله أعاظم العقلاء من الرجال — وكل ميسر لما خلق له — أخرج مسلم فى صحيحه .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فانى رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : « تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن » قالت يا رسول الله ما نقصان العقل والدين : قال « أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالى لا تصلى وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الدين » .

وان تعجب فعجب ما يفعله البعض حين يريد أن يفهم هذا الحديث بهواه ويستنبط منه أمورا ليست فيه .

واحسب أن الذين يريدون أن يسلكوا هذا المسلك فريقان :

أحدهما : أولئك النفر من الشانئين على الاسلام الذين يترصدون مواقف أهله فيستنبطون منها ما يعيبون به الاسلام أو يحملون بعض نصوصه أمورا لم تحتملها النصوص وينعون بصنيعهم على التشريع الاسلامى مستغلين غفلة المسلمين .

ثانيهما : أولئك الذين يريدون بسط سلطانهم فى الأسرة واستقلالهم بميزة فوق ما منحهم الشرع اياه فيستدلون بمثل هذا الحديث على مايريدون .

والجميع من الطائفتين يقول أن الاسلام قد قرر أن المرأة ناقصة العقل فيصبح الفريق الأول فيقول هكذا الاسلام قد ظلم المرأة ولم لا ونحن نراها تحصل ما يحصل الرجال فى حقول التعليم والدراسة ولبعضهن ما لبعض الرجال من روائع العلم والأدب الى غير ذلك كيف نقول والحالة هذه أن المرأة ناقصة العقل الا اذا كنا نريد أن نظلمها أو نحط من كرامتها .

ونحن نريد أن نقلل من حماس هؤلاء ذلك الحماس الذى افتعلوه لأمر زيفوه فالحديث هنا لم يقل أن المرأة ناقصة العقل فى جانب التحصيل ولم يقل أن المرأة ناقصة العقل فى جانب الابتكار والابداع لم يتعرض الحديث لهذا وانما سكت عنه ونحن نستطيع أن يكون لنا فيه موقف ليس هذا مجاله وانما الذى تعرض اليه الحديث هو العقل بمعنى الحكم بموضوعية والقدرة على تحمل الشهادة والمقدرة على أدائها بغير نقصان وقد تبين لنا أن المرأة فى هذا المجال ناقصة العقل ونقصان عقلها من غلبة عاطفتها وقلة خبرتها وقد ذكرنا مرارا أن كمال العاطفة عند المرأة استكمال لجوانب شخصيتها كما أن نقصان العاطفة عند الرجل وغلبة الموضوعية كمال فى شخصيته .

ونتأمل الحديث حين سألت المرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم متعجبة وما نقصان العقل؟ ومصدر العجب عندها أنها فهمت كما فهم البعض أن النبى يسم النساء بنقصان العقل على الجملة فحسم النبى ذلك الموقف ووضح المراد من قوله حين أجابها بقوله : « أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل .

ويحمل الحديث قضية أخرى يقرنها بقضية نقصان العقل وهى قضية نقصان الدين نشير اليها هنا استكمالا للصورة .

ويقال فى هــذه القضية عنــد الشــانئين او الراغبين فى السيطرة ما يقــال فى ســابقتها مع اختلاف المشرب لدى كل من الفريقين .

والحديث يوضح حقيقة نقصــان الدين عنــد المـرأة .

ان الدين الوارد فى الحديث هنا ليس المقصود منه تلك الصفة التى يمدح المرء بكمالها فيه ويذم بمقدار انتقاص تلك الصفة عنده ، ليس هذا هو المراد بالقطع اذ أن هذه الصفة يعاب بانتقاصها الرجل كما يعاب بانتقاصها النســاء . وتمــدح المرأة حين تستكمل شخصيتها الدينية كما يمدح الرجــال .

يبقى هنا أن نعرف حقيقة الدين الوارد لفظه فى الحديث هنا هل بقى هــذا اللفظ على عمومه بحيث يشمل العقائد والتشريع ؟ أو أن هــذا اللفظ قد أطلق وأريد منه شىء خــاص ؟ أو كما يقول العلماء . هو لفظ عام أريد به الخــاص مما يطلق عليه هذا اللفظ .

ويجيب النبى صلى الله عليه وسلم على هذا التساؤل حين أجــاب على تساؤل مشــابه فى الحديث نفسه حين سألته امرأة قالت « يارسول الله ما نقصان العقــل والدين ؟ » فأجاب عن الفقرة الثانية من السؤال بقوله : « ... وتمكث **الايالى لا تصلى وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الــدين .**

ونحن حين نتأمل هذا النص الوارد فى الحديث نعلم أن المراد بالدين أمر لا تعــاب به النســاء وانما هو يشير الى بعض التشريع الذى أعفيت منه المرأة لظرف من ظروفها التكوينية وعــارض من عوارض جبلتها وطبيعتهــا يعــرض المــرأة للضعف ويقعــد بهــا عن مثل فريضة الصــوم والصلاة فحط عنها الشرع من فريضة الصــلاة حين يعرض لها هذا العارض وأخــر لهــا من فريضة الصيام ريثما تتمكن من الأداء بعــد زوال العــارض .

وهذا الملحظ يلحظه ابن حجر وان كان يخالفنا فى بعضما استنتجناه من هذا الحديث قال :

(وليس المقصــود بذكر النقص فى النســاء لومهن على ذلك لانه من أصل الخلقة ، ولــكن التنبيه على ذلك تحذيرا من الافتتان بهن ولهــذا رتب العذاب على ما ذكر من الــكفران وغيره لا على النقص وليس نقص الدين منحصرا فيمــا يحصل به الاثم بل فى أعم من ذلك قاله النووى راجع فتح البارى ج ١ ص ٤٠٥ كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم . ط السلفية .

ومما يؤكد ما ذكرناه من أن المرأة لا تعــاب بنقصان الدين الوارد فى هــذا الحــديث وهو لا يحتاج الى تأكيد ما ذكره العلماء من مســألة مؤداها . هل تثاب المرأة حين تستجيب الى أمر الله عز وجل وتتوقف عن الصلاة والصوم حين يعرض لها من طبعها ما يعرض ؟ .

ويذهب بعض العلماء خاصة ابن حجــر الى أنها تثاب ولها أجر ما تركت من صــلاة وان لم يجب عليها قضاؤها أولا : لأن الاستجابة لأمر الله فى الترك كالاستجابة الى أمره فى الفعل من حيث الالتزام وتحقيق أمر العبــودية والخضوع لله بالطــاعة .

وثانيا : فى الصلاة خاصة كانت للمرأة عادة تصلى فروضها الخمسة التى افترضها الله عليها فحين منعت واستجابت للمنع يعطيها الله أجــر هذه الصلاة التى اعتادتها فضــلا منه وتــكرما قياسا على المريض الذى اعتاد نفلا يصليه قبل مرضه فحين يعجــزه المرض والضعف عن أداء النفل يعطيه الله أجر هذه النافلة التى اعتــادها فضــلا منه وكرما .

بل انى أرى أن المسألة فى باب المرأة أقوى لأن المرأة قد منعت بتشريع فانصاعت الى هــذا التشريع والمريض قد أعجزه الوهن .

يتبين من هذا كله وكثير غيره أنه لا مجــال لمسألة التفضيل هنا بين الرجل والمرأة فى العقل والدين لأن المرأة ان غلبت عاطفتها على عقلها فان هــذه الغلبة من حيث هى كانت مقصــود العناية الالهية لتناسب وظيفة المرأة المنــاطة بها تماما كما أن غلبة العقل والحــزم فى الرجل مقصود من مقاصد العناية الالهية لتلائم طبيعة الرجل ووظيفته التى تناط به .

ويتضح من هذا كما نص عليه ابن حجر أن المرأة تعاب حين تعاب بما لها من سلوك والرجل يعاب حين يعاب بما له من سلوك يجافى بــه المنهج الالهى أو يوافقه لا فرق بين رجل وامرأة.

وعلى سبيل المثال فان الوارد فى الحديث بأن المرأة تعاب بكثرة اللعن وكفران العشير وفتنة الرجال وهذه أمور قد رجحتها المرأة على بدائلها فهى تعاب بترجيح الارادة ومباشرة السلوك .

وفى ظل القوامة وشخصية المرأة بالنسبة للرجل يشاغب بعض الناس بموقف المرأة فى الميراث ظانين أنهم سيبرزون خطأ فى النظام أو خللا فى قواعد الفرائض التى شرعها الاسلام .

والشىء العجيب أن آيات الميراث حين نزلت فى عصر المبعث أثار موقف الاسلام من المرأة فى المجتمع الجاهلى شغبا عظيما دفع اليه صدمة قوية لما تعارف عليه المجتمع يومها من مبادىء وما ألفه من عادات فى توزيع ثروة الهالكين وأموال الراحلين على الأحياء ممن يعقبونهم أو يخلفونهم فى هذه الحياة .

وهذه النصوص نفسها تثير اليوم شغبا ولكن على الطرف المقابل .

فبينما كانت الجاهلية تشمئز من اعطاء المرأة نصف التركة أحيانا يشمئز المعاصرون اليوم من أن المرأة تكون على النصف من الرجل فى الميراث .

وقد يبدو للعيان أن المشاغبين فى مجتمع الجاهلية الأولى يخالفون المشاغبين فى هذا المجتمع الذى نعيش فيه .

وهذا صحيح اذا نظرنا الى التفاصيل والجزئيات الا أنه مما لا شك فيه أن المعترضين اليوم والذين اعترضوا فى عصر المبعث يلتقون عند قاعدة عامة وهى أن الجميع يناقش فى مثال جزئى ضمن اطار عام ، والمنطق الصحيح يؤكد حتمية مناقشة المسائل من أصولها ولا يجوز أن يتعلق الانسان بفرع من الفروع من غير أن يعرف الأصل الذى ينتمى اليه هذا الفرع اذ أن مناقشة الفروع مبتورة عن أصولها قد تظهر المسألة برمتها على أنها ضرب من النشاز الذى ينبغى أن نعيد النظر فيه .

ومما يجعل الانسان يأسف غاية الأسف أن الجاهلية الأولى حين ناقشت نصوص التشريع الاسلامى استحضرت فى مناقشتها الأصول العامة التى يتأسس عليها توزيع التركة عندهم ولم يفعل المعترضون فى هذا الزمان مافعله الجاهليون فى العصر الماضى .

والاسلام حين تصدى لتوزيع التركة كان يأخذ فى اعتباره المجتمع المعاصر وأعنى بالمجتمع المعاصر صورة المجتمع الانسانى وهو على أعلى درجات التحضر .

والمجتمع الانسانى فى أعلى درجات تحضره يؤسس علاقاته الأولى على روابط الدم والقرابة بالمصاهرة .

وهو من ناحية أخرى ينظم علاقاته الاجتماعية على أساس توزيع الأعباء وارتباطها بالقدرات الذاتية لأفراد المجتمع .

والاسلام حين أراد أن يوزع أو يتصدى الى توزيع الميراث بنى هذا التوزيع على هاتين القاعدتين قاعدة الروابط الاجتماعية فى أساسها الأول وهى تقوم كما قلنا على روابط الدم والمصاهرة وقاعدة النظام الاجتماعى وهى تقوم على أساس من توزيع الأعباء .

ومن المعروف أن الروابط بعلاقات الدم والمصاهرة من منطلق أنها روابط متينة تعتريها بعض الحساسيات التى تهيج العواطف لأتفه الأسباب ذلك أن صغائر الأمور فى العلاقات الأسرية والعرفية قد يضخمها الوهم اذ أن الاساءة بين أفراد الأسرة اساءة جاءت من موضع الاحسان والاساءة من موضع الاحسان مضاعفة يلعب فيها الوهم لعبته الكبرى وتحت تأثير هذا الوهم الذى يضخم الأحداث قد يعصف المورث بقواعد نظام الارث كله فحمى الله النظام بأن اختصه بنفسه ولم يتركه لهوى الناس فبين فى صدر آية الميراث أنه وصية من الله لا اختيار لنا فيه (يوصيكم الله فى أولادكم).

وهذه الآية نفسها تحمى قواعد الميراث من الهوى الأرعن الذى يسيطر على بعض أفئدة

الناس فيوهمهم أن توريث البنات يذهب ببعض المال الى أسر أخرى لا ينتمى اليها المورث ولا أبناؤه الذكور وليس لهم بهذه الأسر صلة الا أن تكون بناتهم قد تزوجن فيها . وتتصدى الآية الكريمة لكل هذا وتعتبر الميراث وصية من الله لا دخل لأحد فيه .

وفى قضية الأعباء وتوزيعها نجد الاسلام يحمل الرجل بما لا يحمل النساء ويرفع عن كاهل المرأة الأعباء ويضعها على كاهل الرجال فهى فى أسوأ الظروف لا تتحمل الا نفقة نفسها وهى فى معظم الأحوال نفقتها على الرجل قبل الزواج ونفقتها عليه بعده .

ولكن يبقى للمرأة احتمال الا تجد العائل الذى يتحمل عنها نفقتها وتبقى لها ذمتها المالية التى يرى الاسلام أنه لا يجوز أن تظل شعارا نظريا لا ينعلق به شىء ففرض لها من الميراث على النصف من الرجل أو على نحو ما فرض لها فى مواقعها المختلفة من الأسرة والقرابة واعتراض الجاهلين فى الماضى فى عصر المبعث كان على أساس أن قاعدة الميراث عندهم هى القدرة على القنص والحرب والقتال فمن يستطيع الحرب والقتال ومن يملك القدرة على الاغارة وسلب الأموال ومن له سلطان من القوة يستطيع به أن يقهر الرجال ويسفك الدماء من تكون له هذه الصفات هو الذى يستحق أن تؤول اليه الأموال .

وهذا مبدأ يناسب المجتمع البدوى ولا يناسب غيره من المجتمعات .

والاسلام بالطبع ليس شريعة غابة ولا شريعة مجتمع بدوى انما هو شريعة مجتمع متحضر أساس العلاقات فيه ما ذكرناه قبل وهو أساس تعلق ببعضه أمثال ــ دور كايم ــ فى العصر الحديث فصفق له قومه وهلل له أقرانه دون أن يدرى أحد سبب التصفيق أو الدافع الى الى التهليل وفى العصر الحديث شنع المشنعون بنقصان حق المرأة فى الميراث ولم يذكروا قاعدة ولم يشيروا الى مبدأ عام ونحن نعفى أنفسنا من التعلق بالفرعيات ونطالبهم بالبديل المعتبر فى هذا الزمان ونحن نعلم أنهم يريدون أن يأخذوه من الشرق أو من الغرب .

والغرب يحكمه النظام الراسمالى وقاعدة الميراث فيه معروفة والاهتمام بالفرد وتكديس المال فى يد بعض الأفراض شىء لا يغيب عن وعى انسان مثقف . ان الميراث ينتقل كله الى الابن الأكبر ولم يبك أحد على هذا النظام ولم يصرخ فى وجهه .

وقاعدة النظام فى الشرق رجوع المال كله الى الدولة فى اطار نظام السماح بالملكية المحدودة ولسنا فى حاجة الى التذكير أن الشيوعية فى أصلها الأصيل لا تحتاج الى الحديث عن الميراث فليس لأحد من أفراد المجتمع حق أن يملك وليس عنده شىء يورثه سوى الفقر والعوز والألم وفقدان الروابط الاجتماعية .

نحن نريد أن نقول ان المرأة المسلمة قد أعطاها الله من الحقوق ما يرفع قيمتها ويناسب آدميتها ومنح المجتمع فى ظل المرأة والرجل جميعا ما يضمن له القرار والاستقرار .

وللجميع أن يفقه هذه الآية :

مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

سورة البقرة ــ ٢٢٨

وفى دقة الأداء القرآنى فى هذا النص مايحملنا على القول بأن الدرجة الممنوحة للرجال انما هى لاستعداد فيهم وتكليف كلفوا به حيث لم يقل القرآن ــ والذكور على النساء درجة ــ فوصف الذكورة وحده لا يرفع أحد الجنسين على شقيقه درجة وانما يرتفع الذكر بوصف يضاف اليه وهو وصف الرجولة وهو لا يتحقق الا بأوصاف تكميلية تتعلق بالمهام والوظائف بحيث ارتكز الشرع عليها فتوجه للرجال بالخطاب ورفعهم على النساء درجة ما دامت الأوصاف متحققة فيهم واذا لم تتحقق فلا تفضيل لهم ولا رفعة « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

سورة الملك ــ ١٤

بين الطب والإسلام

.. صبغة الشعر ..

الدكتور عبد الحميد محمد عبد العزيز

عن جابر رضى الله عنه قال : أتى بأبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما يوم فتح مكة ولحيته كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غيروا هذا واجتنبوا السواد » رواه مسلم كالثغامة : نبت ثمره يشبه به الشيب .

ان أعدادا كبيرة من الجمهور تستخدم صبغات الشعر وخاصة بعد حملة الاعلانات المركزة فى وسائل الأعلام المختلفة . ان مثل هذا الاستخدام يعطى الفرصة للشخص ليتغير من مظهره العام بأن يبدو أكثر شبابا ونضارة ، وتجعله يستخدم لون الشعر الذى يحلم به (أصفر كان أم أسود أو حتى أبيض) .

والخضاب بالسواد منهى عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم» رواه الطبرانى والمراد بالنسبة بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر . ومن حديث ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخضاب بالسواد « **هو خضاب أهل النار** » وفى لفظ آخر **الخضاب بالسواد خضاب الكفار** . وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد ، فنصل خضابه وظهرت شيبته ، فرفعه أهل المرأة الى عمر رضى الله عنه ، فرد نكاحه وأوجعه ضربا ، وقال : غررت القوم بالشباب ولبست عليهم بشيبتك ، ويقال : أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة** » .

وأما الخضاب بالصفرة والحمرة فهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان

لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين »** .

وفى السوق التجارى توجد أنواع كثيرة من صبغات الشعر ويمكن تلخيص هذه الأنواع كالآتى :

١ ـ صبغات الشعر الدائمة :

وهنا يستمر عمل الصبغة لعدة أشهر وهذا النوع هو أكثرها استخداما . ان صبغة الشعر تحدث أثرها من داخل الشعرة نفسها . وتتكون صبغة الشعر الدائمة من مجموع من المواد الكيمائية المختلفة تتراوح من شركة لأخرى من سبع الى اثنى عشرة مادة مختلفة ، ولكن المادة الأساسية فى هذه الأنواع هو وجود : بارافينلين دياسين ، وبارا توليدين وياسمين ، وبارا أمينو فينول . وتوضع المواد المختلفة المكونة للصبغة بطريقة خاصة لتعطى الألوان المختلفة ، أما اذا كانت هناك رغبة فى أن يكون الشعر طبيعيا فانه يستخدم مجموعة مختلفة من الألوان مع بعضها فى صبغة واحدة .

وتحتاج صبغة الشعر الدائمة الى وجود ماء الأكسجين وذلك ليزيل لون الشعر الأصلى وحتى لون المادة الموجودة فى الصبغة فقط .

٢ ـ صبغات الشعر شبه الدائمة :

وهذه تستمر فى عملها لمدة خمسة أسابيع ، وتعمل هذه الصبغة باختراقها لقشرة الشعرة الخارجية ، وهذا النوع لا يستخدم معه ماء الأكسجين ، ويجب استخدام شامبو أولا لغسل الشعر جيدا قبل استخدام الصبغة وأن تترك بعد ذلك الصبغة على الرأس لمدة ٢٠ ـ ٤٠ دقيقة .

٣ ـ صبغات الشعر المؤقتة :

وتستخدم بطريقة الحك أو عند استخدام الشامبو ، وهذه الصبغة تغطى الشعرة من الخارج وذلك ليظهر لونها أفضل ويجعلها لامعة، وأحيانا تغطى بعض الظلال أخرى حمراء أو زرقاء ...

٤ ـ صبغات الشعر المعدنية :

وهذه الصبغة يوجد بهامادة استيتات الرصاص والكبريت ، وهى تستخدم فى صبغ الشعر الشايب للرجال ، وبعد استخدام الصبغة تترك للتعرض للهواء ويحدث الأكسدة وهذا يسبب سواد لون الشعر ، وحيث أن تغيير اللون يحدث تدريجيا فلذلك يجب استخدام هذه الصبغات المعدنية يوميا حتى تحدث درجة اللون المطلوبة وقد يصل هذا فى خلال أسبوع أو أسبوعين .

٥ ـ صبغات الشعر النباتية :

مثل الحنة وهذه تستخدم منها أوراق شجرة الحنة (لوزاتا ألبا) والتى تنمو فى شمال أفريقيا والهند والشرق الأوسط . ان الحنة تعطى اللون الآخر ، وفى بعض الأحيان يضاف القطران للحنة للحصول على الوان مختلفة . واستخدام العرب قديما الكتم وآخرون الزعفران وهى أخرى صبغات نباتية .

الأعراض الجانبية لاستخدام الصبغة :

(أ) أعراض مباشرة وظاهرة وواضحة لمن يستخدمها حيث يحدث تغيير للشعر والتهاب فى فروة الراس وحساسية شديدة وهذا يحدث بعد وقت قصير من استخدام الصبغة ويجعل من يستعملها يصرخ منها ولا يستخدمها مرة ثانية .

(ب) **حساسية فى الجلد : وقد تحدث هذه** الحساسية فى الجبهة والرقبة والأذن وفى أحيان أخرى قد تصيب فروة الرأس ويجب هنا أن تعمل اختبار حساسية من المواد الكيمائية المكونةللصبغ ومعرفة هل هى السبب أم لا وهل الشمس تزيد هذه الحساسية أم لا ...

ان حدوث آنزيما فى اليدين فى الذين يعملون فى مهنة الكوافير يقود لهذه المواد الكيمائية المكونة للصبغة . ان الحنة لا تسبب حساسية لشعر الرأس ولكن قد تسبب حساسية اذا استخدمت فى صبغ الجلد (اليدين أو القدمين) .

(د) ان استخدام الرصاص فى صبغات الشعر لا يسبب تسمم حاد فى الكبار ولكن لو شرب طفل زجاجة صبغة الشعر فانها تسبب له تسمما من الرصاص . ان مادة استيات الرصاص تسبب سرطان فى الجهاز البولى للفيران .

(د) أعراض لا تظهر الا بعد فترات طويلة وأحيانا لا تكون منظورةبواسطة المستخدم للصبغة أو الطبيب . وقد كثرت الأبحاث على دراسة أثر المواد الكيمائية المكونة لمواد صباغة الشعر على حيوانات التجارب المختلفة وقد أثارت هذه الدراسات كثيرا من المناقشات حيث وجد أن استخدام الصبغات على حيوانات التجارب قد تسبب :

- سرطان وخاصة فى المجارى البولية أوالكبد لهذه الحيوانات .

- تغيير فى الكروموزمات داخل الخلية .

ان هذه التجارب أثارت اهتماما واسعا فى الدول المختلفة ممثلا فى أمريكا فى عام ١٩٧٠ جعلهم يوقفون استخدام مادة تولين فى صبغات الشعر بسبب انها تسبب هذهالسرطانات فى تجارب الحيوانات (الفيران) عندما استخدمت لها لفترة .

ووجد أيضا أن مادة أمينو الفيسول سلفات تسبب هذه المشكلة (سرطانات فى المجارىالبولية لحيوانات التجارب) وقد اشترطت هيئة الأغذية والأدوية الأمريكية فى ابريل ١٩٨٠ على أن يكتب منشور داخل كل علبة — تحذير — يحتوى مواد شملتها أن تخترق جلدك ووجد أنها تسبب سرطانا فى حيوانات التجارب .. وقد استجابت سبعة مصانع من العاملين فى صبغات الشعر وحاولوا فى نفس الوقت مقاضاة هيئة الأغذية والأدوية الأمريكية لأن نسبة السرطان فى الانسان ضئيلة للغاية فى نظرهم ، (عن : التقدم الحديث فى علم الجلد — الجزء السادس ، ١٩٨٣ صفحة ١٢٧)

ان علاقة التدخين وسرطان الرئة أخذ فترةحتى تم اثباته ، وهل ازدياد نسبة السرطان فىالمجارى البولية والكبد من أثر استخدام صبغات الشعر، ولفترة طويلة سيأخذ نفس الفترة وخصوصا وأنه ثبت مثل هذا الحدوث فى حيوانات التجارب .

ان هناك المزيد الذى يجب معرفته عن صبغات الشعر والطوفان فى السوق التجارى المصرى من هذه المواد ، وما هى مكوناتها وأعراضها الجانبية وأثرها السرطانى على مستخدميها وفى حيوانات التجارب .

ان مصر مصابة بالبلهارسيا وكلها تسبب من المشاكل للجهاز البولى والكبد ما يكفى من الآلام، فهل نجازف ونضيف مزيدا من هذه الآلام من استخدام هذه الصبغات .

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

«صدق الله العظيم»

أنت تسأل والمفتي يجيب

فضيلة الشيخ عطية صقر

خاتم النبوة

السؤال :

هل هناك حديث صحيح فى خاتم النبوة ، وهل هذا الحديث صحيح « ما بين المؤمن والكافر ترك الصلاة » وهل كان الرسول كبير المتصوفين: وهل هناك فرق بين الدرجة والحسنة ؟

حسين مبارك على ــ الاشراف ــ القبلية

الجواب :

١ ــ ورد فى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ختم بخاتم النبوة بين كتفيه ، وكان ينم مسكا ، وأنه مثل زر الجحلة ، أى كالزرار الذى يزر به قماش البيت الذى يقام كالقبة ، على الصحيح فى تفسيره ، وعليه خيلان ، أى علامات ، كالثآليل ، وهى الحبوب التى تعلو ظاهر الجسد ، عند غضروف كتفه اليسرى .

وله أوصاف أخرى فى روايات لا تبلغ درجة ما فى البخارى ومسلم . وهناك خلاف بين العلماء هل ولد به النبى صلى الله عليه وسلم ، أو وضع بعد ولادته ، والصحيح أنه وضع بعد ولادته عند شق صدره . ومهما يكن من شىء فان لله أن يكرم أنبياءه والمصطفين من عباده بما يشاء ، وليس فى ذلك ما يحيله العقل أو يتنافى مع نص صريح ، فان سلمنا بذلك فبها ، والا فليس هناك عقاب ، لأن الله لم يكلفنا بالعلم به .

وجاء فى صحيح مسلم أنه كبيضة الحمامة ، وفى نوادر الأصول للترمذى الحكيم ــ وليس الترمذى صاحب السنن ــ أنه مكتوب فى باطنها « الله وحده لا شريك له » وفى ظاهرها « توجه حيث كنت فانك منصور » .

لكن هذا الحديث باطل غير ثابت ، ويراجع فى ذلك الزرقانى على المذاهب الدينية « ج ١ ص ١٥٥ ، ١٥٦ » وما جاء فى فضل النظر الى صورته ليس بصحيح .

٢ ــ حديث « ما بين المؤمن والكافر ترك الصلاة » صحيح كما رواه مسلم ، وأحسن ماقيل فى تفسيره أن من ترك الصلاة جاحدا لوجوبها فهو كافر ، ومن تركها كسلا غير جاحد لها فهو مؤمن عاص ، قال بعض العلماء يستتاب والا قتل ، وقال بعضهم : لا يقتل بل يعزر .

٣ ــ وقول بعض الناس : الرسول كبير المتصوفين ، ليس على اصطلاحهم المعروف ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى فى تصفية النفس وصفائها على منهج القرآن الكريم وبما أدبه به ربه ، وليس على ما وضع الناس من طرائق .

٤ ــ وأما الفرق بين الدرجة والحسنة ، فقيل لا فرق بينهما ، وقيل : الدرجة منزلة ، والحسنة ثواب ، ومن مجموع الحسنات تتكون الدرجة ، والله يفضل من يشاء بما يشاء ، اما بالمنزلة واما بالثواب المقابل للعقاب ، أو الحسنة المقابلة للسيئة ، قال تعالى :

فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

سورة النساء ٩٥ ، ٩٦

جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى : أن الدرجة هى المنزلة ، ويعبر بها كثيرا عن المنزلة الرفيعة ، كما قال تعالى :

وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

سورة البقرة ــ ٢٢٨

أى منزلة رفيعة .

والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر ، من نعمة تنال الانسان فى نفسه وبدنه وأحواله ، قال تعالى :

وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

سورة النساء ــ ٧٨

أى خصب وسعة وظفر ، ويعبر أيضا بالحسنة عن الثواب كما قال تعالى :

« وما أصابك من حسنة فمن الله » .

سورة النساء ــ ٧٩

والثواب هو ما يعود على الانسان من جزاء أعماله ، وهو يشمل الخير والشر ، لكن الأكثر المتعارف يكون فى الخير . وعلى هذا قوله تعالى:

ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ».

سورة آل عمران ــ ١٩٥

وقوله تعـالى :

« **فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة** » .

سورة آل عمران — ١٤٨

والجزاء هو ما فيه الكفاية من المقابلة ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، قال تعـالى :

« **وجزاء سيئة سيئة مثلها** » .

سورة الشورى — ٤٠

وقال تعـالى :

« **وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا** » .

سورة الانسان — ١٢

الشـــعر

السؤال :

يقول الله تعـالى : « والشـعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » نريد شرح الآية مع ملاحظة أن الرسول كان يستزيد الخنساء فى القاء الشعر ، وكان حسان بن ثابت شاعر الرسول ؟

ابراهيم عبد اللطيف عمر — دكرنس دقهلية

الجواب :

الشعر العربى كلام موزون مقفى ، وهو يقال فى أغراض متنوعة ، فى المدح والهجاء والفخر والحب وغير ذلك ، وهو أوقـع فى النفوس من الكلام المنثور ، لأن الوزن له ايقاع موسيقى تهتز له أوتار القلوب ، فتتحرك العواطف وتقوى ؛ وتسوق الى تصرفات غير متوقعة ، فتمتد يد البخيل بالبذل والعطاء ، وتثير الحماس والشجاعة فى قلب الجبان ، وتفيض الدموع غزيرة فى عين المحب الولهـان .

وهو من حيث قرضـه وانشـاده وسماعه وقراءته يختلف فى الحكم بين المدح والذم ، والحل والحرمة ، باختلاف الغرض منه ، وباختـلاف المعانى التى تكمن فيه ، والملابسات التى تحوطه . والنتائج المترتبة عليه .

فان كان الغرض منه حلالا ، كالدعوة الى الخير أو تشجيع المقاتلين ، والمعانى التى يتضمنها مشروعه ، ولم يصـاحبه محـرم كاجتماع غير مشروع أو تصرف ممنوع ، ولم يترتب عليه ارتكاب منكر أو فوات واجب — كان مباحا . وان تخلف واحد من هذه القيود كان حراما .

وبهـذا التوضيح يمكن فهم ما ورد من ذم الشعر والشعراء ، وماورد من اجازته والترخيص فيه . شأنه شأن أى كلام آخر . ودليل ذلك قوله تعالى :

وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

سورة الشعراء — ٢٢٤ — ٢٢٦

فقد ذمت الآية عدم ثباتهم على مبدأ واحد ، وتكسبهم بالشعر دون اهتمامهم بصدق مايقولون أو كذبه ، وعدم مطابقة أقوالهم لأفعالهم فيمـا يصفون به أنفسهم ، أو يعطونه من عهـود . ومدحت الآية من يتقون الله فى أقوالهم بالذات ويعلمون أن الله رقيب عليهم بنياتهم ، ودافعوا بالشعر عن الحق ، وبرءوا ساحاتهم مما نسب اليهم من باطل .

وهـذه الآية نزلت — كما يقول المفسرون — فى عبد الله بن الزبعرى ، ونافع بن عبد مناف وأمية بن أبى الصلت . وقيل نزلت فى أبى عزة الجمحى ، والذين استثنتهم الآية من الذم هم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن على شـاكلتهم ممن يقولون الحق . وجاء فى كتب التفسير أن حسان ابن ثابت لما نزلت هذه الآية أذن له النبى بالرد على المشركين فقـال « انتصروا ولا تقولـوا الا حقا ، ولا تذكروا الآباء والأمهات » كما أذن لـكعب فيه وقال : « ان المؤمن يجاهد بنفسه وسـيفه ولسـانه ، والذى نفسى بيده لـكأن ما ترمونهم به نضح النبل » .

هذا ، وقد روى الدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها أن الشعر ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح » . وأصحاب الشـافعى يأثرون هذا الكلام عن الشافعى . فالشعر لا يكره لذاته ولكن يكره لعوارض تعرض له .

فمما ورد من ذم الشعر ما رواه مسلم « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن

يمتلىء شعرا » ومعنى « يريه » يأكل جوفه ويفسده .

وفى الصحيح أيضا أن هذا الحديث قاله النبى صلى الله عليه وسلم عندما كان يسير مع جماعة من أصحابه فعرض لهم شاعر ينشد ، فقال : « خذوا الشيطان — أو امسكوا الشيطان .... » .

قال العلماء : لعل هذا الشاعر كان ممن عرفوا بالتكسب بالشعر الذى فيه افراط فى المدح اذا أعطوا ، وفى الذم اذا منعوا ، ومن كان على هذا المنوال فكسبه حرام . ويجب الانكار عليه ، فان لم يكن الانكار عليه وتأكد الخوف من لسانه تعينت مداراته بما يستطاع ومدافعته بما يمكن ، ولا يحل أن يعطى شيئا ابتداء لأن ذلك عون له على المعصية . فان لم يجد بدا من ذلك أعطاه بنية وقاية العرض ، فما وقى المرء به عرضه كتب له به صدقة « تفسير القرطبى ج ١٣ ص ١٥٠ » .

ومما ورد من مدح الشعر ، قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى « ان من الشعر لحكمة » وقوله فى شعر لبيد بن ربيعة كما رواه البخارى ومسلم « أصدق كلمة قالها لبيد : ألا كل شىء ما خلا الله باطل » وتكملة البيت وكل نعيم لا محالة زائل .

وروى البخارى ومسلم أن النبى عليه الصلاة والسلام سمع الشعر فى المسجد من حسان بن ثابت ، ودعا أن يؤيده الله بروح القدس ، لأنه كان يدفع بالشعر تهم المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم .

وروى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم استكثر من الاستماع الى شعر أمية بن أبى الصلت حتى سمع مائة بيت من سويد الذى كان رديفه فى بعض الأسفار ، وذلك لأن شعره كان حكيما ، قال فيه الرسول : « وكاد أمية ابن أبى الصلت أن يسلم » .

وروى البغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب باسناد ضعيف من حديث النابغة ، واسمه قيس بن عبد الله ، أنه أنشد الرسول صلى الله عليه وسلم شعرا فدعا له بقوله « لا يفضض الله فاك » .

وروى الحاكم أنه قال ذلك للعباس عندما استأذنه فى مدحه .

وكان صلى الله عليه وسلم الى جانب سماع الشعر والثناء على قائله والدعاء له — يثيب على الشعر ويجازى عند الاقتضاء .

فقد روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قسم الغنائم يوم حنين ، ولم يعط العباس بن مرداس مثل ما أعطى أبا سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن ، قال شعرا يمدح به نفسه ويبين استحقاقه كغيره ، أتم له الرسول مائة من الابل ، وقال العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء : ان زيادة « اقطعوا عنى لسانه » ليست فى شىء من الكتب المشهورة .

هذا هو حكم الشعر وخلاصته كما قال ابن حجر فى « فتح البارى » : والذى يتحصل من كلام العلماء فى حد الشعر الجائز أنه اذا لم يكثر منه فى المسجد وخلا عن هجر وعن الاغراق فى المدح والكذب المحض والتغزل بمن لا يحل له. وقد نقل ابن عبد البر الاجماع على جوازه اذا كان كذلك .

وتحدث السفارينى الحنبلى فى كتابه غذاء الألباب « ج ١ ص ١٥١ وما بعدها » فذكر أن الشعر اذا كان فيه تشبيب وتغزل لا يحرم اذا كان على غير امراة معينة ، واستشهد بسماع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لشعر كعب بن زهير وهو مبدوء بالغزل بمن سماها « سعاد » ويرمز بهذا الاسم لأية امراة دون تعيين . كما ذكر أن الرسول كافأه على القصيدة فأعطاه بردة كانت عليه لما وصل الى قوله :

ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الهند مسلول

ولم يستطيع معاوية أن يشتريها منه فاشتراها من ورثته . وقال السفارينى : ان هذا الصنع من النبى صلى الله عليه وسلم فيه عدة سنن ، منها اباحة انشاد الشعر واستماعه فى المساجد والاعطاء عليه وسماع التشبيب فانه فى قصيدة كعب موجود فى عدة مواضع . ثم قال : وأما خبر « الشعر مزامير الشيطان » وخبر « أنه جعل له كالقرآن » فواهيان . وعلى فرض ثبوت ذلك فالمراد به الشعر المحرم فى المرد أو فى امراة معينة أو فى هجاء المسلمين ونحو ذلك .. وأن عائشة رضى الله عنها كانت أعلم بالشعر والفريضة من غيرها . وأن النبى قال فى حسان « والله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام وتحفظ بيتى فيهم » فقال : والذى بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين . ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال : والله يا رسول الله انه ليتخيل لى أنه لو وضعته على حجر لفلقته أو على شعر لحلقته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيد الله تعالى حسانا بروح القدس » . وسمع النبى الشعر من وفد بنى تميم ، ورد حسان عليهم .

مع القراء

إعداد : حسين السكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

« المشى على الشوك »

بعض الناس يحب المشى على الشوك فى حياته الدنيا قبل أن يتجرعه ولا يكاد يسيغه فى الآخرة .. والا فلماذا تنبرى هذه الأقلام الآ ثمة للنيل من قداسة الاسلام فتشكك فى عالمية الدعوة وشمول الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ؟ .. لست أرى سببا لذلك الا الاعلان عن الذات أو المكابرة والعناد .. فان كانت الأولى فهناك طرق كثيرة يمكن للانسان بها أن يكون موضع الاهتمام والاصفاء ، وان كانت الثانية ــ لا قدر الله ــ فنسأل الله لنا وله الهداية والرشاد .. ثم دعونا نتأمل فى النصوص القرآنية الكثيرة والأحاديث النبوية العديدة لنجد أنها لا تدع مجالا للشك فى شمول الرسالة وعموم الدعوة ، ولا تترك ثغرة لمتأول ولا مفتات كى ينفذ منها مهما كانت الحجج والبراهين فالله سبحانه وتعالى يخاطبنا فى محكم تنزيله قائلا :

وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

سورة سبأ ٢٨

ثم يقول فى آية أخرى :

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

سورة الأعراف ١٥٨

ثم يقول جلت قدرته « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الى غير ذلك من الآيات القرآنية الناطقة بالبيان والتبيان .. ومن الأحاديث النبوية التى لا يرقى اليها الشك قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت الى الأسود والأحمر » وقوله صلوات الله وسلامه عليه « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى » وفى أفعاله وأعماله أبلغ الدليل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم فهاهو يرسل الرسائل ويكاتب الملوك داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام وهذه رسائله التى أرسلها الى (هرقل) فى الروم ، ثم الى (كسرى) فى فارس ، وكذلك (المقوقس) فى مصر ، ثم الى (النجاشى) فى الحبشة تنطق كلها بما نقصده ونرمى اليه .. ثم تأمل قوله صلى الله عليه وسلم « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن عصانى ولو كان شريفا قرشيا » ومسك الختام أن نتدبر قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

سورة الحجرات ١٣

فكلمة الناس هنا تعنى الاحاطة والشمول وفى قوله تعالى خلقناكم وجعلناكم وأكرمكم واتقاكم ما يفيد الجمع بين كل الأجناس لا سيما كلمة خلقناكم لأن الخلق لكل الناس .. ولعل فى هذا الدواء والشفاء ، ولست أجد بعد ذلك ما يدعو للتساؤل ولكنى أتمثل بقول الشاعر :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر القلب طعم الحب من سقم

* * *

الأستاذ عادل جمعة سيد أحمد ـ محرر بالقافلة الجديدة ـ الزقازيق ـ ص.ب ٦٩

فى ذكرى مولد البشرية :

بعث الينا القارىء الكاتب بكلمة طيبة تحت هذا العنوان ونحن هنا نشير الى بعض منها نظرا لطولها .. وقد جاء فيها .. قد لا يعرف الكثيرون أن أول معجزة تحققت لنبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم تمت فى أول يوم من عمره ، وكانت فى الاسم الذى سمى به وهو محمد .. واسم محمد لم يسم به أحد قبل الرسول الكريم والله تعالى حفظ اسم محمد من أن يسمى به أحد حتى كان للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك بالرغم من أن عيسى عليه السلام قد أخبر باسمه قبل مولده بنحو ستة قرون .. كما جاء فى القرآن على لسان عيسى **« انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »** وأحمد ومحمد مشتقان من مادة واحدة وهى (حمد) وهكذا ظل هذا الاسم لمدة ستمائة عام متتالية دون أن يخطر ببال أحد أن يسمى به ابنا من أبنائه مع أن عادة الناس هى تهالكهم على تسمية أولادهم بأسماء النبيين والقديسين وأهل الخير عسى أن يصيبوا من بركة أصحابها شيئا .. من ناحية أخرى فعندما شاع قبيل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم أن نبيا سيظهر اسمه محمد .. سمى به نفر قليل من العرب أبناءهم رجاء أن يكون أحدهم ذلك النبى ، وقد حمى الله كل من تسمى بهذا الاسم ـ وهم أربعة أشخاص ـ من أن يدعى النبوة أو يدعيها أحد له حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازعه أحد فيهما .. والسمتان هما : أحمد ومحمد .. فهو لم يكن محمدا حتى كان أحمد فهو الحامد لربه المحمود من عباده .. وبهذا كان النبى جامعا لصفات الحمد كلها .

ويطيب لى فى ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم أن أقف وقفة تأمل حيث يقول الله تعالى

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ويقول جل جلاله على لسان نبيه « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد » ولنا فى رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .

***

كنت أود يا عزيزى أن أنشر كل ما جاء برسالتك لأنها تحمل فى طياتها كثيرا من الاشعاعات النبوية التى تعطر الكون بأريجها وتجعل الانسان يعيش لحظات سعيدة من التأمل ومحاسبة النفس فما أجمل أن يخلو الانسان الى نفسه فيسترجع معها عتوها وغرورها ويحاول جاهدا أن يكبح جماحها ويبصرها بعيوبها ومثالبها ويقدم لها الزاد النقى الذى يجعلها صافية نقية طاهرة لا تحمل فى سويدائها الا الخير والحب لكل الناس .. وفى القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم خير زاد يرتجيه وينشده الانسان .

السيد/ رضا محمد محمد حسين — قصر ثقافة الحرية — الاسكندرية .

صفات ومعان :

جاءتنى هذه الكلمات من القارىء السكندرى استهلها بقوله : يقول المولى عز وجل :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾

سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

ونريد أن نقف عند كل صفة من هذه الصفات وقفة متأنية ، بمناسبة مولد نبينا صلوات الله وسلامه عليه حيث نجد أن صفة الشاهد تعنى المقياس الذى يوضح الحق من الباطل ، وبهذا المعنى كان الرسول شاهدا على أمته .. يعرفون منه ومن سنته الرشد من الضلال ، والهداية من الغواية ، وكذلك كانت أمته شاهدة على الأمم الأخرى ، تعرف من استقام ومن انحرف .. وأمة محمد شاهدة على الأمم السابقة لأنها الأمة الوسط كما جاء فى كتاب الله « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** » والأمة الوسط هى الأمة المعتدلة ، ولابد أن تلازمها الوسطية فى كل شىء فتظل معتدلة فى سلوكها غير منحرفة .

ونأخذ من صفة المبشر أنه يبشر الطائعين بالجنة وبالحياة السعيدة ، وطاعة الله فيها حماية المجتمع .. لأن طاعته تعالى ليست صلاة وصياما فقط بل هى أهم من ذلك بكثير .. وليست الصلاة والصيام الا تربية وتهذيبا للنفس البشرية لتنشئة انسان صالح فى مجتمع صالح .. وندرك من صفة (النذير) أن الانذار عكس التبشير والمعصية ضد الطاعة والعقاب نقيض الثواب .. لكن ما أكثر الذين يتحدثون عن الفضيلة ثم لا ينجحون فى الوصول الى القلوب ، لماذا ؟ لأنهم كما يقول العلى القدير « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** » وصدق القائل : (ان الكلام اذا خرج من القلب دخل القلب واذا خرج من اللسان لا يغادر الآذان) فمن القلب ينبغى أن يخرج الكلام والى القلب ينبغى أن ينتهى .. ونفهم من صفة (الداعى) أن الدعوة الى الله ليست عملا سهلا يقوم به أى انسان .. ان الداعية لابد أن يكون انسانا واسع الأفق رحب الصدر محيطا بثقافة عصره متفاعلا مع التقدم الحضارى ذا رغبة أكيدة فى هداية الناس واصلاح شأنهم ، وعليه أن يلتزم بالكلمة الطيبة فهى قادرة على غزو القلوب :

« **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » .

وقوله :

« **اذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** » .

أما صفة (السراج المنير) فمعناها أن رسول الله كان نورا أضاء ظلمات النفوس والقلوب ،

وبقيت سنته الحميدة لنا نـورا يضىء وهديا يوجه الناس .. ان النور والوضوح من صفات المؤمنين والظلمة والغموض من صفات المنافقين، والنور والظلمة لا يجتمعان فى قلب واحد ولهذا يستعيذ المؤمن بربه (رب الفلق) من شر كل ظلام حسى أو معنوى وصدق الله العظيم الذى يقول : **« وما أرسلناك الا رحمـة للعالمين »** وصدق الرسول الكريم حينمـا قال : (انما أنا رحمة مهداة) .

***

كلماتك يا أخى تمثل الواقع الملموس الـذى حكاه القرآن الكريم ونطقت به السنة المحمدية الرشيدة وجميل منك أن تستلهم هـذا وتقدمه لنا فى اطار أدبى شيق وما أحوج الشباب فى هذا العصر أن ينهج سبيل الاستقامة ويسلك طريق النور بعد أن أعيته الحيل وضاقت به المعاذير واشتدت من حوله العواصف والتوت عليه السبل فبات يضرب فى التيه ويغوص فى بحر الظلمات فليته يعى ويسمع ويثوب الى رشده ليخرج من الحيرة والاكتئاب ويعود الى الجادة والصواب .

الأستاذ صادق عبد العزيز يوسف ـ مراقب مالى ـ الهيئة العامة للارصاد الجوية .

فاتحة الكتاب :

بعث الينا الكاتب الكريم بهذه الكلمة قائلا : ان فاتحة الكتاب هى دعاء المسلم ووِرده اليومى يردده سبع عشرة مرة أو أكثر فى اليوم والليلة .. فى صلواته فرضا وسنة ونافلة .. فاتحة الكتاب هى : ترنيمة المؤمن وزاده الايمانى الذى يقتات به فى صباحه ومسائه ، فى فرضه ونفله ، فى تهجده وتعبده .

فاتحة الكتاب : هى باقة الهية ضمت الوانا عدة من مفاهيم العقيدة وأهداف الدعوة وأصول الشريعة .. فاتحة الكتاب : هى أم الكتاب ، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم .. سماها ابن عباس رضى الله عنه أساس القرآن وسماها سفيان بن عيينة « الواقية » وأطلق عليها ابن كثير « الكافية » لأنها تكفى عما عداها ولا يكفى ما سواها عنها .. فاتحة الكتاب : فيهـا من كليات الشريعة والعقيدة الاسلامية ما يومىء الى الحكمة الالهية فى اختيارها للتلاوة فى كل ركعة من ركعات الصلاة .. فاتحة الكتاب : بآياتها السبع هى دفقة من دعاء محض وابتهال خالص وارتباط بالله تعالى .. انها تبدأ بدعاء وتنتهى بدعاء والدعاء مخ العبادة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وان من الدعاء لذكرا) فاتحة الكتاب .. لعل من أسرار الله تعالى أن تكون فاتحة الكتاب كلها دعاء وخاتمة الكتاب كلها دعاء أيضا .. وما بين الفاتحة والخاتمة عقيدة وتشريع وعبادة ودعاء .. فاتحة الكتاب أولها « الحمد لله رب العالمين » وللحمد آثاره وفاعليته ومعناه ومغزاه فلا غرو أن يكون صدر الفاتحة دعاء هو خير دعاء ولا غرو أيضا ان كان آخر كلام المؤمنين فى الجنة « الحمد لله رب العالمين » **« دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سـلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »** .

***

لا جدال يا أخى فى أن القرآن الكريم كله خير وبركة لأنه كتاب رب العالمين وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأن الله جلت حكمته صانه وحفظه من التحريف والضياع حتى يكون حجة الله فى أرضه ويكون شاهدا على الناس يـوم الدين وهو أيضا معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة التى أبهت بها المعاندين والمكابرين والجهم ولا جدال أيضا أن فاتحة الكتاب هى السبع المثانى وهى أم الكتاب لأن فيها الدعاء والابتهـال والامتثال والاعتراف بالربوبية والملك والرحمة لله الواحد الأحد الفرد الصمد فاللهم اهدنا بها صراطك المستقيم واجعلها نورا لنا يـوم لا ينفع مال ولا بنين الا من أتى الله بقلب سليم .

بريد التعارف

الاسم : محمد صبحى سالم
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب الدينية وحفظ الشعر
العنوان : ج٠م٠ع محافظة البحيرة كوم حماده ـ دست الأشراف

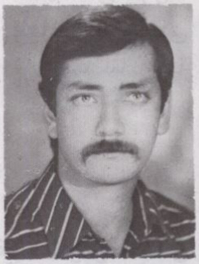

الاسم : نبيل رمضان أحمد عاشور
السن : ٣٢ سنة
المهنة : بالقوات الجوية
الهواية : المراسلة ـ الاطلاع الدينى
العنوان : الاسكندرية ـ القبارى ٩ ش المنصورمحمد القرية الجديدة

الاسم : عبده اسماعيل عبد العليم جعفر
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب
الهواية : كرة القدم ـ حفظ القرآن الكريم
العنوان : ج٠م٠ع دست الأشراف ـ مركز كوم حماده ـ محافظة البحيرة

الاسم : عمار بوالطمين
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : الموسيقى ـ المطالعة ـ الرياضة ـ المراسلة
العنوان : الجزائر جيجل ١١ ١ شارع خلافى يوسف ـ الطاهير

الاسم : حسين مبارك محمد على
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة القرآن الكريم والمجلات الدينية
العنوان : ج٠م٠ع مركز شباب الأشراف القبلية محافظة قنا

الاسم : أحمد مصطفى على أبوالمجد
السن : ٣٠ سنة
المهنة : مندوب مصانع الشوربجى
الهواية : القرآن الكريم تجويدا وتلاوة
العنوان : القاهرة ٢٩ شارع مراد الكيت كات

الاسم : أسامه اسماعيل على البسيونى
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالبة بكلية دار العلوم
الهواية : المراسلة الاطلاع الدينى ـ الرحلات
العنوان : ج ٠ م ٠ ع الدقهلية ـ المنصورة جميزه بلجاى

الاسم : السعيد محمود السعيد بدر الدين
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة ـ الاطلاع الدينى ـ الشعر
العنوان : ج ٠ م ٠ ع الدقهلية مركز ميت غمر ـ أبو ليلة جوار مسجد البقرية

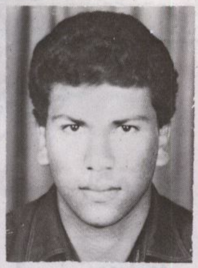

الاسم : ناصر فؤاد شيخون
السن : ١٩ سنة
المهنة : حاصل على دبلوم فنى صناعى
الهواية : الاطلاع الدينى ـ كرة القدم
العنوان : سوهاج ـ البلينا الرطا ـ ج ٠ م ٠ ع

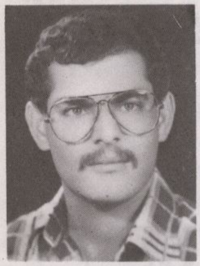

الاسم : السيد محمد المطنطاوى
السن : ٢٤ سنة
المهنة : طالب تجارة المنوفية
الهواية : المراسلة ، كتابة القصص والمقالات الدينية
العنوان : ج٠م٠ع ـ المنوفية سرس الليان ـ مصنع ألبان الطنوبى

الاسم : سمير صالح ابراهيم
السن : ٣٢ سنة
المهنة : سائق
الهواية : الاطلاع الدينى ـ كرة القدم
العنوان : ج ٠ م ٠ ع القاهرة الإمام الليثى

الاسم : ابراهيم أحمد على
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الشعر العربى والمجلات الدينية
العنوان : امبابه جيزة ـ ش الصيرفى

الاسم : يوسف عبد الحميد أحمد
السن : ٢٩ سنة
المهنة : موظف
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : ٣٧ ش بدوى محمد سعيد مدينة ناصر ـ الأميرية

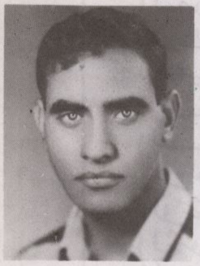

الاسم : أحمد جمعه سعيد أبو صبيع
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية ـ بور سعيد
الهواية : المراسلة ـ الاطلاع الدينى
العنوان : بور سعيد ـ معهد الخدمة الاجتماعية ج٠م٠ع

الاسم : محمد محمد فهمى
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة ـ مشاهدة مباريات كرة القدم ـ حفظ القرآن الكريم
العنوان : ج٠م٠ع ـ المنصورة ـ كفر البرماص شارع المعدوى خلف السكة الحديد

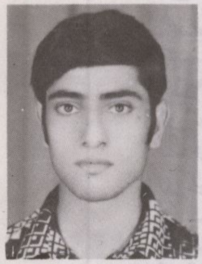

الاسم : خالد محمد عبدالحليم الأصور
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : القراءة ـ نظم الشعر ـ تبادل الآراء
العنوان : أتميدة ـ ميت غمر ـ دقهلية

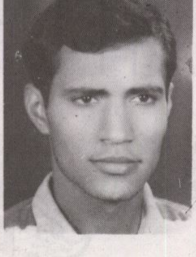

الاسم : حسن أحمد حسن ابراهيم
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : المراسلة وتبادل الآراء
العنوان : ج٠م٠ع ـ أشكر فاقوس ـ الشرقية

الاسم : جمال عبد الفتاح طلب
السن : ٢٣ سنة
المهنة : ترزى
الهواية : المراسلة والزخرفة والقراءة الدينية
العنوان : ناهيا امبابة ـ جيزة

مواقيت الصلاة

الأيام	ربيع الآخر ١٤٠٨	نوفمبر ١٩٨٧	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
الاثنين	١	٢٣	٥٥	٤	٢٦	٦	٤١	١١	٣٧	٢	٥٦	٤	١٨	٦
الثلاثاء	٢	٢٤	٥٥		٢٧		٤١		٣٦		٥٦		١٨	
الاربعاء	٣	٢٥	٥٦		٢٨		٤٢		٣٦		٥٦		١٨	
الخميس	٤	٢٦	٥٧		٢٩		٤٢		٣٦		٥٦		١٨	
الجمعة	٥	٢٧	٥٨		٣٠		٤٣		٣٦		٥٥		١٧	
السبت	٦	٢٨	٥٨		٣٠		٤٣		٣٥		٥٥		١٧	
الاحد	٧	٢٩	٥٩		٣١		٤٣		٣٥		٥٥		١٧	
الاثنين	٨	٣٠	٠٠	٥	٣٢		٤٣		٣٥		٥٥		١٧	
الثلاثاء	٩	أول ديسمبر	١		٣٣		٤٤		٣٥		٥٥		١٧	
الاربعاء	١٠	٢	٢		٣٣		٤٤		٣٥		٥٥		١٧	
الخميس	١١	٣	٢		٣٤		٤٤		٣٥		٥٥		١٧	
الجمعة	١٢	٤	٣		٣٥		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
السبت	١٣	٥	٤		٣٦		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
الاحد	١٤	٦	٥		٣٧		٤٦		٣٦		٥٥		١٨	
الاثنين	١٥	٧	٥		٣٧		٤٦		٣٦		٥٥		١٨	
الثلاثاء	١٦	٨	٦		٣٨		٤٧		٣٦		٥٥		١٨	
الاربعاء	١٧	٩	٧		٣٩		٤٧		٣٧		٥٥		١٨	
الخميس	١٨	١٠	٧		٣٩		٤٧		٣٧		٥٦		١٨	
الجمعة	١٩	١١	٨		٤٠		٤٧		٣٧		٥٦		١٨	
السبت	٢٠	١٢	٩		٤١		٤٨		٣٧		٥٦		١٨	
الاحد	٢١	١٣	١٠		٤١		٤٩		٣٧		٥٦		١٨	
الاثنين	٢٢	١٤	١٠		٤٢		٤٩		٣٧		٥٧		١٩	
الثلاثاء	٢٣	١٥	١١		٤٣		٥٠		٣٨		٥٧		١٩	
الاربعاء	٢٤	١٦	١١		٤٣		٥٠		٣٨		٥٧		٢٠	
الخميس	٢٥	١٧	١٢		٤٤		٥١		٣٨		٥٧		٢٠	
الجمعة	٢٦	١٨	١٢		٤٤		٥١		٣٨		٥٨		٢١	
السبت	٢٧	١٩	١٣		٤٥		٥٢		٣٩		٥٨		٢١	
الأحد	٢٨	٢٠	١٣		٤٥		٥٢		٣٩		٥٩		٢٢	
الاثنين	٢٩	٢١	١٤		٤٦		٥٣		٤٠		٥٩		٢٢	

في هذا العدد

□ كلمة التحرير	التحرير	١
□ حديث الشهر	بقلم رئيس التحرير	٣
□ مع القرآن الكريم		٥
● تفسير سورة الأنعام	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٦
● أصدق الحديث عن رسول البشرية	فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى	١٢
● حديث القرآن عن شخصية الرسول	الدكتور محمد سيد طنطاوى	١٧
● نعمة النطق والبيان	الدكتور كمال محمد المهدى	٢٣
● من كلام رب العالمين عن سيد المرسلين	الأستاذ زكريا عامر البكرى	٢٧
□ الحياة فى ظلال التشريع الاسلامى		٣١
● نظرات فقهية فى آية قرآنية	الدكتور محمد سعد فشوان	٣٢
● بعثة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم	الدكتور عبد السلام محمد عبده	٣٥
● من ميراث الرسول فى مجال الدعوة	الأستاذ محمد يوسف مصطفى	٣٨
□ حضارة الاسلام :		٤١
● حول محاضرة رجاء جارودى	الدكتور سعد عبد المقصود ظلام	٤٢
● الاعجاز الطبى فى القرآن	الدكتور السيد الجميلى	٤٦
● السموات	الدكتور محمد أحمد الشهاوى	٤٩
□ التصوف والفلسفة الاسلامية		٥٣
● سؤال وجواب عن التصوف	الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى	٥٤
● فلسفة الضحك والبكاء	الدكتور عبد الكريم دهينه	٥٨
□ الدعوة والشباب		٦١
● الأمانة سر الأمان	الأستاذ عبد المنعم محمد راجح	٦٢
● العلاقات الانسانية فى نظر الاسلام	الأستاذ محمد ابراهيم الخطيب	٦٥
● المبادىء والأشخاص	الدكتور السيد رزق الطويل	٦٩
□ قطوف	اعداد حامد المرسى	٧٣
□ مختارات من الصحف والمجلات	اعداد الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح	٧٥
□ نادى القصة والمسرحية		٧٧
● قصة اسلام خالد بن الوليد	الدكتور محمد مبارك السيد	٧٨
□ أخبار ولقاءات		٨١
□ الشعر الاسلامى		٩٧
● وما أرسلناك الا رحمة للعالمين	الأستاذ كامل أمين	٩٨
● يا أمة الاسلام	الأستاذ رشاد محمد يوسف	١٠٠
● حنين الى مهبط الرحمات	الأستاذ عمر موسى البرعى	١٠١
● أنوار التوبة	الأستاذ عمر عمران أحمد	١٠٢
□ كتاب الشهر		١٠٣
● المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء	عرض وتقديم الدكتور محمد بهى الدين سالم	١٠٤
□ شخصيات اسلامية		١١١
● محمد فريد وجدى	الدكتور سامى عبد العزيز الكومى	١١٢
● التاريخ فى سيرة اعلامه (حفنى ناصف)	الأستاذ أحمد مصطفى حافظ	١١٥
□ الأسرة المسلمة		١٢١
● القوامة معناها والغرض منها	الدكتور طه الدسوقى حبيش	١٢٢
□ بين الطب والاسلام (صبغات الشعر)	الدكتور عبد الحميد محمد عبد العزيز	١٣١
□ أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الشيخ عطيه صقر	١٣٤
□ مع القراء	اعداد حسين السكرى	١٣٨
□ بريد التعارف		١٤٢
□ مواقيت الصلاة		١٤٤

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم
فى جميع أنحاء العالم الإسلامى
بالمطبوعات الآتية

	قرشا	جنيها
★ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم تفسير نخبة من العلماء الأفاضل	٠٠	١٠
★ الوسيط فى تفسير القران الكريم للشيخ على بن احمد الواحدى النيسابورى - تحقيق الأستاذ محمد حسن أبو العزم	٣٠	٣
★ سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى عام ٩٤٢هـ - تحقيق صفوة من العلماء المتخصصين من جزء ١ الى جزء ٧	٥٠	٣٤
★ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب «الفيروزابادى» ٧٢٩ - ٨١٧هـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار والاستاذ عبد العليم الطحاوى من جزء ١ الى جزء ٦	٤٥	٢٤
الاحاديث القدسية جزء ١ و ٢ «فى مجلد واحد»	٤٠	٢
★ صحيح البخارى من جزء ١ الى جزء ٧	٣٠	١٨
★ الفتاوى الاسلامية «مجلد» من جزء ١ الى جزء ١٣	٥٠	٤٧

مراكز البيع: ٣ ش الأمير قداوار - ميدان التحرير - القاهرة .
٤٢ ش سعد زغلول - الاسكندرية .

مطابع الأهرام التجارية القاهرة - مصر